ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ سنة هـ

البداية والنهاية

الجزء الثالث

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

باب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شئ أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله (ص.) من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيي بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها. أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله (ص.) من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح ،ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله و يتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : [اقرأ بسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] .فرجع بها رسول الله (ص.) يرجف

فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله (ص.) خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله (ص.) : « أوَ مُخرجىّ هم ؟ » فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى[1] فترة . حتى حزن رسول الله (ص.) ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدّى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه . فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا كمثل ذلك . قال فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك هكذا وقع مطولا فى باب التعبير من البخارى . قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال — وهو يحدث عن فترة الوحى — فقال فى حديثه : « بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض . فرعبت منه . فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى فأنزل الله (ياأيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمى الوحى وتتابع » ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعنى عن الليث ، وتابعه هلال بن داود عن الزهرى . وقال يونس ومعمر : ـ بوادره . وهذا الحديث قد رواه الامام البخارى رحمه الله فى كتابه فى مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا فى أول شرح البخارى فى كتاب بدء الوحى اسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهرى كما علقه البخارى عنهما ، وقد رمزنا فى الحواشى على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سياقه الى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

(١) الى هنا رواية البخارى فى صحيحه مع اختلاف فى بعض الالفاظ لاتغير المعنى .

فقول أم المؤمنين عائشة .أول مابدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوى ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثى أن النبي (ص.) قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت ما اقرأ؟ فغتني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتى بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحا بهذا في مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن ابراهيم عن علقمة بن قيس . قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ماقبله ويؤيده ما بعده .

عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها

قال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدى عن داود بن أبي هند عن عامر الشّعبي أن رسول الله (ص.) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا اسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فانه قد قال : وحديث عائشة لا ينافى هذا فانه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا . ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقى اليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل . فعلمه بعدماغطّه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ماجرى له مع اسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل .

وقال الامام احمد حدثنا يحيي بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي (ص.) وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً . ومات وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيي بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول الله (ص.) وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرسنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الامام

احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي (ص) بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله (ص) يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول الله (ص) يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة ايحاء الله اليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن ابى سفيان بن العلاء بن حارثة ـ قال : وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله (ص) يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه . وكان من نسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب بن كيسان انه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وثورٍ ومَن أرْسَى ثَبِيراً مَكانَه ... وراقٍ لِيَرْقى فى حِراءَ ونازِلِ

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في حر ونازل وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصر ويمدّ ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المارّ إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج

فَلا وربِّ الآمِناتِ القُطَّنِ ... وربِّ رُكنٍ من حِراءَ مُنْحني

وقوله في الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من حنث البنية[1] فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة ، معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أى خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتأثم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردها أبو شامة . وقد سئل ابن الاعرابي عن قوله يتحنث أى يتعبد . فقال : لا أعرف هذا انما هو يتحنف من الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : والعرب تقول التحنث

---

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية .

والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأحذاف *

يريد الأجداث . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فُمَّ فى موضع ثمَّ . قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء فى تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وماذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرع ابراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله (ص) سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم انزل على فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد (ص) يوم الاثنين ، ونبئ يوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : انه عليه الصلاة والسلام أوحى اليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء ، والمشهور انه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما .

قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس) فقيل فى عشره . وروى الواقدى بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله (ص) يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه . قال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله (ص) قال : « أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال: « ما أنا بقارئ » فالصحيح ان قوله « ما أنا بقارئ » نفى أى لست ممن يحسن القراءة. وممن رجحه النووى وقبله الشيخ أبو شامة. ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزاد فى الإثبات. ويؤيد الأول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه: فقال رسول الله (ص) — وهو خائف يرعد — « ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً. ثم تركه فقال: له اقرأ. فقال محمد (ص) « ما أرى شيئاً أقرأه، وما أقرأ، وما أكتب » يروى فغطنى كما فى الصحيحين وغتنى ويروى قد غتنى أى خنقنى « حتى بلغ منى الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به ذلك ثلاثا.

قال أبو سليمان الخطابى: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أى البهر والعرق. وقال غيره: إنما فعل ذلك لأمور: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقى اليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحى يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابل ويتفصد جبينه عرقا فى اليوم الشديد البرد.

وقوله فرجع بها رسول الله (ص) إلى خديجة يرجف فؤاده. وفى رواية: بوادره، جمع بادرة قال أبو عبيدة: وهى لحمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفى بعض الروايات ترجف بآدله واحدتها بادلة. وقيل بادل: وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدى. وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك.

فقال: « زملونى زملونى » فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة: « مالى؟ أى شئ عرض لي؟ » وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: « لقد خشيت على نفسي » وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك، ولا كان فى خلده. ولهذا قالت خديجة: ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً. قيل من الخزى، وقيل من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد فى خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث — وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق — وتحمل الكل. أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله — وتكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى اعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك. ويسمى الفقير معدوما لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامى ، فيما نقله عنه القاضى عياض فى شرح مسلم :

عدّ ذا الفقر ميّتاً وكساهُ كَفَناً بالياً ومأواه قبرا

وقال الخطابى : الصواب (وتكسب المعدم) أى تبذل اليه أو يكون تلبس العدم بعطية ،الا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبوالحجاج المزى أن المراد بالمعدوم هنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد انك تكسب بتجارك المال المعدوم ، أو النفيس القايل النظير ، فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وتكلف ما ليس له به علم ، فان مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضعّف هذا القول عياض والنووى وغيرهما والله أعلم .

وتقرى الضيف ـ أى تكرمه فى تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قدعمى . وقد قدّمنا طرفا من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وانه كان ممن تنصّر فى الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصّروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلاّ زيد بن عمرو بن نفيل فانه رأى فيه دخلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفاً وتأويلا . فأبت فطرته الدخول فيه أيضا ، وبشروه الأحبار والرهبان بوجود نبى قد أزف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسّمها فى رسول الله (ص) كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وماظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله (ص) وجاءت به اليه فوقفت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ؛ فلما قص عليه رسول الله (ص) خبر ما رأى قال ورقة : سبُّوح سبُّوح : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء . كما قال (ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم) . وقول ورقة هذا كما قالت الجن : [يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق إلى طريق مستقيم] . ثم قال ورقة : ياليتنى فيها جذعا . أى ياليتنى اكون اليوم شابا متمكنا من الايمان والعلم النافع والعمل الصالح ، ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك يعنى حتى أخرج معك وأنصرك ؟ فعندها قال رسول الله (ص) : « أو مخرجيّ هم ؟ » قال السهيلى وانما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ! انه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن

يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله « ثم لم ينشب ورقة أن توفى » أي توفى بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضى عنه ، فان مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد وايمان بما حصل من الوحى ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الامام احمد حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثنى أبو الأسود عن عروة عن عائشة . أن خديجة سألت رسول الله (ص) عن ورقة بن نوفل فقال: « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » . وهذا اسناد حسن لكن رواه الزهرى وهشام عن عروة مرسلا فالله أعلم وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس عن اسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس » . وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة امة وحده » . وسئل عن أبى طالب فقال : « أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها » وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ـ فقال : « أبصرتها على نهر فى الجنة فى بيت من قَصَب لاصَخَب فيه ولا نصب » اسناد حسن ولبعضه شواهد فى الصحيح والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله (ص) : « لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين » وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الأشج عن أبى معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا اسناد جيد . وروى مرسلا وهو أشبه .

وروى الحافظان البيهقى وأبو نعيم فى كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله (ص) قال لخديجة : « انى إذا خلوت وحدى سمعت نداء ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر » . قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصدُق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله (ص) ثم ذكرت له خديجة فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة . فلما دخل رسول الله (ص) أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى ورقة قال : « ومن اخبرك ؟ » قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه . فقال رسول الله (ص) : « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد يا محمد فانطلق هارباً فى الأرض » . فقال له لا تفعل . إذا اتاك فاثبت ، حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتنى فأخبرنى . فلما خلا ناداه يا محمد قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) قل لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : ابشر ثم ابشر . فأنا اشهد

انك الذى بشر بك ابن مريم ، وانك على مثل ناموس موسى ، وانك نبى مرسل ، وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن ادركنى ذلك لأجاهدن معك . فلما توفى . قال رسول الله (ص) : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى » يعنى ورقة . هذا لفظ البيهقى وهومرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة اول ما نزل وقد قدمنا من شعره ما يدل على اضماره الايمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين اخبرته خديجة ما كان من امره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظلله فى هجير القيظ . فقال ورقة فى ذلك اشعارا قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لججتُ وكنتُ فى الذِّكرى لجوجاً ... لأمرٍ طالما بعث النَّشيجا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري يا خَديجا
ببطنِ المكّتينِ على رجائي ... حديثَكِ أن أرى منهُ خروجا
بما خبّرتِنا من قولِ قَسٍّ ... من الرهبانِ أكرهُ ان يعوجا
بأنّ محمداً سيسودُ قوماً ... ويخصِمِ من يكونُ له حَجيجا
ويظهرُ فى البلادِ ضياءُ نورٍ ... يقيم به البريّةَ أنْ[1] تَعُوجا
فيلقى من يحاربُهُ خساراً ... ويَلقى من يُسالمهُ فُلوجا
فياليتي إذا ما كانَ ذاكم ... شَهِدتُ وكنتُ اوّلهُم وُلوجا
ولو كانَ الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عجّتْ بمكّتِها عَجيجا
أرجّي بالّذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرشِ إذ سَفَلوا عُروجا
فإن يَبقوا وأبقَ يكنْ أموراً ... يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجيجا

وقال أيضاً فى قصيدته الأخرى :

وأخبارِ صدقٍ خبّرتْ عن محمدٍ ... يخبّرُها عنهُ إذا غابَ ناصحَ
بأنّ ابنَ عبدِ اللهِ احمدَ مرسَلٌ ... إلى كلِّ من ضُمّتْ عليه الأباطح
وظني به أنْ سوفَ يُبعَثُ صادقاً ... كما أُرسلَ العبدانِ هودٌ وصالح
وموسى وابراهيمُ حتى يُرى له ... بهاءٌ ومنشورٌ من الحقِّ[2] واضح
ويتبعُه حيّا لؤيّ بنُ غالبٍ ... شبابُهم والأشيبونَ الجحاجح
فإن ابقَ حتى يدركَ الناسُ دهرُه ... فإني به مستبشرُ الوُدِّ فارح
وإلا فإني ياخديجةُ فاعلمي ... عن أرضكِ فى الأرضِ العريضةِ سائح

---

(١) وردت فى السيرة لابن هشام : أن تموجا . مع بعض اختلاف فى بعض الالفاظ .

(٢) فى الحلبية : من الذكر واضح .

وقال يونس من بكير عن ابن اسحاق قال ورقة :

فان يكُ حقاً يا خديجةُ فاعلمي ... حديثَكِ إيّانا فأحمدُ مرسَل
وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما ... من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصّدرَ مُنْزَل
يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ ... ويشقى به العاني الغريرُ المضلَّل
فريقان منهمْ فرقةٌ فى جِنانهِ ... وأُخرى بأحواز الجحيم تَغلَّل
اذا ما دُعوا بالويلِ فيها تتابعتْ ... مقامعُ فى هاماتِهمْ ثمّ تشعل
فسُبحانَ من يُهوي الرياحَ بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاءَ يفعل
وَمن عرشُه فوق السموات كلِّها ... واقضاؤه فى خَلْقِه لا تُبـدَّل

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجالِ وصَرْفِ الدهر والقدرِ ... وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ من غِيَرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأُخبرَها ... أمراً أراهُ سيأتي الناسَ من أخر
وخبّرتني بأمرٍ قد سمعتُ به ... فيما مضى من قديم الدهرِ والعُصُر
بأنّ احمدَ يأتيه فيخبرُه ... جبريلُ انّكَ مبعوثٌ إلى البَشَر
فقلتُ علَّ الذي ترجين ينُجِزُه ... لكِ الإلهُ فرجّي الخيرَ وانتظرى
وأرسليه إلينا كي نُسائلَهُ ... عن أمرِهِ ما يرى فى النوم والسَهر
فقالَ حين أتانا مَنطِقاً عَجَباً ... يقفُّ منـه اعالي الجلدِ والشَعَر
إني رأيتُ امينَ الله واجَهَني ... فى صورةٍ أُكملتْ من أعظم الصور
ثم استمرفـكاد الخوفُ يُذعِرني ... مما يسلِّمُ مِنْ حولي من الشجر
فقلتُ ظَنّي وما ادري أيصدُقني ... ان سوفَ يُبعَثُ يتلو مُنْزَلَ السُّوَر
وسوف يبليك ان اعلنتَ دعوتَهم ... مِن الجهادِ بلا منٍّ ولا كَدَر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقى من الدلائل وعندى فى صحتها عن ورقة نظر والله أعلم

وقال ابن اسحاق حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ـ وكان داعية ـ عن بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنـه ويفضى الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يارسول الله . قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء فى رمضان قال ابن اسحاق وحـدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال

سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله (ص.) من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله (ص.) يجاور فى حراء فى كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحبب به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر فكان رسول الله (ص.) يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله (ص.) : « فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى ، فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت به الموت ثم أرسلنى . فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك ألا اقتدا منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى فقال : [اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] . قال فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا . قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى إلى السماء فأنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فما أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى ثم حدثتها بالذى رأيت . فقالت أبشر يا ابن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص.) . فقال ورقة : قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وأنه لنبى هذه الأمة ، وقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص.) فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله (ص.) جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف

بالكعبة فقال يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فاخبره فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوحه ثم انصرف رسول الله (ص) إلى منزله » . وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعنى رسول الله (ص) أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت أبشر فان الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ثم رجع اليها فاخبرها أنه رأي بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبى (ص) يقول أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله (ص) فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . قال ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله (ص) رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيما فلما دخل على خديجة قال أرأيتك التى كنت حدّثتك أنى رأيته فى المنام فانه جبريل استعلن إلىّ أرسله إلىّ ربى عز وجل وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً واقبل الذى جاءك من أمر الله فانه حق وأبشر فانك رسول الله حقاً . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرنى بعلمك فيه . قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبى (ص) وما ألقاه اليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أخى ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، وأقسم بالله لان كان إياه ثم

أظهر دعواه وأنا حيٌّ لأبلين الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهرى فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله (ص.) . قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه والذى ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه يعنى شق بطنه عند حليمة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم .

وقد [1] ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة باسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شئ اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم فى حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه نخافه رسول الله (ص.) مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يامحمد ابشر ! فانك نبى هذه الأمة . اقرأ فقال له نبى الله : وهو خائف يرعد ـ ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) الآيات ثم قال له لا تخف يامحمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله (ص.) همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومى ثم قام رسول الله (ص.) وهو خائف فأتاه جبريل من امامه وهو فى صعرته فرأى رسول الله (ص.) أمراً عظيما ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله الى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله (ص.) لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة ابصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك ، فقامت اليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أرأيت الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت اسمع فى اليقظة واهال منه فانه جبريل قد استعلن لى وكلمنى واقرأنى كلاماً فزعت منه ثم عاد الى فأخبرنى انى نبى هذه الآمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : ابشر فوالله لقد كنت اعلم ان الله لن يفعل بك الا خيراً واشهد انك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود قد اخبرنى به ناصح غلامى وبحيرى الراهب وامرنى ان أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله (ص.) حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه وعرفها .

---

(١) من هنا الى وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة المصريه .

قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرنى عن جبريل فقال سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى،فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فاخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيده الله به . ثم قامت من عنده فاتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألها ما الخبر فاحلفته أن يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لى وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبى هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الارض لقد نزل على خير أهل الارض وما نزل إلا على نبى وهو صاحب الانبياء والرسل يرسله الله اليهم وقد صدقتك عنه فارسلى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فانى أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها مجنونا . فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله (ص) فاخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله (ص) فقال له ورقة هذا الذى جاءك جاءك فى نور أو ظلمة فاخبره رسول الله (ص) عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشئ تبلغه قومك وانه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله (ص) فشق ذلك على الملأ من قومه قال وفتر الوحى . فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فانزل الله والضحى وألم نشرح بكمالها.

وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثنى اسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله (ص) فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك . فقال نعم ! فقالت : إذا جاءك فاخبرنى . فبينا رسول الله (ص) عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله (ص) . فقال : يا خديجة ! هذا جبريل فقالت ! أتراه الآن قال نعم ! قالت فاجلس إلى شقى الايمن فتحول فجلس فقالت أتراه الآن قال نعم ! قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول فجلس فى حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! فتحسرت رأسها فقالت

خمارها ورسول الله (ص) جالس فى حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق.

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنى سمعتها تقول أدخلت رسول الله (ص) بينها و بين درعها فذهب عندك ذلك جبريل عليه السلام. قال: البيهقى وهذا شئ كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطا لدينها وتصديقا. فاما النبى (ص) فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التى ذكرناها مرة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه (ص) تسليما.

وقد قال مسلم فى صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يحيي بن بكير حدثنا ابراهيم بن طهمان حدثنى سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضى الله عنه. أن رسول الله (ص) قال: « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن بعث إنى لأعرفه الآن ». وقال أبو داود الطيالسى حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله (ص) قال: « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالى بعثت إنى لأعرفه إذا مررت عليه ». وروى البيهقى من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عباد بن عبد الله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه. قال: كنا مع رسول الله (ص) بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وفى رواية لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه.

فصل

قال البخارى فى روايته المتقدمة ثم فتر الوحى حتى حزن النبى (ص) فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال سمعت أباسلمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (ص) يحدث عن فترة الوحى قال: فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء فجثيت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى فانزل الله: « ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » قال ثم حمى الوحى وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن

بعد فترة الوحى لا مطلقا ، ذاك قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجئ الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولا اليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحى دليل على تقدم الوحى على هذا الايحاء والله أعلم . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والاوزاعى كلاهما عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أى القرآن أنزل قبل . فقال : (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال قال رسول الله (ص) : « إنى جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر شيئا ثم نظرت إلى السماء فاذا هو على العرش فى الهواء فاخذتنى رعدة ـ أو قال وحشة ـ فاتيت خديجة فامرتهم فدثرونى فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) — وقال فى رواية — فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجثيت منه » وهذا صريح فى تقدم اتيانه اليه وانزاله الوحى من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحى سورة (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله (ص) فى أولها فرحا وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحى : (يا أيها المدثر قم فانذر) ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلى قال : اشتكى رسول الله (ص) فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا فقالت امرأة ما أرى شيطانك الا تركك فانزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الارسال إلى الناس وبالاول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصفا ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبى وغيره ، ولا ينفى هذا تقدم ايحاء جبريل اليه أولا (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع — أى تدارك شيئا بعد شئ — وقام حينئذ رسول الله (ص) فى الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان على بن أبى طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالى مولاه زيد بن حارثة الكلبى رضى

الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على ايمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحى ومات فى الفترة رضى الله عنه .

فصل

﴿ فى منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفا واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ﴾

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم فى قوله :[وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً ، وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا] . وقال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) . قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد ـ وهو الطبرانى ـ حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابى حدثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى فاذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فتكون باطلا ، فلما بعث النبى (ص) منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس هذا لأمر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله (ص) قائما يصلى بين جبلين فأتوه فاخبروه فقال هذا الأمر الذى قد حدث فى الأرض . وقال أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله (ص) وأصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم ؟ قالوا حيل بيننا و بين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شئ حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فاوحى الله إلى نبيه (ص) : (قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن) الآية. أخرجاه فى الصحيحين وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فاذا نزل الوحى سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديدة القيتها على الصفا ، قال فاذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤسهم

حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم؟ فان كان مما يكون فى السماء قالوا الحق وهو العلى الكبير ، وإن كان مما يكون فى الأرض من أمر الغيب أو موت أو شئ مما يكون فى الارض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبى محمد (ص) دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة وذا الابل فينحر كل يوم بعيراً فاسرع الناس فى أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فان كانت النجوم التى يهتدون بها وإلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التى يهتدى بها كما هى لم يزل منها شئ فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت الشياطين إلى ابليس فاخبروه . فقال : هذا حدث حدث فى الأرض فأتونى من كل أرض بتربة فأتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحدث . ورواه البيهقى والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب . وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسى عن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله (ص) فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا فان تكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هى لا تعرف فاخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبى . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبى مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها . وقال سعيد بن منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبى . قال : كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله (ص) فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل : أنظروا فان كانت النجوم التى تعرف فهو عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هى لا تعرف . قال : فامسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبى (ص) . وروى البيهقى والحاكم من طريق العوفى عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه . فلعل مراد من نفى ذلك انها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت فى الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بينا رسول الله (ص) جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا؟ » قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدم عند خلق

السماء وما فيها من الكواكب فى أول بدء الخلق ولله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق فى السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم فى النظر فى النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فالله أعلم . وقال السدى لم تكن السماء تحرس الا أن يكون فى الارض نبى أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد (ص) قد اتخذت المقاعد فى سماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر فلما بعث الله محمداً (ص) نبيا رجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف . فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، ويسيبون مواشيهم . فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبى كبشة ، وإن انتم لم تروها فقد أهلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين فى تلك الليلة فاتوا ابليس فقال ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (ص) فى المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فانزل الله أمرهم على نبيه (ص) . وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن ابن أبى حكيم - يعنى اسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله (ص) أصبح كل صنم منكساً فاتت الشياطين فقالوا له ما على الارض من صنم إلا وقد أصبح منكسا ، قال هذا نبى قد بعث فالتمسوه فى قرى الارياف فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودى عليك بجنبة الباب - يعنى مكة - فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال : إنى قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات فى عين أصحابه ونحببها اليهم قال فلا آسى إذا . وقال الواقدى حدثنى طلحة بن عمرو عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله (ص) منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاؤا إلى ابليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث هذا نبى قد خرج عليكم بالارض المقدسة مخرج بنى اسرائيل قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا اليه فقالوا ليس بها أحد فقال ابليس أنا صاحبه فخرج فى طلبه بمكة فاذا رسول الله (ص) بحراء منحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث احمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدى : وحدثنى طلحة ابن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحى فلما بعث محمد (ص) منعوا فشكوا ذلك إلى ابليس فقال : لقد حدث أمر فرقى فوق أبى قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله (ص) يصلى خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطر

وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدى وأبو احمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبى معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن .

فصل

فى كيفية اتيان الوحى إلى رسول الله (ص)

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل فى أول مرة ، وثانى مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . إن الحارث بن هشام سأل رسول الله (ص). قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصة الجرس ـ وهو أشده علىّ ـ فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا يكلمنى فاعى ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته (ص) ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الامام احمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السختيانى عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله (ص) فقلت كيف يأتيك الوحى ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفى حديث الافك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله (ص) ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو فى يوم شات من ثقل الوحى الذى نزل عليه . وقال الأمام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنى يونس بن سليم قال املى على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله (ص) الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث فى نزول (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائى : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه . وفى صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان ابن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله (ص) إذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد وجهه ـ وفى رواية وغمض عينيه ـ وكنا نعرف ذلك منه . وفى الصحيحين حديث زيد ابن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت فخذ رسول الله (ص) على فخذى وأنا أكتب فلما نزل الوحى كادت فخذه ترض فخذى . وفى صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال

لى عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى اليه ؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى اليه بالجعرانة ، فاذا هو محمر الوجه . وهو يغط كما يغط البكر . وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة . فرجعت إلى رسول الله (ص) فسألته وهو جالس يتعشى والعرق فى يده ، فأوحى الله اليه والعرق فى يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » . فدل هذا على أنه لم يكن الوحى يغيب عنه احساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه . وقال أبو داواد الطيالسى حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : كان رسول الله (ص) اذا أنزل عليه الوحى تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم . وفى مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثنى يزيد ابن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تحس بالوحى ؟ قال « نعم اسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيظ منه » . وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا ابراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبى عن خاله العليان بن عاصم . قال : كنا عند رسول الله (ص) وأنزل عليه ، وكان اذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل . وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا على بن غراب عن الاحوص بن حكيم عن أبى عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة . قال : كان رسول الله (ص) اذا نزل عليه الوحى صدع وغلف رأسه بالحناء . هذا حديث غريب جدا . وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد . قالت : إنى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله (ص) ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وقد رواه أبو نعيم من حديث الثورى عن ليث بن أبى سليم به . وقال الامام احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنى جبر بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله (ص) سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها . وروى ابن مردويه من حديث صباح ابن سهل عن عاصم الاحول حدثتنى أم عمرو عن عمها انه كان فى مسير مع رسول الله (ص) فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وهذا غريب من هذا الوجه . ثم قد ثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله (ص) مرجعه من الحديبية ، وهو على راحلته ، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم . وقد ذكرنا انواع الوحى اليه (ص) فى أول شرح البخارى وما ذكره الحليمى وغيره من الائمة رضى الله عنهم .

فصل

قال الله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه، وقل رب زدنى علما) وكان هذا فى الابتداء، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه فى التلاوة، فأمره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحى، وتكفل له ان يجمعه فى صدره، وان ييسر عليه تلاوته وتبليغه، وان يبينه له، و يفسره و يوضحه و يوقفه على المراد منه. ولهذا قال: (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) وقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) اى فى صدرك (وقرآنه) أى وأن تقرأه (فاذا قرأناه) أى تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أى فاستمع له وتدبره (ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله (وقل رب زدنى علما). و فى الصحيحين من حديث موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله (ص.) يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل.

فصل

قال ابن اسحاق: ثم تتابع الوحى إلى رسول الله (ص.) وهو مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله — على رضا العباد وسخطهم — وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس، وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله (ص.) على ما أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى.

قال ابن اسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله و وازرته على أمره، وكانت اول من آمن بالله و رسوله وصدقت بما جاء منه فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضى الله عنها وأرضاها.

قال ابن اسحاق: وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر. قال قال رسول الله (ص.): «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث هشام. قال ابن هشام: القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف.

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن اليه من أهله . وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تفرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الاسراء . فأما أصل الصلاة فقد وجب فى حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن اسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله و رسوله ، وصدق بما جاء به . ثم ان جبريل أتى رسول الله (ص) حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبى (ص) وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها الى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين و أربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلاها به عند البيت مرتين ، فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فان ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء ، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله و به الثقة ، وعليه التكلان .

فصل

أول من اسلم من متقدمي الاسلام والصحابة وغيرهم

قال ابن اسحاق : ثم إن على بن ابى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان . فقال على يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذى اصطفى لنفسه ، و بعث به رسله ، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، و إلى عبادته . وأن تكفر باللات والعزى . فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسول الله (ص) أن يفشى عليه سره قبل ان يستعلن امره . فقال له : يا على إذ لم تسلم[1] فاكتم . فمكث علىّ تلك الليلة ، ثم إن الله اوقع فى قلب على الاسلام ، فاصبح غاديا إلى رسول الله (ص) حتى جاءه فقال ماذا عرضت على يا محمد ؟ فقال له رسول الله (ص) : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الانداد » ففعل علىّ واسلم ، ومكث يأتيه على خوف من ابى طالب وكتم على اسلامه ولم يظهره ، وأسلم ابن حارثة — يعنى زيداً — فمكثا قريباً من شهر يختلف على إلى رسول الله (ص) ، وكان

(١) فى المصرية : اذ لم تسمع فاكتم .

مما أنعم الله به على علىّ أنه كان فى حجر رسول الله (ص) قبل الاسلام .

قال ابن اسحاق : حدثنى ابن أبى نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنعم الله به على علىّ أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله (ص) لعمه العباس ـ وكان من أيسر بنى هاشم ـ « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله » فاخذ رسول الله (ص) عليا فضمه اليه ، فلم يزل مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علىّ وآمن به وصدقه . وقال يونس بن بكير عن محمد ابن اسحاق حدثنى يحيى بن أبى الاشعث الكندى ـ من أهل الكوفة ـ حدثنى اسماعيل بن أبى إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف ـ وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه ـ أنه . قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فاتيته ابتاع منه وابيعه ، قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلى تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : ياعباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به . قال عفيف فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا . وتابعه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال : فى الحديث : إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام خديجة وراءه . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبيد المحاربى حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد ابن عبدة البجلى عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه ، فقلت ياعباس أمر عظيم ! فقال أمر عظيم . فقال أتدرى من هذا ؟ فقلت لا ، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى ، أتدرى من الغلام ؟ قلت لا . قال هذا على ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى . وهذا حدثنى أن ربك رب السماء والارض أمره بهذا الذى تراه عليه ، وايم الله ما أعلم على ظهر الارض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثنى ابن حميد حدثنا عيسى بن سوادة بن ابى الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبو حازم والكلبى . قالوا : على أول من أسلم . قال الكلبى : اسلم وهو ابن تسع سنين وحدثنا

ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله (ص) وصلى معه وصدقه على بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان فى حجر رسول الله (ص) قبل الاسلام . قال الواقدى أخبرنا ابراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : اسلم علىّ وهو ابن عشر سنين قال الواقدى : واجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الامة خديجة وأول رجلين اسلما أبو بكر وعلى ، وأسلم علىّ قبل أبي بكر ، وكان على يكتم إيمانه خوفا من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسلمت ؟ قال نعم ! قال وازر ابن عمك وانصره . قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الاسلام . وروى ابن جرير فى تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى علىّ . وحدثنا عبد الحميد بن يحيي حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قال : بعث النبى (ص) يوم الاثنين وصلى علىّ يوم الثلاثاء وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الانصار - سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) على بن أبي طالب قال فذكرته للنخعى فانكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر ، لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن اسماعيل الرازى عن عبيد الله بن موسى الفهمى - وهو شيعى من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الازدى الكوفى - وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال على بن المدينى روى أحاديث منا كير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الاسدى الكوفى - فقد قال فيه على بن المدينى هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى فيه نظر . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله على رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلا والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الامة أبو بكر الصديق ، والجمع بين الاقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات - وقيل الرجال أيضا - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان على بن أبي طالب . فانه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظما ، ورئيسا فى قريش مكرما ، وصاحب مال ، وداعية إلى الاسلام . وكان محبباً متألفا يبذل المال فى طاعة الله ورسوله كما سيأتى تفصيله . قال يونس عن ابن اسحاق ثم إن أبا بكر الصديق لقى رسول الله (ص) ، فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفهك

عقولنا ، وتكفيرك آبائنا ؟ فقال رسول الله (ص.) : « بلى إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لا بلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر. فاسلم وكفر بالاصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله (ص.) قال : « ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ماعكم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » عكم — أى تلبث — وهذا الذى ذكره ابن اسحاق فى قوله فلم يقر ولم ينكر ، منكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله (ص.) قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية اسلامه فى كتابنا الذى افردناه فى سيرته وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى (ص.) من الاحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة . وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة وفيه . فقال رسول الله (ص.) : « إن الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبى » مرتين . فما أوذى بعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه وقد روى الترمذى وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألست أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ؟ وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو اسحاق السبيعى عن الحارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى (ص.) من الرجال على بن أبى طالب . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبى (ص.) أبو بكر الصديق . رواه احمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة وقال الترمذى حسن صحيح وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب . قال عمرو بن مرة فذكرته لابراهيم النخعى فانكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وروى الواقدى باسانيده عن أبى أروى الدوسى وأبى مسلم بن عبد الرحمن فى جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدى حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول

عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :

إذا تذكّرتُ شجْواً من أخي ثقةٍ فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا
خيرَ البريّةِ أوفاها وأعدَلَها بعدَ النبيّ وأولاها بما حملا
والتاليُ الثانيُ المحمودُ مشهدُه وأولُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسُلا
عاشَ حميداً لأمرِ الله متَّبعاً بأمرِ صاحبِهِ الماضي وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو - سئل ابن عباس - أى الناس أول اسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره. وهكذا رواه الهيثم بن عدى عن مجالد عن عامر الشعبى سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوى حدثنى سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة بن ابى عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم اسلاما أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال ابراهيم النخعى ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن ابراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم اسلاما ، ولكن كان أفضلهم اسلاما . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة . وثبت فى صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر . قال : رأيت رسول الله (ص) وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر . و روى الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود . قال : أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله (ص) ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، و بلال ، والمقداد . فاما رسول الله (ص) فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، الا بلالا فانه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . وهكذا رواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا . فاما مارواه ابن جرير قائلا أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حبلة[1] عن ابراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن محمد بن سعد بن أبى وقاص . قال قلت لابى أكان أبو بكر أولكم اسلاما قال : لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا اسلاما . فانه حديث منكر اسناداً ومتنا . قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد ابن حارثة ، ثم روى من طريق الواقدى عن ابن أبى ذئب ، سألت الزهرى من أول من أسلم من النساء ؟ قال خديجة . قلت فمن الرجال ، قال زيد بن حارثة . وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير

(١) فى الاصلين حبلة بالمهملة وفى ابن جرير جبلة بالجيم نقلا عن محمود الامام

واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الاقوال بان أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه و يألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه و يجلس اليه فاسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله (ص) ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا فى الاسلام صدقوا رسول الله (ص) وآمنوا بما جاء من عندالله . وقال محمد بن عمر الواقدى حدثنى الضحاك ابن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى عن ابراهيم بن محمد بن أبى طلحة . قال قال طلحة بن عبيدالله حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظهر احمد بعد؟ قلت ومن احمد ؟ قال ابن عبدالله بن عبدالمطلب هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ ، فاياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبى قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبى بكر ، فقلت اتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو إلى الحق ، فاخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله (ص) فاسلم طلحة ، وأخبر رسول الله (ص) بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية — وكان يدعى أسد قريش ـ فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبى (ص) : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية » رواه البيهقى . وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسى حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمرى قاضى المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد ابن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيدالله حدثنى أبى عبيد الله حدثنى عبد الله [بن محمد] بن عمران ابن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثنى أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله (ص) وكان له صديقا فى الجاهلية ، فلقيه فقال

يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها . فقال رسول الله (ص) : « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله (ص) وما بين الاخشبين أحد أكثر سروراً منه باسلام أبى بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فاسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبى سلمة بن عبد الاسد والأرقم بن أبى الارقم فاسلموا رضى الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثنى أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت : لما اجتمع أصحاب النبى (ص) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله (ص) فى الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (ص) وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله (ص) جالس فكان أول خطيب دعا الى الله و إلى رسوله (ص) وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين و يحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة و بنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله (ص) ؟ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما خلت به الحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله (ص) ؟ فقالت والله مالى علم بصاحبك . فقال اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله و إن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وكفر ، و إنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله (ص) ؟ قالت هذه أمك تسمع ، قال فلا شئ عليك منها ، قالت سالم صالح . قال أين هو ؟ قالت فى دار ابن الارقم ، قال فان لله على أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله (ص) . فامهلتا حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله (ص) ، قال فأكب عليه رسول الله (ص) فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله (ص) رقة شديدة . فقال أبو بكر بابى وأمى يارسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، وأنت مبارك

فادعها إلى الله وادع الله لهـا عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعا لها رسول الله (ص.) ودعاها إلى الله فاسلمت ، وأقاموا مع رسول الله (ص.) فى الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله (ص.) لعمر بن الخطاب — أو لأبى جهل بن هشام — فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فاسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله (ص.) وأهل البيت تكبيرة سمعت باعلا مكة ، وخرج أبو الارقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول : اللهم اغفر لبنى عبيد الارقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يارسول الله على ما نخفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهى تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون اليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل اصبعه فى عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التى كان يجالس فيها فيظهر الايمان ، ثم انصرف إلى النبى (ص.) وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بابى وأمى والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الايمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله (ص.) وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف إلى دار الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبى ص) . والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك فى السنة السادسة من البعثة كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية اسلام أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد . وثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة عن عمرو ابن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله (ص.) فى أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفى ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبى ، فقلت وما النبى ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلك ؟ قال نعم قلت بما أرسلك ؟ قال بان تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام ، وتوصل الارحام . قال قلت نعم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد — يعنى أبا بكر وبلالا — قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ربع الاسلام . قال فاسلمت ، قلت فاتبعك يارسول الله ، قال لا ولكن الحق بقومك ، فاذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بابى بكر وبلال فقط فيه نظر ، فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربع الاسلام بحسب علمه فان

المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحـد من قراباتهم دع الاجانب دع أهل البادية من الاعراب والله أعـلم . وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سـعد بن أبى وقاص يقول : ما أسلم أحـد فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام و إنى لثلث الاسلام . أما قوله ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه فسهل ، و يروى إلا فى اليوم الذى أسلمت فيـه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحـد بالاسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة و زيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الاجماع على تقدم اسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الاثير . ونص أبو حنيفة رضى الله عنـه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام و إنى لثلث الاسلام فمشكل وما أدرى على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله اعلم . وقال ابو دواد الطيالسى حدثنا حماد بن سـلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله — وهو ابن مسعود — قال : كنت غـلاما يافعا ارعى غنما لعقبة بن ابى معيط بمكة . فاتى علىّ رسول الله (ص.) وابو بكر — وقد فرا من المشركين — فقال — أو فقالا — عندك ياغلام لبن تسقينا ؟ قلت إنى مؤتمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعـد ؟ قلت نعم ! فاتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخـذ رسول الله (ص.) الضرع ودعا فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقيانى ثم قال للضرع اقلص فقلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله (ص.) فقلت علمنى من هذا القول الطيب — يعنى القرآن — فقال : « إنك غلام معلم » فاخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد . وهكذا رواه الامام احمـد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود به . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الاصبهانى حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمـد بن عمر حدثنى جعفر ابن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه — أو عن محمـد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان — . قال : كان اسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول اخوته اسلم . وكان بدء اسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعـلم به . ويرى فى النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله (ص.) آخـذا بحقويه لا يقع ، ففزع من نومه فقال احلف بالله ان هـذه لرؤيا حق ، فلقى ابا بكر بن ابى قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير هذا رسول (ص.) فاتبعه فانك ستتبعه وتدخل معه فى الاسلام ، والاسلام يحجزك ان تدخل فيها وابوك واقع فيها فلقى رسول الله (ص.) وهو باجياد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا

يدرى من عبده ممن لا يعبـده » . قال خالد : فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله (ص.) باسلامه ، وتغيب خالد وعـلم أبوه باسلامه ، فارسل فى طلبـه فأتى به . فأنبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت : فقال خالد إن منعتنى فان الله يرزقنى ما اعيش به ، وانصرف إلى رسول الله (ص.) فـكان يكرمه ويكون معه .

اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)

قال يونس بن بكير عن محمـد بن اسحاق حدثنى رجل ممن اسلم ـ وكان واعية ـ ان أباجهل اعترض رسول الله (ص.) عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسـه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا ابا جهل منـه ، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة ومن يمنعنى وقد استبان لى منه ما اشهد أنه رسول الله (ص.) وأن الذى يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين . فقال أبو جهـل : دعوا أبا عمارة فانى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله(ص.)قد عز وامتنع فـكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة فى ذلك شعراً [(١)] .

قال ابن اسـحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سـيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ماصنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله (ص.). فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلى على مالا أدرى ماهو أرشد أم هو غى شديد ؟ فحدثنى حديثا فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثنى ، فاقبل رسول الله (ص.) فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فالقى الله فى قلبه الايمان بما قال رسول الله (ص.) . فقال :أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فاظهر يا ابن أخى دينك فوالله ماأحب أن لى ماأظلته السماء ، وأنى على دينى الاول . فـكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

---

(١) لم يذكر هنا شعر حمزة وذكر السهيلي فى الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف . الخ

ذكر اسلام أبى ذر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومى حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبى زُميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبى ذر . قال : كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله (ص) فقلت : السلام عليك يارسول الله أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله (ص) . هذا سياق مختصر وقال البخارى اسلام أبى ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن المثنى عن أبى حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله (ص) قال لاخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء . فاسمع من قوله ثم ائتنى فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبى ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر . فقال ما شفيتنى مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس رسول الله (ص) ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه علىّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى (ص) حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به علىّ فقال أما آن للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فاقام معه فقال ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟ قال إن أعطيتنى عهداً وميثاقا لترشدنى فعلت . ففعل فاخبره . قال فانه حق وأنه رسول الله (ص) فاذا أصبحت فاتبعنى فانى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى (ص) ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبى (ص) : « ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك امرى » فقال والذى بعثك بالحق لاصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى باعلا صوته اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه ، فاتى العباس فاكب عليه فقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا اليه فاكب العباس عليه هذا لفظ البخارى . وقد جاء اسلامه مبسوطا فى صحيح مسلم وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ـ وكان يحلون الشهر الحرام ـ أنا وأخى أنيس وأمنا

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لناذى مال وذى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن الينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك اليهم أنيس . فجاء خالنا فنثى ما قيل له [(١)] فقلت له أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ، ولاجماع لنا فيما بعد . قال : فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكى قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها ، وقد صليت يابن أخى قبل أن ألقى رسول الله (ص) ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت فأين توجه ؟ قال حيث وجهنى الله . قال واصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاء [(٢)] حتى تعلونى الشمس قال فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقنى حتى آتيك قال فانطلق فراث علىّ ، ثم أتانى فقلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال فقلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولوا إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له هل أنت كافىّ حتى انطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنعوا له وتجهموا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابئ ؟ قال فأشار إلى فمال أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب احمر ، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع قال فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتتا علىّ وهما يدعوان اساف ونائلة . فقلت : انكحوا أحدهما الآخر فما ثناها ذلك ، فقلت وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن . قال : فانطلقتا يولولان و يقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، قال فاستقبلهما رسول الله (ص) وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال مالكما ؟ فقالتا الصابئ بين الكعبة واستارها قالا ما قال لكما ؟ قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال وجاء رسول الله (ص) هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال قلت من غفار ، قال فاهوى بيده فوضعها على جبهته قال فقلت فى نفسى كره أن أنتميت إلى غفار ، قال فاردت أن آخذ بيده فقذفنى صاحبه وكان أعلم به منى ، قال متى كنت ههنا ؟ قال قلت

---

(١) فى النهاية : من حديث أبى ذر فجاء خالنا فنثى علينا الذى قيل له أى أظهره الينا وحدثنا به .

(٢) فى النهاية وفى حديث أبى ذر . سقطت كأنى خفا ، الخفاء الكساء .

كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة و يوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع . قال قال رسول الله (ص) : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال فقال أبو بكر ائذن لى يارسول الله فى طعامه الليلة قال ففعل قال فانطلق النبى (ص) وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت : فقال رسول الله (ص) : « إنى قد وجهت إلى ارض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك و يأجرك فيهم ؟ » . قال فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال فقال لى ما صنعت ؟ قال قلت صنعت أنى أسلمت وصدقت ، قال فما بى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا فقالت ما بى رغبة عن دينكما فانى قد اسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فاسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله (ص) المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قدم رسول الله (ص) أسلمنا ، قال فقدم رسول الله (ص) فاسلم بقيتهم قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذى اسلموا عليه ، فقال رسول الله (ص) « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة اسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر اسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر اسلام ضماد

روى مسلم والبيهقى من حديث داود بن أبى هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى ؟ فلقيت محمداً فقلت إنى أرقى من هذه الرياح ، وأن الله يشفى على يدى من شاء فهلم . فقال محمد : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة . وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الاسلام . فبايعه رسول الله (ص) فقال له وعلى قومك فقال وعلى قومى فبعث النبى (ص) جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة . فقال ردها عليهم فانهم قوم ضماد . وفى رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناموس البحر

وقد ذكر أبو نعيم فى دلائل النبوة اسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبى الارقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر — وهى صغيرة — وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعمير بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة [1] بن مخرمة التيمى ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأبو احمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته اسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فكيهة ابنة يسار [2] ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف [3] . وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى ، وخالد ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث ، وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله (ص) عاقلا ، وهم حلفاء بنى عدى ابن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن اسحاق : ثم أمر الله رسوله (ص) بعد ثلاث سنين من البعثة بان يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله (ص) إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جمل فشجه ، فكان أول دم أهريق فى الاسلام . وروى الاموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

---

(١) فى السيرة لابن هشام : اسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمية .

(٢) وفي ابن هشام : حاطب بن الحارث وامرأته فاطمه بنت المجلل .

(٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

﴿ باب ﴾

الامرُ بابلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وارسال الرسول الاعظم اليهم وذكر ما لقى من الاذية منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم

قال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل إنى برئ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم) . وقال تعالى : (و إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقال تعالى : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث فى هذا كثيرة جداً . وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير ، و بسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) . وأوردنا أحاديث جمة فى ذلك ، فمن ذلك . قال الامام احمد : حدثنا عبدالله ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبى (ص.) الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يجئ اليه و بين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله (ص.) : « يابنى عبدالمطلب يا بنى فهر ، يا بنى كعب أرأيتم لوأخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا نعم ! قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب — لعنه الله — تبالك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبى لهب وتب) وأخرجاه من حديث الاعمش به نحوه . وقال احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعا رسول الله (ص.) قريشا فعم وخص . فقال : « يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فانى والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها » و رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة عن أبى هريرة ، وله طرق أخر عن أبى هريرة فى مسند احمد وغيره . وقال احمد أيضا حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة

رضى الله عنها . قالت : لما نزل (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قام رسول الله (ص.) فقال : « يافاطمة بنت محمد ، ياصفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم » ورواه مسلم أيضا . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال فحدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل ـ واستكتمنى اسمه ـ عن ابن عباس عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص.) [وأنذر عشيرتك الاقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين] . قال رسول الله (ص.) : « عرفت انى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » . قال فدعانى فقال « ياعلى إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فاصنع لنا ياعلىّ شاة على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عس لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فاخذ رسول الله (ص.) منها حذية فشقها باسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فاكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله (ص.) : « اسقهم يا على » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله (ص.) أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص.) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص.) : « عدلنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله (ص.) كما صنع بالامس ، فاكلوا حتى نهلوا عنه وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله (ص.) أسقهم ياعلى ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص.) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص.) : « ياعلى عد لنا بمثل الذى كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله (ص.) كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها . ثم قال رسول الله (ص.) : « يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بافضل من ما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا

رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازى عن سلمة بن الفضل الابرش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن على فذكر مثله . و زاد بعد قوله : « و إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه ، فايكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا . قال فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولأنى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحمشهم ساقا ، أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » . قال فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقون . ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثى عن عبدالله ابن عبد القدوس عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث . قال قال على : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قال لى رسول الله (ص) : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، و إناء لبنا ، وأدع لى بنى هاشم فدعوتهم و إنهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو أربعون و رجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : و بدرهم رسول الله (ص) الكلام . فقال : « أيكم يقضى عنى دينى و يكون خليفتى فى أهلى ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال و إنى يومئذ لاسوأهم هيئة ، و إنى لاعمش العينين ، ضخم البطن ، خمش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم . وقد روى الامام احمد فى مسنده من حديث عباد بن عبد الله الاسدى و ربيعة بن ناجذ عن على نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم . ومعنى قوله فى هذا الحديث : من يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى يعنى إذا مت ، وكأنه (ص) خشى إذا قام بابلاغ الرسالة إلى مشركى العرب [1] أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، و يقضى عنه ، وقد أمنه الله من ذلك فى قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، و إن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية والمقصود أن رسول الله (ص) استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس فى أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم و فى المواسم ، ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،

(١) فى المصرية : بابلاغ مشركى العرب رسالة الله عن محمود الامام .

جميع الخلق فى ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من أتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الاقوياء من مشركى قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب — واسمه عبد العزى بن عبد المطلب — وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان وخالفه فى ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله (ص) أحب خلق الله اليه طبعا وكان يحنو عليه ويحسن اليه ، ويدافع عنه ويحامى ، ويخالف قومه فى ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا طبعيا لا شرعياً . وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركى قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولاجترؤا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء اليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا ، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب . ولكن هذا يكون فى القيامة فى ضحضاح من نار ، وذلك فى الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة فى كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ فى المواعظ والخطب . تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب . قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه . قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل — وكان جاهليا فاسلم — قال : رأيت رسول الله (ص) فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد بنحوه . وقال البيهقى أيضاً حدثنا أبو طاهر الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلى . قال : رأيت رسول الله (ص) بذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبو لهب . ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » واذا رجل خلفه يسفى عليه التراب ، واذا هو أبو جهل ، واذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان فى غاية الشفقة والحنو الطبيعى كما سيظهر من صنائعه ، وسجاياه ، واعتماده

فيما يحامى به عن رسول الله (ص) وأصحابه رضى الله عنهم . قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرنى عقيل بن أبى طالب . قال جاءت قريش الى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد ، فانطلقت اليه فاستخرجته من كنس ـ أو قال خنس ـ يقول بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر ، فلما أتاهم قال إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم فحلق رسول الله (ص) ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا . رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير . ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عنه به ـ وهذا لفظه ـ . ثم روى البيهقى من طريق يونس عن ابن اسحاق حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث . أن قريشاً حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) . فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر الا أطيق أنا ولا أنت . فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله (ص) أن قد بدا لعمه فيه ، وانه خاذله ومسلمه ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله (ص) : « يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله (ص) : يا ابن أخى فاقبل عليه ، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبداً . قال ابن اسحاق ثم قال أبو طالب فى ذلك :

والله لنْ يَصِلوا اليكَ بِجَمْعِهم ... حتى أُوَسَّد فى الترابِ دَفينا
فامضي لأمرِكَ ماعليكَ غضاضةٌ ... أبشرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عيونا
ودعوتَني وعلمتُ أنك ناصحي ... فلقدْ صدقتَ وكنتَ قِدْمُ أمينا
وعرضتَ دِيناً قد عرفتُ بأنه ... من خيرِ أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حِذَاري سُبّةً ... لوجدتَني سمحاً بذاك مُبينا

ثم قال البيهقى وذكر ابن اسحاق لأبى طالب فى ذلك أشعارا ، وفى ذلك دلالة على أنّ الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه فى دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه .

وقال يونس بن بكير : حدثنى محمد بن اسحاق حدثنى رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعاً وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس فى قصة طويلة جرت بين مشركى مكة و بين رسول الله (ص) فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ،

وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا . وسب آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله (ص) ينتظره ، وغدا رسول الله (ص) كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام . فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه و بين الشام . فقام رسول الله (ص) يصلى ، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله (ص) احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعاً لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت اليه رجال من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته [1] ، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى . قال ابن اسحاق : فذكر لى أن رسول الله (ص) قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله ابن أبى فروة عن أبان بن صالح عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبدالمطلب . قال : كنت يوما فى المسجد فاقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال : إن لله على إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله (ص) حتى دخلت عليه فاخبرته بقول أبى جهل ، فخرج غضابانا حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم شر ، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله (ص) فقرأ (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) فلما بلغ شأن أبى جهل (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فقال إنسان لابى جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء على فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة سجد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا » . و رواه البخارى عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبى (ص) وهو يصلى . فقال : ألم أنهك أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى ، فانتهره النبى (ص) . فقال جبريل : (فليدع ناديه سندع الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب . رواه احمد والترمذى وصححه النسائى من طريق داود به . وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن

---

(١) قصرته : أى عنقه واصل رقبته .

عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلى لاتينه حتى أطأ عنقه ، قال فقال : « لو فعل لاخذته الزبانية عيانا » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبى اسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ من الآية (لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) . فجاء النبى (ص) يصلى فقيل ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بينى و بينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبى هند عن أبى حازم عن أبى هريرة . قال قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله (ص) وهو يصلى ليطأ على رقبته . قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، و يتقى بيديه ، قال فقيل له مالك ؟ قال ان بينى و بينه خندقا من نار وَهَوْلاً وأجنحة . قال فقال رسول الله (ص) : « لودنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا - (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) الى آخر السورة وقد رواه احمد ومسلم والنسائى وابن أبى حاتم والبيهقى من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى به . وقال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبى اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله (ص) دعا على قريش غير يوم واحد ، فانه كان يصلى و رهط من قريش جلوس ، وسلا جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة ابن أبى معيط أنا ، فاخذه فالقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره . فقال رسول الله (ص) : « اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بابى جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط ، اللهم عليك بابى بن خلف - أوأمية بن خلف - » شعبة الشاك قال عبدالله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبى - أو أمية بن خلف - فانه كان رجلا ضخما فتقطع . وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به . والصواب أمية بن خلف فانه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبى إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه - والسلا هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفى بعض الفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما القته عنه أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه (ص) لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما

رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه (ص) دعا على الملأ منهم جملة وعين فى دعائه سبعة . وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبة أبنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبى معيط ، وأمية بن خلف . قال ابن اسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته فى صحيح البخارى .

قصة الأراشي (١)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنا عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى . قال : قدم رجل من إراش بإبل له الى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها . فاقبل الاراشى حتى وقف على نادى قريش و رسول الله (ص) جالس فى ناحية المسجد . فقال : يامعشر قريش مَنْ رجل يعدينى على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به (٢) إلى رسول الله (ص) لما يعلمون ما بينه و بين أبى جهل من العداوة ، اذهب اليه فهو يعديك عليه . فاقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله (ص) فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله (ص) حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فاخرج ! فخرج اليه وما فى وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذى له . قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله (ص) وقال للاراشى الحق لشأنك . فاقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً ، فقد أخذت الذى لى ، وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجبا من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : اعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ، ثم خرجت اليه و إن فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكلنى .

فصل

وقال البخارى حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى الاوزاعى عن يحيى بن أبى

---

(١) الاراشى نسبة الى إراش بالكسر والشين معجمة موضع حكاه ياقوت . (٢) هذا نص الحلبية بالزاى المعجمة وفى المصرية : يهرون .

كثير عن محمد بن ابراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير . سألت ابن العاص فقلت : أخبرنى باشد شئ صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبى (ص) يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة ابن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى (ص) وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية . تابعه ابن اسحاق قال أخبرنى يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبى سلمة حدثنى عمرو ابن العاص . قال البيهقى وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة . انفرد به البخارى . وقد رواه فى أماكن من صحيحه وصرح فى بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق . حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عروة ، قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله (ص) فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله (ص) فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم ـ أو كما قال ـ قال فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله (ص) فاقبل يمشى حتى أستلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله (ص) فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها فى وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها . فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح »[1] . فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله (ص) حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله (ص) فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله (ص) : « نعم أنا الذى أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر ينكى دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

---

(١) فى الحلبية : بالذبح مهملة وفى ابن هشام : بالذبيح .

فصل

فى تأليب الملأ من قريش على رسول الله (ص.) وأصحابه واجتماعهم بعمه أبى طالب القائم فى منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه اليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس . قال قال رسول الله (ص.) : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال » . وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذى حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق : وحدب على رسول الله (ص.) عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله (ص.) على أمر الله مظهراً لدينه لا يرده عنه شئ ، فلما رأت قريش أن رسول الله (ص.) لا يعتبهم من شئ أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البخترى ـ واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، والاسود بن المطب بن أسد بن عبدالعزى ، وأبو جهل ـ واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم .
قال ابن اسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وأما أن تخلى بيننا و بينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب : قولا رفيقا ، وردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله (ص.) على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم سرى الامر بينهم و بينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله (ص.) بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله (ص.) ولا خذلانه .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا الذى قالوا له ، فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ، قال فظن رسول الله (ص) أنه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله (ص) : « ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أوأهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب . فقال : أقبل يابن أخى ، فاقبل عليه رسول الله (ص) . فقال : اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشئ أبداً . قال ابن اسحاق . ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذ لان رسول الله (ص) واسلامه واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوته مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له — فيما بلغنى — : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدفتى فى قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ؟ وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فنقتله فانما هو رجل برجل ! قال : والله لبئس ما تسوموننى ؟ أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك — أو كما قال — فحقب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكرما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قُلْ لعمرٍ والوليدِ ومُطعِمٍ	ألا ليتَ حظّي من حياطتكم بكر
من الخورِ حبحابٌ كثيرٌ رغاؤه	يرشّ على الساقين من بولِهِ قَطر
تخلّفَ خلفَ الوِردِ ليسَ بلاحقٍ	إذ ما علا الفَيفاءَ قيلَ له وبر
أرى أخوَينا من أبينا وأمِّنا	إذا سُئلا قالا إلى غيرِنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تجرْجما	كما جَرجمتْ من رأسِ ذي عَلَقَ الصخر
أخصّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونوفلاً	هما نَبذانا مثلَ ما نُبِذَ الجمر
هما أغمزا للقومِ فى أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفر
هما أشركا فى المجدِ من لا أبالَهُ	من الناسِ إلا أن يرسّ له ذِكر

وتَيمٍ ومخزومٍ وزُهرةَ منهم ... وكانُوا لنا مولًى إذا بُغيَ النصر
فوالله لا تنفكّ منّا عداوةٌ ... ولا منكمُ ما دامَ مِن نَسلِنا شَفْرُ

قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما (١)

فصل

في مبالغتهم في الاذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل من أصحاب رسول الله (ص.) الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله (ص.) بعمه أبى طالب . وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم و بنى عبدالمطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص.) والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدو الله . فقال فى ذلك يمدحهم و يحرضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله (ص.):

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
وإن حصلتْ اشرافُ عبدِ منافِها ... ففي هاشمٍ اشرافُها وقديمُها
وإن فخرتْ يوماً فانّ محمداً ... هو المصطفى من سِرّها وكريمها
تداعتْ قريشٌ غثُّها وسمينُها ... علينا فلم تظفرْ وطاشَتْ حلومها
وكنّا قديماً لانُقِرُّ ظُلامةً ... اذ ما ثَنَوا صُعْرَ الرقابِ نُقيمُها
ونحمي حِماها كلَّ يومِ كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها مَن يرومها
بنا انتعشَ العُودُ الزواءُ وإنما ... بأكنافِنا تَندَى وتَنمى أرومُها

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله (ص.) ، وما تعنتوا له فى أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولاما اليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم

---

(١) فى هذه القطعة اختلاف بين الاصلين و بينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الاصل النسخة الحلبية الا ما كان خطأ فنعتمد فيه على ابن اسحاق فالبيت الخامس منها أثبتناه كما فى الاصلين وفى ابن اسحاق جرجما .

يعمهون ، ولظلوا فى غيهم وضلالهم يترددون . قال الله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عنـد الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ونقلب أفئـدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائـكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبـلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولـكن أكثرهم يجهلون) .

وقال تعـالى : [إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العـذاب الأليم] . وقال تعـالى : [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً] . وقال تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تـكون لك جنـة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائـكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا] وقد تـكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها فى أماكنها فى التفسير ولله الحمد . وقد روى يونس وزياد عن ابن اسحاق عن بعض أهل العلم — وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبى محمد — عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع علية من أشراف قريش ـ وعدد أسماءهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الـكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فـكلموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليـكلموك ، فجاءهم رسول الله (ص.) سريعا وهو يظن أنه قـد بدالهم فى أمره بدء ، وكان حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم . فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا اليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الاحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تـكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملـكا ملـكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكان يسمون التابع من الجن الرئى ـ فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله (ص.) : « مابى ما تقولون . ماجئتكم بماجئتكم به أطلب أموالـكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولـكن الله بعثنى اليـكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لـكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لـكم ، فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظـكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » — أو كما قال رسول الله (ص.) — فقالوا يامحمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك

فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا ، ولا أشد عيشا منا . فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله (ص) « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم » قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما نراك تبتغى فانك تقوم فى الاسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم » . قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد ماعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك و يعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، و إنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا اليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب — فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوك لانفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب . فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لاأصدقك . ثم انصرف عن رسول الله (ص) وانصرف رسول الله (ص) إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا اقتضت الحكمة الالهية ، والرحمة الربانية ، الا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون

بذلك فيعاجلهم بالعذاب * كما قال الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله (ص.) أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، فقيل له إن شئت أن تستأنى بهم ، و إن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الامم . قال : « لا بل أستأنى بهم » فانزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) الآية . وهكذا رواه النسائى من حديث جرير . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبى (ص.) : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعلوا ؟ قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام و يقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ، و إن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة والرحمة » . وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد . و روى الامام احمد والترمذى من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيي بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن[1] أبى أمامة عن النبى (ص.) قال : « عرض على ربى عز وجل أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يا رب أشبع يوما وأجوع يوما — أو نحو ذلك — فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، و إذا شبعت حمدتك وشكرتك » لفظ احمد . وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف فى الحديث .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى شيخ من أهل مصر — قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة — عن عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء . فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله (ص.) ووصفا لهم أمره و بعض قوله ، وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، و إن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه ، و إن لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا فى

(١) فى الاصلين : القاسم بن أبى أمامة ، و إنما هو القاسم بن عبدالرحمن مولى بنى أمية الدمشقى ولم يرو عن أحد من الصحابة غيره .

أمره ما بدا لكم . فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئنا كم بفصل ما بينكم و بين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاخبراهم بها ، فجاؤا رسول الله (ص) فقالوا : يامحمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله (ص) : « أخبركم غداً بما سألتم عنه » ولم يستثن . فانصرفوا عنه ومكث رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث له فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله (ص) مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى [و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا] . وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير مطولا فمن أراده فعليه بكشفه من هناك . ونزل قوله [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً] ثم شرع فى تفصيل أمرهم واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا فى قوله [ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ثم قال (و يسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال فى سورة سبحان (و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها كونى فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله (ص) بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية ـ فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا ـ و إن كان نزولها متقدما ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففى قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ولما خشى أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة و بمكانه منها ، و تودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى شعره أنه غير مسلم لرسول الله (ص) ، ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لاودَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسائل

وقد صارحُونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المُزايل

وقد حالَفوا قوماً علينا أظِنَّةً ... يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاوِل

وأحضرتُ عندالبيتِ رهطي وأخوتي ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

قياماً معاً مُستقبلينَ رِتاجَه … لدى حيث يَقضي حَلفَه كلّ نافل
وحيثُ يُنيخ الأشعرون ركابَهم … بمفضى السيولِ من إسافٍ ونائل
موسّمةَ الاعضادِ أو قُصُراتها … مخيَّسة بين السّديسِ وبازل
ترى الودْعَ فيها والرخامَ وزينةً … بأعناقها معقودةً كالعثا كل (١)
أعوذُ بربّ الناس من كلّ طاعنٍ … علينا بسوءٍ أوملحٍّ بباطل
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمَعيبةٍ … ومن مُلحِقٍ فى الدين مالم نحاول
وثورٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانه … وراقٍ ليرقى فى حِراءَ ونازل
وبالبيتِ حقّ البيت من بطن مكةٍ … وبالله إنّ اللهَ ليس بغافل
وبالحجَر المسودّ إذ يمسحونه … إذا اكتنفوهُ بالضحى والأصائل
وموطئُ ابراهيمَ فى الصخر رطبةً … على قدميه حافياً غير ناعل
وأشواطٍ بين المروَتيْن إلى الصّفا … وما فيهما مِن صورةٍ وتماثل
ومن حجّ بيتَ الله من كل راكب … ومن كل ذي نَذرٍ ومن كل راجل
وبالمشعَرِ الاقصى إذا عمدوا له … إلالَ إلى مُفضي الشّراجِ القوابل
وتَوقافُهم فوقَ الجبال عشيّةً … يُقيمون بالايدي صدورَ الرواحل
وليلة جمعٍ والمنازلُ من مِنًى … وهل فوقَها من حُرمةٍ ومنازل
وجمعٍ إذا ما المقرَبات أجزْنه … سِراعاً كما يخرجْن من وقع وابل
وبالجمرةِ الكُبرى إذا صَمدوا لها … يؤمّون قَذْفا رأسَها بالجنادل
وكندةَ إذْ هم بالحِصاب عشيّة … تجيزبهم حجّاجُ بكربن وائل
حليفانِ شدّا عقدَ ما احتلفا له … وردّا عليه عاطفاتِ الوسائل
وحطمهمُ سُمرَ الرماحِ وسرحَه … وشبرقَه وخدَ النعامِ الجوافل
فهل بعدَ هذا من معاذٍ لعائذ … وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عادل
يطاع بنا أمر العدا ودّ أننا … يسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيتِ اللهِ نترك مكةً … ونظعنُ الا أمرُكم فى بلابل
كذبتم وبيتِ الله نُبذي محمدا … ولمّا نطاعنْ دُونَه ونناضل
ونسلمُه حتى نصرّعَ حوله … ونَذهلَ عن أبنائِنا والحلائل
وينهضَ قومٌ بالحديد اليكمُ … نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصل

(١) فى الاصل : العثا كل . وصححناه من سيرة ابن هشام والعشكول : العنق .

وحتى نرى ذا الضِّغن يركب ردْعَه ... من الطّعن فعلَ الأنكبِ المتحامل
وإنا لعمرُ الله إن جدّ ما أرى ... لَتلْتَبِساً أسيافُنا بالاماثل
بكفّي فتىً مثلِ الشهابِ سَمَيْدع ... أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسل
شهوراً وأياماً وحَولاً محرّماً ... علينا وتأتي حجةٌ بعد قابل
وما تركُ قومٍ ـ لا أبالك ـ سيداً ... يحوط الذمارَ غيرَ ذربٍ مواكل
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمالِ اليتامى عِصمةٍ للأرامل
يلوذُ به الهُلاك من آل هاشم ... فهمْ عنده فى رحمةٍ وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيدٌ وبكرُه ... إلى بُغضِنا وجزآنا لآكل
وعثمانُ لم يَربَعْ علينا وقُنفذٌ ... ولكنْ أطاعا أمرَ تلك القبائل
أطاعا أبياً وابنَ عبدِ يغوثِهم ... ولم يرقبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لقينا من سُبَيْعٍ ونوفلٍ ... وكلٌّ تولى مُعرضا لم يجامل
فان يلقيا أو يُمكِنِ اللهُ منهما ... نكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المكايل
وذاك أبو عمرو أبَى غيرَ بُغضنا ... ليُظعِننا فى أهلِ شاءٍ وجامل
يناجي بنا فى كل مُمسىً ومصبحٍ ... فناجِ أبا عمروٍ بنا ثم خاتل
ويؤلي لنا بالله ما أن يغشنا ... بلى قد تراه جهرةً غيرَ خائل
أضاقَ عليه بغضنا كلَّ تلعةٍ ... من الأرض بينَ أخشبَ فمجادل
وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حبوتَنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنتَ امرءاً ممن يعاش برأيه ... ورحمتِه فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ ... حسودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذى دغاول
ومرَّ أبو سفيانَ عنّيَ معرضا ... كما مرَّ قيلٌ من عظام المقاول
يفرّ إلى نجدٍ وبردِ مياهه ... ويزعم أني لستُ عنكم بغافل
ويخبرنا فعلَ المناصحِ أنه ... شفيقٌ ويخفي عارماتِ الدواخل
أمطعمُ لم أخذلْك فى يوم نجدةٍ ... ولا معظِمٍ عندَ الأمور الجلائل
ولا يومَ خصمٍ إذ أتوك ألدّةً ... أولي جدلٍ من الخصوم المساجل
أمطعم إن القومَ ساموك خطةً ... وإني متى أوكَلْ فلستُ بوائل
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلا ... عقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجل
بميزان قسطٍ لا يخيسُ شعيرةً ... له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائل

لقد سفهتْ أحلامُ قومٍ تبدلوا — بني خَلَفٍ قيضاً بنا والغياطل
ونحن الصميمُ من ذؤابةِ هاشم — وآلِ قصيّ فى الخطوب الاوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألّبوا — علينا العِدى من كل طَمْلٍ وخامل
فعبدَ منافٍ أنتم خيرُ قومكم — فلا تُشركوا فى أمركم كلَّ واغل
لعمري لقد وهنتُم وعجزتم — وجئتُم بأمرٍ مخطئٍ للمفاصل
وكنتم حديثاً حَطبَ قدْرٍ وأنتم — الآنَ أحطابُ أَقدُرٍ ومَراجل
ليَهنِ بني عبدِ منافٍ عقوقُنا — وخذلانُنا وتركُنا فى المعاقل
فان نكُ قوماً نَتَّئِرْ ما صنعتمُ — وتحتلبوها لَقحةً غير باهل
[(١) وسائطُ كانتْ فى لؤيّ بن غالبٍ — نفاهم إلينا كلُّ صقْرٍ حلاحل
ورهطُ نُفيل شرُّ من وطئ الحصى — وألأم حافٍ من معدّ وناعل]
فأبلغ قصيّا أن سينشَر أمرُنا — وبشِّر قصيّاً بعدنا بالتخاذل
ولو طرقتْ ليلاً قصياً عظيمةٌ — إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
ولو صَدَقوا ضرباً خِلال بيوتهم — لكنّا أسىً عندَ النساء المطافل
فكلّ صديقٍ وابن اختٍ نعدّه — لعمري وجدنا غِبَّه غيرَ طائل
سوى أن رهطا من كلابِ بن مرّة — براءٌ الينا من معقّةِ خاذل
[(٢) وهنّالهمّ حتى تبدَّد جمعهم — ويحسَرَ عنا كلّ باغٍ وجاهل
وكان لنا حوضُ السقاية فيهم — ونحن الكُدى من غالبٍ والكواهل
شبابٌ من المطيَّبين وهاشم — كبيض السيوفِ بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفكوا دماً — ولا حالفوا إلا شِرار القبائل
بضربٍ ترى الفتيانَ فيه كأنهم — ضواري أسودٍ فوقَ لحمِ خرادل
بني أمةٍ محبوبةٍ هندَ كيّة — بني جمح عُبَيْد قيس بن عاقل
ولكننّا نسل كرامٌ لسادة — بهم نعيَ الاقوامُ عند البواطل]
ونعم ابنَ أُختِ القومِ غير مكذَّب — زهير حساماً مفرَداً من حمائل
اشمّ من الشمِّ البهاليلِ ينتمي — إلى حسَبٍ فى حومةِ المجد فاضل
لعمري لقد كلِّفتُ وجْداً باحمدٍ — وإخوته دَأْبَ المحبِّ المواصل

(١) لم يرد هذان البيتان فى الاصلين، وزدناهما من سيرة ابن هشام.

(٢) هذه الابيات السبعة لم ترد فى الاصلين، وزدناها من سيرة ابن هشام.

فمن مثلُه فى الناس أيّ مؤمَّل ... إذا قاسَه الحُكّام عند التفاضل

حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

كريمُ المساعي ماجدٌ وابن ماجد ... له إرثُ مجدٍ ثابتٍ غير ناصل

وأيّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهرَ ديناً حقُّه غير زائل

فوالله لولا أنْ أجيءَ بسُبَّةٍ ... تجرُّ على أشياخنا فى المحافل

لـكنّا تَبِعناه على كل حالة ... من الدهر جِدّاً غير قولِ التهازل

لقد عَلِموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنَى بقولِ الأباطل

فاصبحَ فينا أحمدُ فى أرومةٍ ... يقصِّرُ عنها سَوْرةُ المتطاول

حَدِبتُ بنفسي دونه وحميتُه ... ودافعت عنه بالذُّرَى والـكلا كل

قال ابن هشام: هذا ما صح لى من هذه القصيدة و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت اليه، وهى أفحل من المعلقات السبع، وابلغ فى تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الاموي فى مغازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم [1].

فصل

قال ابن اسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله (ص) من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ومنهم من يصلب لهم و يعصمه الله منهم، فـكان بلال مولى أبى بكر لبعض بنى جمح مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح، واسم امه حمامة، وكان صادق الاسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا

(١) فى سيرة ابن هشام زيادة على ما أورده المؤلف من هذه القصيدة واختلاف فى بعض الألفاظ وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذه القصيدة نسخ مطبوعة على حدتها فليرجع اليها من أراد ذلك و زاد ابن هشام هذه الابيات:

فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل

رجال كرام غير ميل نمامم ... إلى الخير آباء كرام المحاصل

فان تك كعب من لؤى صقيبة ... فلا بد يوما مرة من تزايل

تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد (ص.) ، وتعبد اللات والعزى فيقول : ـ وهو فى ذلك ـ أحد أحد . قال ابن اسحاق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد ، فيقول أحد أحد والله يابلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى ، واسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة ببلال ، وهو يعذب وفيه نظر . ثم ذكر ابن اسحاق مرور أبى بكر ببلال وهو يعذب ، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء ، منهم بلال ، وعامر بن فهيرة ، وأم عميس [1] التى أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها ، والنهدية وابنتها اشتراها من بنى عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهى تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر : حل يا أم فلان ، فقالت حل أنت أفسدتهما فاعتقهما . قال فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا اليها طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده اليها ؟ قال : ذلك إن شئتما . واشترى جارية بنى مؤمل ـ حى من بنى عدى ـ كان عمر يضربها على الاسلام . قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله . قال قال أبو قحافة لابنه أبى بكر : يابنى إنى أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال فقال أبو بكر : يا أبة إنى إنما أريد ما أريد . قال : فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود . قال أول من أظهر الاسلام سبعة ، رسول الله (ص.) وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، و بلال ، والمقداد فاما رسول الله (ص.) فمنعه الله بعمه ، وأبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فانه هانت عليه نفسه فى الله تعالى ، وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد . ورواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا .

قال ابن اسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت اسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة . فيمر بهم رسول الله (ص.) فيقول ـ فيما بلغنى ـ :

(١) كذا فى الاصلين . والصحيح أن الذى أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلى بكسر الزاى وتشديد النون فكأنها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عميس .

« صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » وقد روى البيهقى عن الحاكم عن ابراهيم بن عصمة العدل حدثنا السرى بن خزيمة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام بن أبى عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر ان رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فان موعدكم الجنة » فاما أمه فيقتلوها فتأبى الا الاسلام . وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان فى أول الاسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة فى قلبها . وهذا مرسل .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفلين رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن كان تاجراً قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفا ضر به وأغرى به لعنه الله وقبحه . قال ابن اسحاق : وحدثنى حكيم بن جبير عن عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (ص) من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ قال نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفى مثل هذا أنزل الله تعالى [من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب اليم] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته . وقال الإمام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت . قال : كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين ، فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فانى إذا مت ثم بعثت جئتنى ولى ثم مال وولد فاعطيك ؟ فانزل الله تعالى (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً) أخرجاه فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به . وفى لفظ البخارى كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث . وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا بنان واسماعيل . قالا * سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول : أتيت النبى (ص) وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه . فقال : « قد كان من كان قبلكم ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما

يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هـذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله عز وجـل » زاد بنان « والذئب على غنمه » وفى رواية « ولـكنكم تستعجلون » انفرد به البخارى دون مسلم . وقـد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق عن سعيد ابن وهب عن خباب . قال شكونا إلى النبى (ص.) شدة الرمضاء فما أشكانا — يعنى فى الصلاة — وقال ابن جعفر : فلم يشكنا . وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبى اسحاق قال سمعت سـعيد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله (ص.) الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة يعـنى فى الظهيرة . ورواه مسلم والنسائى والبيهقى من حـديث أبى اسحاق السبيعى عن سعيد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله (ص.) حرالرمضاء . ـ زاد البيهقى فى وجوهنا واكفنا ـ فلم يشكنا . وفى رواية شكونا إلى رسول الله (ص.) الصلاة فى الرمضاء فلم يشكنا . ورواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع عن الاعمش عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب العبدى عن خباب . قال : شكونا إلى رسول الله (ص.) حر الرمضاء فلم يشكنا . والذى يقع لى ـ والله أعلم ـ أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا اليه (ص.) ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغـير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن اسحاق وغـيره ، وسألوا منه (ص.) أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم فى الحالة الراهنة وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره فى الاقاليم والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجـل والذئب على غنمه ، ولـكنكم تستعجلون . ولهذا قال شكونا إلى رسول الله (ص.) حر الرمضاء فى وجوهنا واكفنا فلم يشكنا ، أى لم يدع لنا فى الساعة الراهنة ، فمن استدل بهذا الحديث على عدم الابراد أو على وجوب مباشرة المصلى بالـكف كما هو أحـد قولى الشافعى ففيه نظر والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله (ص.) وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم فى أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحودا

قال اسحاق بن راهوايه : حـدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختيانى عن عكرمة عن ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (ص.) فقرأ عليه القرآن ، فـكأنه رق له فبلغ

ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالاشعار منى ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه مغدق أسفله ، و إنه ليعلو ولا يعلى ، و إنه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : ان هذا الا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت (ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) الآيات هكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعانى بمكة عن اسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلا . فيه أنه قرأ عليه [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] وقال البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قول بعضكم بعضا . فقيل : يا أبا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقوم به ، فقال بل أنتم فقولوا وأنا اسمع . فقالوا نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقال نقول شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ماهو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لمغدق ، وان فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وان اقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، و بين المرء وأبيه ، و بين المرء و زوجته ، و بين المرء وأخيه ، و بين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد لاحذروه اياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله فى الوليد (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهودا) الآيات وفى أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى اخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم [بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هوشاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون] فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شئ يقولونه باطل ، لأن

من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) . وقال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنى أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا على ابن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندى عن الذيال بن حرملة الاسدى عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا لرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله (ص) . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله (ص) . قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة [1] قط اشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحراً ، وان فى قريش كاهنا . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى : أيها الرجل إن كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله (ص) : « فرغت ؟ » قال نعم ! فقال رسول الله (ص) [بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون] الى ان بلغ [فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود] . فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه الا كلمته . قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقى وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وان كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال : (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عقبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا صبأ الى محمد واعجبه طعامه ، وما ذاك الا من حاجة اصابته ، انطلقوا بنا اليه فاتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب واقسم بالله لا يكلم محمدا ابداً . وقال : لقد علمتم أنى

---

(١) كذا فى الاصلين . وفى النهاية السخل : المولود المحبب الى أبويه .

من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيته وقص عليهم القصة فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب ، نخفت أن ينزل عليكم العذاب . ثم قال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليما . قال ـ ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله (ص.) جالس وحده في المسجد ـ : يا معشر قريش الا أقوم الى هذا فاعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا . قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله (ص.) فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله (ص.) من المال والملك وغير ذلك . وقال زياد بن اسحاق فقال : عتبة يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (ص.) يزيدون ويكثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقم اليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله (ص.) فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب ، وأنك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله (ص.) « يا أبا الوليد اسمع » . قال : يا ابن أخي إن كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ـ حتى اذا فرغ عتبة . قال له النبي (ص.) : « افرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم ! قال اسمع مني ، قال افعل ! فقال رسول الله ص.) : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله (ص.) يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله (ص.) الى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟ » قال سمعت . قال : « فانت وذاك » ثم قام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلسوا اليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش ،

أطيعونى واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهانى أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمى بمكة حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر الطيالسى حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله (ص) على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت اذناى كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . ثم روى البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثنى الزهرى . قال : حدثت أن أبا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلى بالليل فى بيته ، فاخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم فى نفسه شيئا . ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما اصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذى حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا احمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله (ص) أنى امشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله (ص)

فقال رسول الله (ص) لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله والى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك . فانصرف رسول الله (ص) . وأقبل عليّ فقال : والله اني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن [يمنعني] شيء . إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة . فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا السقاية ، فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا الندوة ، فقلنا نعم . ثم قالوا فينا اللواء ، فقلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا . حتى إذا تحاكّت الركب قالوا منا نبي ، والله لا أفعل .

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال اخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم حدثنا محمد ابن خالد حدثنا احمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق . قال : مر النبي (ص) على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان . فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بني عبد شمس . قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبي ؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيا ، ورسول الله (ص) يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان ، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للاصل . وأما أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك . هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل — لعنه الله — كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه [وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ، أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها . وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا] .

وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : نزلت هذه الآية ورسول الله (ص) متوارٍ بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد (ص) (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلي ـ تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو ، وهو يصلي ، استرق السمع ، دونهم فَرَقا منهم ، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فان خفض رسول الله (ص) لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فانزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا)

باب

هجرة أصحاب رسول الله ، من مكه الى ارض الحبشة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسوله (ص.) ،ومنعه بعمه أبي طالب ، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة . و روى الواقدى أن خروجهم اليها فى رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار الى الحبشة . وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله (ص.) وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزى ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم ، و[يقال بل أبو] حاطب بن عمرو[٢] ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ، سوى نسائهم وابنائهم ، وعمار بن ياسر ، نشك. فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله (ص.) ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبى طالب ؛ وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ـ حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص.) الى أرض الحبشة مخافة الفتنه ، وفراراً الى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت فى الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله (ص.) . وكذا روى البيهقى من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبرى عن بشر بن موسى[١] عن الحسن ابن زياد البرجمى حدثنا قتادة. قال : أول من هاجر الى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ـ يعنى أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله (ص.) الى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله (ص.) خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته . قال : « على أى حال رأيتهما ؟ »

---

(١) وفى ز : عن يونس بن عيسى . (٢) التصحيح عن ابن هشام والاصابه عن محمود الامام

قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله (ص) : « صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن أبى حذيفة ـ والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة ـ حليف آل الخطاب ، وهو من بنى عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ـ وهو أول من قدمها فيما قيل ـ وسهيل بن بيضاء . فهولاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغنى . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الاولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله (ص) إلى الشعب ، وفى هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبى طالب إنما كان فى الهجرة الثانية اليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهى الهجرة الثانية ـ كما سيأتى بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر ابن أبى طالب فيمن خرج ثانيا . وما ذكره ابن اسحاق من خروجه فى الرعيل الاول أظهر كما سيأتى بيانه والله أعلم . لكنه كان فى زمرة ثانية من المهاجرين أولا ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشى وغيره ، كما سنورده مبسوطا . ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق الكنانى ، وأخوه خالد ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى . وولدت له بها سعيداً ، وأمة التى تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان ، ومعيقيب بن أبى فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص قال ابن هشام : وهو من دوس . قال وأبو موسى [الاشعرى] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن

ربيعة . ومتكلم معه فى هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمعة بن الاسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، وجهم بن قيس العبدوى ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر ابن الحارث بن كلدة ، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهرى ، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الاسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومى - قال وإنما سمى شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الاسد المخزومى ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبى ربيعة ابن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بنى مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنها من غيره ؛ وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذى يقال له شرحبيل ابن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل ابن سعيد ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ابن عدى ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد ابناء الحارث ، وسعيد بن قيس ابن عدى لامه وهو سعيد بن عمرو التميمى ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم سعيد بن سهم ، وحليف لبنى سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدى ، ومعمر بن عبد الله العدوى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخرمة العامرى ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامرى ، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وسهيل بن بيضاء - وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال

ابن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير ابن ابى شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ، وأخوه الحارث الفهريون . [١]

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ـ ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه.

قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الاشعرى فيمن هاجر من مكة الى أرض الحبشة غريب جداً . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبى اسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : بعثنا رسول الله (ص) الى النجاشى ، ونحن نحواً من ثمانين رجلا ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى فاتوا النجاشى . و بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له : إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالا : فى أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث الينا رسولا ثم أمرنا إن لا نسجد لاحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فانهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، قال فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه ؟ قال نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التى لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال فرفع عوداً من الارض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما سوى هذا ، مرحبا بكم و بمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله (ص) . وأنه الذى نجد فى الانجيل . وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ، ثم تعجل عبدالله ابن مسعود حتى أدرك بدراً . وزعم أن النبى (ص) استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن . وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم . وقد روى عن أبى اسحاق السبيعى من وجه آخر .

(١) وقع اختلاف بين الاصلين و بينهما و بين السيرة لابن هشام فى اسماء المهاجرين وعددهم وحيث المؤلف اسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق احد الاصلين مع ابن هشام اعتمدناه .

فقال الحافظ أبو نعيم فى الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلى حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل . وحدثنا أبو احمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن ابراهيم ـ هو ابن راهويه ـ حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عن أبى بردة عن أبى موسى . قال : أمرنا رسول الله ص.) أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى ، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشى هدية وقدما على النجاشى فاتياه بالهدية ، فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك . قال لهم النجاشى فى أرضى ؟ قالا نعم ! فبعث الينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فانتهينا الى النجاشى ، وهو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقسيسون جلوس سماطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما انتهينا الى النجاشى قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشى : وما ذاك ؟ قال إن الله بعث فينا رسولا ـ وهو الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه احمد ، فامرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر . فاعجب النجاشى قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، فقال النجاشى لجعفر : مايقول صاحبكم فى ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التى لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد : فتناول النجاشى عوداً من الارض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول فى ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فانا أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا فى أرضى ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلا قصيراً ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا فى البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلنى . فقال له عمرو : الا تستحى ؟ فاخذ عمارة عمراً فرمى به فى البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو فى ذلك . فقال عمرو للنجاشى : إنك إذا خرجت خلفك عمارة فى أهلك ، فدعا النجاشى بعمارة فنفخ فى إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى لدلائل من طريق أبى على الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر باسناده مثله إلى

قوله : فامر لنا بطعام وكسوة . قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى : أنهم بلغهم مخرج رسول الله (ص) وهم باليمن فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين رجلا فى سفينة ، فالقتهم سفينتهم إلى النجاشي بارض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامره جعفر بالاقامة ، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله (ص) زمن خيبر . قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر و بين النجاشي ، فاخبر عنه . قال ولعل الراوى وهم فى قوله : أمرنا رسول الله (ص) أن ننطلق والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى فى باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فاقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي (ص) حين افتتح خيبر ، فقال النبي (ص) : « لكم أنتم أهل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن بَرّاد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي اسامة به ، وروياه فى مواضع أخر مطولا والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فان الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتى . فاما رواية جعفر فانها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندى عن أبي الحسين بن النقور عن أبي طاهر المخلص عن أبي القاسم البغوى . قال حدثنا أبو عبدالرحمن الجعفى عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلى عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له ـ ونحن عنده ـ : قد صار اليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم الينا ، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث الينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان ، وإن الله بعث الينا رسولا فآمنا به وصدقناه . فقال لهم النجاشي أعبيدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا لا . قال فخلوا سبيلهم . قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون فى عيسى غير ما تقول ، قال إن لم يقولوا فى عيسى مثل قولى لم أدعهم فى أرضى ساعة من نهار . فارسل الينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الاولى ، قال مايقول صاحبكم فى عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول : هو روح الله وكلمته القاها إلى عذراء بتول ، قال فارسل فقال ادعوا لى فلان القس ، وفلان الراهب . فاتاه ناس منهم فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقالوا أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي — وأخذ شيئا من الارض — قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحداً ؟ قالوا نعم ! فنادى مناد من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم ؟ قلنا لا ، فأضعفها . قال فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله ص قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل اليه ، فردنا . قال نعم ! فحملنا وزودنا . ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله . وقل له يستغفر لي . قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ص واعتنقني ، ثم قال : « ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ؟ » ووافق ذلك فتح خيبر ، ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا ؟ فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لي قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ص فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات « اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون آمين . ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فاخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ص . ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله ص وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ص لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل اليه شئ مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ص : « إن بارض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » فخرجنا اليها ارسالا حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلما . فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمنا ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هيئوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا اليه هداياه فان استعطتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا اليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فاذا نحن كلمناه فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل . ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون اليه من مكة الأدم ـ وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا اليه فرساً وجبة ديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه . قالوا له: أيها

الملك : إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجئوا إلى بلادك ، وقد بعثنا اليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فانهم أعلا بهم عيناً ، فانهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا الى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم و بينهم ، ولم أنعم عينا ـ [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بان يردهم اليهم . فقال : لا والله ! حتى اسمع كلامهم واعلم على أى شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى مالكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانا من قومكم ؟ فاخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال فما دينكم ؟ قالوا الاسلام . قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله الينا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء واداء الامانة ، ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الاوثان ، ففررنا اليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما التحية فان رسول الله (ص) أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحيي بعضنا بعضا . واما عيسى ابن مريم فعبد الله و رسوله وكلمته ألقاها الى مريم و روح منه وابن العذراء البتول . فاخذ عودا وقال : والله مازاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا ، وما أطاع الله الناس فى حين رد على ملكى فاطع الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن اسحاق [1]] فارسل اليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شئ ابغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا (ص) كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له النجاشى : ماهذا الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ، ولا نصرانية . فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من

---

(١) مابين المربعين زيادة من النسخة المصريه .

بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لانحل شيئا ولا نحرمه . فبعث الله الينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وامانته فدعانا الى أن نعبد الله وحده لاشريك له ونصل الارحام ونحمى الجوار ونصلى لله عزوجل، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال زياد عن ابن اسحق : فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال ـ فعدوا عليه أمور الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لاشريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ماحرم علينا واحللنا ماأحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا و يردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا و بين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك و رغبنا فى جوارك و رجونا أن لانظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشى : هل معك شئ مما جاء به ؟ وقد دعا اساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر ! نعم : قال هلم فاتل على مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشى حتى أخضلت لحيته و بكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما استأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون ان إلهه الذى يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبدالله بن أبى ربيعة : لاتفعل فانهم وان كانوا خالفونا فان لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لافعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما ، فارسل اليهم فسلهم عنه . فبعث والله اليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له فى عيسى ان هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذى قاله الله فيه ، والذى أمرنا نبينا ان نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله و رسوله و روحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . فدلى النجاشى يده الى الارض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخرت بطارقته . فقال : وان تناخرتم والله ! اذهبوا فانتم سيوم فى الارض ـ السيوم الآمنون فى الارض ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا ما أحب أن لى دبرا و إنى آذيت رجلا منكم ـ والدبر بلسانهم الذهب . وقال زياد عن ابن اسحاق ما احب أن لى دبراً من ذهب . قال

ابن هشام : ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم . ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى ، ولا أطاع الناس فى فاطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها . واخرجا من بلادى نخرجا مقبوحين مردودا عليهما ماجآ به . قالت : فاقمنا مع خير جار فى خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، فوالله ماعلمنا حزنا حزناً قط هو أشد منه ، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لايعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشى نخرج اليه سائراً فقال أصحاب رسول الله (ص) بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير — وكان من أحدثهم سنا — أنا ، فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ، فجعل يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر الى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشى عليه . فجائنا الزبير فجعل يليح لنا بردائه ويقول ألا فابشروا ، فقد اظهر الله النجاشى . قلت : فوالله ماعلمنا [أننا] فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشى ثم اقمنا عنده حتى خرج من خرج منا الى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهرى : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدرى ماقوله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فى فاطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ماحدثنى ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فان عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشى ولد غير النجاشى فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو انا قتلنا ابا النجاشى وملكنا أخاه فان له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشى بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً الا قتله ، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا الى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وانا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما ان تقتله واما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم . بل اخرجه من بلادكم . نخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه فى سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف نخرج عمه يتمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته ففزعوا الى ولده فاذاهم محمقون ليس فى أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ان ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فان كان لكم بأمر الحبشة

حاجة فادركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه فادركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا على مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك . فقال : اذا والله لا كلمنه ، فمشى اليه فكلمه فقال أيها الملك انى ابتعت غلاماً فقبض منى الذى باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا على مالى ، فكان أول ماخبر به من صلابة حكمه وعدله ان قال : لتردن عليه ماله . أو لتجعلن يد غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة حين رد على ملكى ، وما أطاع الناس فىّ فاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير فاوصى الى أخيه أن اليك ملك قومك حتى يبلغ ابنى ، فاذا بلغ فله الملك فرغب أخوه فى الملك فباع النجاشى من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشى حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصرا وسياق ابن اسحق أحسن وابسط فالله أعلم . والذى وقع فى سياق ابن اسحاق انما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، والذى ذكره موسى بن عقبة والاموى وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله (ص) حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره (ص) وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الاشعرى . والمقصود انهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسنا فاصطحبا فى السفينة وكان عمارة طمع فى امرأة عمرو ابن العاص ، فألقى عمراً فى البحر ليهلكه فسبح حتى رجع اليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة فى المهاجرين من النجاشى ، وكان عمارة قدتوصل إلى بعض أهل النجاشى فوشى به عمرو فأمر به النجاشى فسحر حتى ذهب عقله وساح فى البرية مع الوحوش . — وقد ذكر الاموى — قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلنى أرسلنى والامت فلما لم يرسله مات من ساعته فالله إعلم . وقد قيل أن قريشا بعثت إلى النجاشى فى أمر المهاجرين مرتين الاول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبى ربيعة . نص عليه أبو نعيم فى الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهرى ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشى رضى الله عنه وأرضاه إلى شئ مما سألوا فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشى أبياتا يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألا ليتَ شعريِ كيفَ فى النأي جعفرُ　وعمرو وأعداءُ العدوّ الاقارب

وما نالتَ أفعالُ النجاشيّ جعفراً　وأصحابَهُ أو عاقَ ذلك شاغِبُ

ونعلم ، ابيتَ اللعن أنك ماجدٌ　كريمٌ فلا يَشقى اليكَ المُجانِب

ونعلم بانّ اللهَ زادك بسطةً　وأسبابَ خيرٍ كلّها بك لازِب

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضى الله عنهم . وقال زياد البكائى عن ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها . قالت لما مات النجاشى كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازى عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشى رضى الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق : حدثنى جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فارسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله فى قبائه عند المنكب الايمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال ؟ فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشى - ووضع يده على صدره على قبائه - : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعنى على ما كتب ،فرضوا وأنصرفوا . فبلغ رسول الله (ص) فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله (ص) نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخارى : موت النجاشى حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله (ص) - حين مات النجاشى - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفى بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفى رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر [1] وكان عبداً صالحا لبيبا زكيا وكان عادلا عالما رضى الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشى مصحمة وفى نسخة صححها البيهقى اصحم وهو بالعربية عطية

(١) فى الاصلين : اصحمة بن ابجر والتصحيح عن القاموس نقلا عن محمود الامام .

قال و إنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ولعله يريد به قيصر فانه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة و بطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لانه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه (ص) . قالوا : فالغايب ان كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي (ص) في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فالله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضى الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [1] التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روى أن النبي (ص) قال « والله ما أدرى بايهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضى الله عنه إلى النبي (ص) وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الاشعرى وقومه من الاشعريين رضى الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذومخترا أو ذومخمرا أرسله ليخدم النبي (ص) عوضا عن عمه رضى الله عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفى النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم . وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة . قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام رسول الله (ص) يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الاوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو .

---

(١) كذا في الاصلين . ولعل العبارة (في السنة التي الخ) .

قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج اليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصحمة يزعم أن صاحبكم نبى .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله (ص.) ، وردهم النجاشى بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله (ص.) وبحمزة حتى غاظوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه . قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائى حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم . قال قال ابن مسعود : إن اسلام عمر كان فتحا ، و إن هجرته كانت نصراً ، و إن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله (ص.) إلى الحبشة . حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم ! والله لنخرجن فى أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما ارى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت فى اسلامه قالت قلت نعم ! قال لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام .

قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا فى قصة اسلام عمر وحده رضى الله عنه ، وسياقها فانه قال : وكان اسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد اسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بنى عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله (ص.) ورهطا من أصحابه

فذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله (ص) عمه حمزة وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله (ص) بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .
فلقيه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر ؟ قال أريد محمداً هذا الصابى الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتى ، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله اسلما وتابعا محمداً (ص) على دينه ، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم - أو فى بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها : فلما دخل قال ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له ما سمعت شيئا . قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه و بطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله و رسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى ، وقال لاخته أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمدا ؟ وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها ، قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه فقالت يا أخى إنك نجس على شركك ، و إنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً . قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج اليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه (ص) ، فانى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بابى الحكم بن هشام — أو بعمر بن الخطاب — فالله الله ياعمر فقال عند ذلك : فدلنى ياخباب على محمد حتى آتيه فاسلم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله (ص) وأصحابه فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله (ص) فنظر من خلل الباب فاذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله (ص) وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة فاذن له فان كان جاء يريد خيراً بذلناه و إن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله (ص) « ايذن له » فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله (ص) حتى لقيه فى الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة

فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر يارسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ، قال فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله (ص) من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله (ص) ، وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك : أن اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباعداً وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمراً فاشرب منها ، فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو انى جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين ، قال فجئت المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود واليمانى ، قال فقلت حين رأيته والله لو انى استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لاروعنه . فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله (ص) قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبى وبكيت ودخلنى الاسلام ، فلم أزل فى مكانى قائما حتى قضى رسول الله (ص) صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ـ وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية ـ . قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته . فلما سمع حسى عرفنى فظن أنى انما اتبعته لاوذيه ، فنهمنى[1] ثم قال ماجاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عندالله قال فحمد الله رسول الله (ص) ثم قال : « قد هداك الله ياعمر » ثم مسح صدرى ودعالى بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول (ص) بيته . قال ابن اسحاق فالله أعلم أى ذلك كان.

قلت : وقد استقصيت كيفية اسلام عمر رضى الله عنه وماورد فى ذلك من الاحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتها على حدة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق وحدثنى نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش انقل للحديث ؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه ، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كلما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : اعلمت يا جميل انى أسلمت ودخلت فى دين

---

(١) النهم : الزجر والنهيم زجر الاسد .

محمد (ص) ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ باعلا صوته يا معشر قريش ـ وهم فى انديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبا . قال يقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد اسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . قال وطلح [1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبأ عمر ، قال فمه ؟ رجل اختار لنفسه امراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال فقلت لأبى بعد أن هاجر الى المدينة : يا ابة من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك؟ قال : ذاك أى بنى العاص بن وائل السهمى ، وهذا اسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت احد فى سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله (ص) عشرون رجلا وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه و رجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله (ص) عما أرادوا ، دعاهم رسول الله (ص) الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، مانعلم ركبا أحمق منكم ـ أو كما قال ـ قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان . ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) .

---

(١) وطلح : أى أعيي كذا فى النهاية فى تفسيره هذا الخبر .

فصل

قال البيهقى فى الدلائل : باب ما جاء فى كتاب النبي (ص.) الى النجاشى ، ثم روى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله (ص.) إلى النجاشى [1] الاصحم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله و رسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله فانى أنا رسوله فاسلم تسلم [يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون] فان أبيت فعليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقى بعد قصة هجرة الحبشة وفى ذكره ههنا نظر ، فان الظاهر أن هذا الكتاب انما هو إلى النجاشى الذى كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب الى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب الى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، و إلى كسرى ملك الفرس ، والى صاحب مصر ، و إلى النجاشى . قال الزهرى : كانت كتب النبى (ص.) اليهم واحدة ؛ يعنى نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهى من سورة آل عمران ، وهى مدنية بلا خلاف فانه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها فى وفد نجران كما قررنا ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثانى لا إلى الأول ، وقوله فيه الى النجاشى الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوى بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقى أيضا عن الحاكم عن أبى الحسن محمد بن عبد الله الفقيه ـ بمرو ـ حدثنا حماد بن احمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق . قال : بعث رسول الله (ص.) عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى الاصحم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فانى احمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، و إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى فتؤمن بى و بالذى جاءنى فانى رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فاذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر فانى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى ،

---

(١) فى المصرية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله الى الخ وقوله الاصحم كذا فى الاصلين وتقدم فى ص ٧٧ أنه أصحمة .

والسلام على من اتبع الهدى. فكتب النجاشي إلى رسول الله (ص): بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن أبجر سلام عليك يانبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الاسلام فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والارض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت اليك يا نبي الله باريحا ابن الاصحم بن أبجر فاني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله، فاني أشهد أن ما تقول حق.

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله (ص) وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله (ص)، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق.

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (ص) علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله. فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ص)، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم اليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص)، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ص) فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالا له، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله (ص) وأمر رسول الله (ص) أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجالٌ من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا

بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه ، و بعث الله على صحيفتهم الارضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق . و يقال كانت معلقة فى سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته ، و بقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عزوجل رسوله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لابى طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبنى فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) . فتكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فاتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فعله أن يكون بيننا و بينكم صلح ، و إنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله (ص) مدفوعا اليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فانما قطع بيننا و بينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقالوا أبو طالب : إنما أتيتكم لاعطيكم أمراً لكم فيه نصف ، إن أبن أخى أخبرنى ـ ولم يكذبنى ـ إن الله برئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحا كل اسم هوله فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فان كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، و إن كان الذى قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه أو استحييتم . قالوا : قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ص) قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله (ص) والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعلم إن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف و بنى قصى و رجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى و زهير بن أبى أمية بن المغيرة و زمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ـ فى رجال من اشرافهم و وجوههم : نحن برءاء مما فى هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم و يمدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد و يمتدح النجاشى .

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعنى من طريق ابن لهيعة عن أبى

الاسود عن عروة بن الزبير — يعنى كسياق موسى بن عقبة رحمه الله — وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله (ص) لهم فى ذلك فالله أعلم.

قلت: والاشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقى من طريق يونس عن محمد بن اسحاق. قال: لما مضى رسول الله (ص) على الذى بعث به وقامت بنو هاشم و بنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا و يسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم و بنو المطلب وعرفت قريش أنلا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم و بنى عبدالمطلب أن لاينا كحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فاوثقوهم وآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة و زلزلوا زلزالا شديداً ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شعب أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الارضة فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أكلته و بقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان فاخبر الله تعالى بذلك رسول الله (ص) فاخبر بذلك عمه أبو طالب، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم.

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا منه امناوقراراً. وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله (ص) وأصحابه، وجعل الاسلام يفشو فى القبائل فاجتمعوا وأئتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. قال ابن هشام: ويقال النضر ابن الحارث، فدعا عليه رسول الله (ص) فشل بعض أصابعه. وقال الواقدى: كان الذى كتب الصحيفة طلحة بن أبى طلحة العبدوى.

قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق، وهو الذى شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: أنظروا إلى منصور بن عكرمة. قال الواقدى: وكانت الصحيفة

معلقة فى جوف الكعبة. قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم . وحدثنى حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول ـ فى بعض مايقول ـ يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يديه فيقول تبالكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) . قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنّى على ذاتِ بينِنا ... لؤيّاً وخُصّا من لؤيّ بني كَعْب

ألم تعلموا أنّا وجدْنا محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ فى أول الكتب

وأن عليه فى العبادِ محبة ... ولا خيرَ ممّن خصَّه الله بالحب [١]

وأن الذي الصقْتُموا من كتابكم ... لكم كائنٌ نحساً كراغيةِ السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفَر الثرى ... ويصبحَ من لم يجنِ ذنباً كذي الذنب

ولا تَتْبعوا أمرَ الوشاةِ وتقطعوا ... أواصرَنا بعدَ المودّة والقُرْب

وتستَجلِبوا حرباً عَواناً وربما ... أمَرَّ على من ذاقه حَلَبُ الحرب

فلسنا وربِّ البيتِ نُسْلِم أحمداً ... لعزّاءَ من عضّ الزمانِ ولا كَرْب

ولما تَبِنْ منّا ومنكمُ سوالفٌ ... وأيدٍ أُترّتْ بالقساسيةِ الشُّهب

بمعتَرَكٍ ضيقٍ ترى كِسَر القنا ... به والنسورَ الطُّخْمَ يَعكِفن كالشَّرب

كأنّ ضِحالَ الخيل فى حَجَراته ... ومعمعةَ الابطالِ معركةُ الحرب

أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزرَه ... وأوصى بنيه بالطِّعان و بالضرب

ولسنا نملّ الحربَ حتى تملَّنا ... ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النكب

ولكنّنا أهلُ الحفائظِ والنُّهى ... إذا طارَ أرواحُ الكماةِ من الرُّعب

قال ابن اسحاق : فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ولم يصل اليهم شىء الا سراً مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقى حكيم بن

(١) قال السهيلى قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جداً . وأشبه ما يقال فى البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت . وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لاخير أخير ممن خصه الله الخ.

حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله (ص) فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد . فقال : مالك وله . فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم فقال له أبو البخترى طعام كان لعمته عنده بعثت به اليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل قال فابى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فاخذ أبو البخترى لحى بعير فضر به فشجه ووطئه وطئا شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص) وأصحابه فيشمتون بهم و رسول الله (ص) على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً مناديا بامر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس . فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم و بنى عبد المطلب دونه وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من البطش به يهمزونه و يستهزؤن به و يخاصمونه وجعل القرآن ينزل فى قريش باحداثهم وفيمن نصب لعداوته ، منهم من سمى لنا ومنهم من نزل القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار. فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) السورة بكمالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قوله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً) فيه . وقد تقدم شئ من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقوله للنبى (ص) لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن آلهتك ونزول قول الله فيه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية . والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ــ ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلى ــ وجلوسه بعد النبى (ص) فى مجالسه حيث يتلو القرآن و يدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضر شيئا من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفرس ، ثم يقول : والله ما محمد باحسن حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبها ، فانزل الله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) وقوله (ويل لكل أفاك أثيم) .

قال ابن اسحاق : وجلس رسول الله (ص) ــ فيما بلغنا ــ يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله (ص) فعرض له النضر ، فكلمه رسول الله (ص) حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون] . ثم قام رسول الله (ص) وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس . فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعرى : أما

والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أ كل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم [1] فذكر ذلك لرسول الله (ص). فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فى النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فانزل الله تعالى : [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون] أى عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) والآيات بعدها . ونزل فى إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى [ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون] وهذا الجدل الذى سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل ، فقوله : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التى كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم فى هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظا ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم قال (إن هو) أى عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أى بنبوتنا (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) أى دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بنى آدم من ذكر وأنثى كما قال فى الآية الاخرى (ولنجعله آية للناس) أى أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن اسحاق : الاخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه (ولا تطع كل حلاف مهين) الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث . قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو [2] الثقفى سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين . ونزل قوله فيه (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والتى بعدها ، وذكر أبى بن خلف حين قال لعقبة بن أبى معيط : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه وجهى من وجهك حرام إلا أن تتفل فى وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فانزل الله [ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى

(١) كذا فى الاصلين وفى ابن هشام ، ولعل الصواب (وخصم) .

(٢) كذا فى ح . وفى المصرية : عمرو بن عمر . وفى ابن هشام : عمر بن عمير .

اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا] والتي بعدها . قال ومشى أبي بن خلف بعظم بال قد أرم . فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله (ص) . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله و إياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى [وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] إلى آخر السورة . قال واعترض رسول الله (ص) - فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر . فانزل الله فيهم (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم . قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقم فانزل الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) قال : و وقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله (ص) و رسول الله (ص) يكلمه وقد طمع في اسلامه فمر به ابن أم مكتوم - عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة - الاعمى فكلم رسول الله (ص) وجعل يستقريه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (مرفوعة مطهرة) وقد قيل إن الذي كان يحدث رسول الله (ص) حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فالله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله (ص) جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى [وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم] وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح . قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبي (ص) بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخاري دون مسلم . وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت الاسود عن عبد الله . قال : قرأ النبي (ص) والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصاً - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيته بعد قتل كافرا

و رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث شعبة . وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه . قال قرأ رسول الله (ص) بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائى عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذى قبله بان هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذى استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم .

والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (ص) أعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن اسحاق اسماء من رجع منهم ؛ عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله (ص) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ـ وقد حبسا بمكة حتى مضت بدراً واحداً والخندق ـ وعمار بن ياسر ـ وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب ابن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق ـ وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة . وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ـ وقد حبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا ـ وأبو سبرة بن أبى رهم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سودة بنت زمعة ـ وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امرأته رسول الله (ص) ـ وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم . وقال البخارى وقالت عائشة قال رسول الله (ص) : « أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبى موسى واسماء رضى الله عنهما عن النبى (ص) وقد تقدم حديث أبى موسى وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث اسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله و به الثقة . وقال خارى حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال

كنا نسلم على النبي (ص) وهو يصلى فيرد علينا، فلما رجعنا من عنـد النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يارسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا؟ «قال إن فى الصلاة شغلا» وقـد روى البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الاعمش به، وهو يقوى تأويل من تأول حـديث زيد بن أرقم الثابت فى الصحيحين كنا نتـكلم فى الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتـين) فامرنا بالسكوت ونهينا عن الـكلام. على أن المراد جنس الصحابة فان زيداً أنصارى مدنى، وتحريم الـكلام فى الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمـل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهى مدنية فمشكل ولعـله اعتقد أنها المحرمة لذلك وانما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن اسحاق: وكان ممن دخـل معهم بجوار، عثمان بن مظعون فى جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الاسـد فى جوار خاله أبى طالب فان أمه برة بنت عبـد المطلب. فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيـه أصحاب رسول الله (ص) من البلاء وهو يروح ويغدو فى أمان من الوليد ابن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحى فى جوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والاذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كثير فى نفسى، فمشى الى الوليد بن المغـيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك. قال لم يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى قال لا ولـكنى أرضى بجوار الله عز وجـل، ولا أريد أن أستجير بغـيره. قال فانطلق الى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانيـة. قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة: هـذا عثمان قد جاء يرد على جوارى. قال صدق قـد وجدته وفيا كريم الجوار ولـكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضى الله عنـه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر فى مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

* ألا كل شئ ماخلا الله باطل *

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد:

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: ان هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما فقام اليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان. فقال: والله يا ابن أخى ان كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد

كنت فى ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخى الى جوارك فعد . قال : لا !.

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الاسد فحدثنى أبى اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بابى طالب مشى اليه رجال من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بى وهو ابن اختى وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى . فقام أبو لهب . فقال : يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لتقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله (ص) فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله (ص) ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله (ص) :

إن امرءاً أبو [(١)] عُتَيبةَ عمُّهُ ... لفي روضةٍ ما ان يُسامُ المظالما
أقول لهُ، وأينَ منه نصيحتى ... أبا معتبٍ [(٢)] ثبّتْ سَوادَك قائما
ولا تقبلنَّ الدهرَ ماعشتَ خطّةً ... تسَبُّ بها إمّا هبطتَ المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَكَ منهم ... فإنك لم تُخلَق على العجزِ لازما
وحاربْ فان الحربَ نَصْفٌ ولن ترى ... أخا الحربِ يُعطَى الخسفَ حتى يسالما
وكيفَ ولمْ يجنوا عليك عظيمةً ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... وتيماً ومخزوماً عُقوقاً ومأثما
بتفريقهمْ من بعدِ ودٍ وألفةٍ ... جماعتَنا كيما ينالوا المحارِما
كذبتم وبيتِ الله نبزى [(٣)] محمداً ... ولما تروا يوماً لدى الشّعْبِ قائما

قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

عزم الصدّيق على الهجرة الى الحبشة

قال ابن اسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن

(١) كذا فى الاصل وفى ابن هشام : (أأبو عتيبة) . وبه يتزن البيت .

(٢) كذا فى الاصل : وكنيته (أبو عتبة) (٣) قال ابن هشام : نبزى ، نسلب .

عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الاذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله (ص) وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله (ص) فى الهجرة فاذن له ، فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوما — أو يومين — لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش . قال الواقدى : اسمه الحارث بن يزيد أحد بنى بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلى : اسمه مالك . فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على . قال ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم . أرجع فانك فى جوارى . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرض له أحد الا بخير . قال : فكفوا عنه . قالت : وكان لابى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ، قال فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة . فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فاته فمره بان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدغنة اليه فقال : يا أبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك . وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قال فاردد على جوارى . قال : قد رددته عليك . قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم . وقد روى الامام البخارى هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة . فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى (ص). قالت : لم أعقل ابواى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فاريد أن أسيح فى الارض فاعبد ربى . فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولايخرج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية فى اشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرابا بكر فليعبد ربه فى داره ويصل فيها وليقرأ

ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ابن الدغنة ذلك لابى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فكان [١] نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه . وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم . فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن فى الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه فان أحب على ان يقتصر ان يعبد ربه فى داره فعل ، وأن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان . قالت عائشة : فاتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال قد علمت الذى قد عاقدت عليه قريش [٢] فاما ان تقتصر على ذلك وأما ان ترد إلى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه مع رسول الله (ص) كما سيأتى مبسوطا .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصّديق قال : لقيه ـ يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ـ سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابا ، فمر بابى بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أى رب ما أحلمك . اى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك .

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم و بنى المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم فى الشعب ، و بين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن اسحاق .

نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق : هذا و بنو هاشم ، و بنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم

(١) فى النسخة المصرية : فيتقذف نساء المشركين الخ .

(٢) فى المصرية : قد عاقدتك عليه .

فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحـد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابن اخى نضلة بن هشام بن عبد مناف لامه ، وكان هشام لبنى هاشم واصـلا ، وكان ذا شرف فى قومه فـكان فيما بلغنى ـ يأتى بالبعير و بنو هاشم و بنو المطلب فى الشعب ليلا قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبيه فدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لوكانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : و يحك ياهشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحـد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها . قال قـد وجدت رجلا . قال من هو ؟ قال أنا قال له زهـير أبغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبـد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منـكم سراعا ، قال و يحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانيا . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبى أمية . قال أبغنا رابعا ، فذهب الى أبى البخترى بن هشام فقال نحو ما قال للمطعم بن عدى ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم ! قال من هو ؟ قال زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فـكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هـذا الأمر الذى تدعونى اليه من أحـد ؟ قال نعم ثم سمى القوم . فاتعدوا حطم الحجون ليـلا بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقـدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهـير . أنا أبدؤكم فأكون أول من يتـكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس .فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب و بنوهاشم هلـكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هـذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال أبو جهل ـ وكان فى ناحية المسجد ـ والله لا تشق .قال : زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت . قال أبو البخترى : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قـد قضى بليل تشور فيه بغير هـذا المـكان ، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) قال لابى طالب : « ياعم إن الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » . فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » ! قال فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى . فقال القوم : قد رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هى كما قال رسول الله (ص) فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق : فلما مزقت و بطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريِّنا [(1)] صُنْعُ ربِّنا ... على نأيهمْ واللهُ بالناسِ أرودُ

فيُخبرهم أنَّ الصحيفةَ مُزِّقت ... وأنْ كلَّ مالم يرضَه اللهُ مفسد

تراوَحَها إفكٌ وسحرٌ مجمَّع ... ولم يلفَ سحراً آخرَ الدهرِ يصعد

تداعى لها مَن ليس فيها بقرقرٍ ... فطائرُها فى رأسِها يتردد

وكانت كفاء وقعةً باثيمةٍ ... ليُقطَع منها ساعدٌ ومقلد

ويظعنُ أهل المكّتين فيهربوا ... فرائصُهم من خَشيةِ الشرِّ تُرعد

ويترك حراثٌ يقلّب أمرَه ... أيُتْهِم فيها عندَ ذاكَ ويُنْجِد

[وتصعد بين الأخشَبَين كتيبةٌ ... لها حُدجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهد]

فمن ينْشَ مَن حضّار مكةَ عِزةً ... فعزّتنا فى بطنِ مكّةَ أتلد

نشأنا بها والناسُ فيها قلائل ... فلم ننفكِكْ نزدادُ خيراً ونحمد

ونطعِمُ حتى يتركَ الناسُ فضلَهم ... إذا جَعلت أيدي المُفيضينَ ترعد

جزى الله رهطاً بالحُجُون تجمّعوا ... على ملأٍ يَهدي لحزمٍ ويُرشد

قعوداً لدَي حَطم الحَجُونِ كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزّ وأمجد

أعانَ عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى فى رفرفِ الدِّرع أحرَد

---

(١) قال السهيلى : بحرينا يعنى الذين بارض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . وشرح الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للخشنى .

جريءٌ على جُلّ الخطوبِ كأنه ... شهابٌ بكفَّيْ قابسٍ يتوقد
من الأكرمينَ من لؤيِّ بنِ غالبٍ ... اذا سيمَ خسفاً وجهُه يتربد
طويلُ النِّجادِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ ... على وجهه يُسقى الغمامُ ويسعد
عظيمُ الرمادِ سيِّدٌ وابنُ سيِّدٍ ... يحضّ على مَقرَى الضيوفِ ويحشُد
ويبني لأبناءِ العشيرةِ صالحاً ... اذا نحنُ طُفنا فى البلادِ ويمهد
ألظّ بهذا الصلح كلّ مبرَّأٍ ... عظيمِ اللواءِ أمرُه ثَمّ يحمد
قَضَوا ما قضوا فى ليلِهِم ثم أصبَحوا ... على مَهَلٍ وسائرُ الناس رُقّد
همُ رجعوا سهلَ بنَ بيضاءَ راضياً ... وسُرَّ أبو بكرٍ بها ومحمد
متى شركَ الاقوامُ فى جُلّ أمرِنا ... وكنّا قديماً قبلَها نتودد
وكنّا قديماً لا نُقِرّ ظُلامةً ... وندركُ ماشِئْنا ولا نتشدّد
فيالَ قصيٍّ هل لكمُ فى نفوسِكم ... وهلْ لكُمُ فيما يجيءُ به غد
فإني وإياكُم كما قالَ قائلٌ ... لديكَ البيانُ لو تكلّمتَ أسود

[(1) قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود ، أي يا أسود لو تكلمت لابنت لنا عمن قتله] .

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة . وقد ذكر الاموى ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق .

وقال الواقدى : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : فى السنة العاشرة ـ يعنى من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفى هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله (ص) ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

فصل

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله (ص) ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، والله

(1) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية (محمود الامام) .

غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسى مرسلة ، وكان سيداً مطاعا شريفا فى دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به اشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا [1] فرقا من أن يبلغنى شئ من قوله وأنا لا أريد أن اسمعه . قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلى عند الكعبة ، قال فقمت منه قريبا فابى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله ، قال فسمعت كلاما حسنا ، قال فقلت فى نفسى واثكل أمى والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، و إن كان قبيحا تركته . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله (ص) إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا — الذى قالوا — قال فوالله ما برحوا بى يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعت قولا حسنا ، فاعرض على أمرك : قال فعرض علىّ رسول الله (ص) الاسلام وتلا علىّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى ، و إنى راجع اليهم وداعيهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه . قال فقال : « اللهم اجعل له آية » قال فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر ، وقع بين عينى نور مثل المصباح . قال فقلت : اللهم فى غير وجهى فانى اخشى أن يظنوا بها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم ، قال فتحول فوقع فى رأس سوطى قال فجعل الحاضرون يتراؤن ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فاصبحت فيهم ، فلما نزلت أتانى أبى ـ وكان شيخا كبيراً ـ فقلت : اليك عنى ـ يا ابة فلست منك ولست منى ، قال ولم يا بنى ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد (ص) . قال : أى بنى فدينك دينى . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم ائتنى حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم . قال ثم أتتنى صاحبتى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى . قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى . قال قلت فرق بينى و بينك الاسلام ، وتابعت دين محمد (ص) . قالت فدينى دينك . قال : فقلت فاذهبى إلى حمى ذى الشرى فتطهرى منه ، وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بابى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك . قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ، ثم دعوت دوسا إلى الاسلام فابطؤا على ، ثم جئت رسول

(١) الكرسف هو القطن كذا فى هامش الحلبية .

الله (ص) بمكة . فقلت: يارسول الله إنه قـد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله (ص) بمن أسلم معى من قومى ورسول الله (ص) بخيبر حتى نزلت المدينـة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس فلحقنا برسول الله (ص) بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله (ص) حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يارسول الله ابعثنى إلى ذى الـكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا الـكَفين لستُ من عِبادكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا

* إني حشوتُ النارَ في فؤادكا *

قال ثم رجع رسول الله (ص) فـكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله (ص) فلما أرتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لاصحابه إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فادخلتنى فى فرجها وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى ؟ قالوا : خيراً قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسى فوضعه ، وأما الطائر الذى خرج منه فروحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها . وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى . فقتل رحمـه الله تعالى شهيداً باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا اسناد . ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح . قال الامام احمـد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله (ص) قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم » رواه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه فقالوا يارسول الله إن دوسا قد عصت وابت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله (ص) يديه فقلت هلـكت دوس . فقال : « اللهم اهد دوسا ، وائت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة ؟ ـ قال حصن كان لدوس فى الجاهلية ـ فابى ذلك

رسول الله (ص) للذى ذخر الله للانصار ، فلما هاجر النبى (ص) إلى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فاخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه . فقال له : ما صنع ربك بك فقال غفر لى بهجرتى إلى نبيه (ص) قال فما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) : « اللهم وليديه فاغفر » رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة واسحاق بن ابراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال قال رسول الله (ص) : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدى بادرنى بنفسه فحرمت عليه الجنة » . فالجواب من وجوه ؛ أحدها أنه قد يكون ذاك مشركا وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سببا مستقلا فى دخوله النار وإن كان شركه مستقلا إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته . الثانى قد يكون هذاك عالما بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده بالاسلام . الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلا له وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فانه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك . الخامس قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه (ص) . ولكن بقى الشين فى يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له مالك ؟ قال قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله (ص) دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أى فاصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله (ص) فى صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله (ص) يريد الاسلام ، فقال يمدح النبى (ص) :

أَلم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمدا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهَّدا
وما ذاك من عِشْقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليوم خلَّةَ مَهْدَدا
ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائن ... اذا أصلحتْ كفَّاي عادَ فأفسدا

كهولاً وشباناً فقدتُ وثروةً ... فلله هذا الدهرُ كيف ترددا
وما زلتُ أبغي المالَ مذْ أنا يافع ... وليداً وكهلاً حين شِبْتُ وأمردا
وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ تعتلي ... مسافةَ ما بين النجير فصَرْخَدا
ألا أيهذا السائلي أينَ يمَّمتْ ... فإن لها في أهل يثربَ موعدا
فإن تسألي عني فيارُبَّ سائلٍ ... حفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدتُ برجليها النجادَ وراجعتْ ... يداها خنافاً ليِّنا غيرَ أحردا
وفيها إذا ما هجّرتْ عجرفيةٌ ... إذا خلتُ حرباءَ الظهيرةِ أصيدا
وآليتُ لا آوي لها من كلالةٍ ... ولا من حَفىً حتى تُلاقي محمدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحي وتلقيْ من فواضله ندى
نبيٌّ يرى مالا ترَوْن وذكرُهُ ... أغارَ لعمرى فى البلاد وأنجدا
له صدقاتٌ ما تغبُّ ونائلٌ ... فليسَ عَطاء اليوم مانعَهُ غدا
اجدَّكَ لم تسمعْ وصاةَ محمدٍ ... نبي الاله حيثُ أوصى وأشهدا
اذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوَّدا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِهِ ... فترصدَ للأمرِ الذي كان أرصدا
فإياكَ والميتاتِ لا تقربنَّها ... ولا تأخذنْ سهماً حديدا لتُفصِدا
وذا النُّصُب المنصوبِ لا تنسُكنَّهُ ... ولا تعبدِ الاوثانَ واللهَ فاعبدا
ولا تقربنّ جارةً[1] كان سرُّها ... عليكَ حراماً فانكِحَنْ أو تأبّدا
وذا الرحِمِ القُربى فلا تقطعنَّهُ ... لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيدا
وسبّحْ على حين العشية والضحى ... ولا تحمَدِ الشيطانَ واللهَ فاحمَدا
ولا تَسخرنْ من بائس ذي ضَرارةٍ ... ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله (ص) ليسلم . فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال : الاعشى والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الاعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ، ثم آته فأسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى النبى (ص) . هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر

(١) فى المصرية وابن هشام (حرة) وفى ح : مكان سرها (أمرها) .

إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النضير كما سيأتى بيانه فالظاهر أن عزم الاعشى على القدوم للاسلام إنما كان بعد الهجرة وفى شعره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيها ذا السائلى أين يممت   فان لها فى أهل يثرب موعدا

وكان الانسب والاليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة الى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم . قال السهيلى : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على ان الخمر لم ينزل تحريمها إلا فى المدينة بعد أحد . وقد قال : وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام فى دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل فى بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله (ص.) قال وقوله . ثم آته فاسلم ـ لا يخرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الاراشى وكيف استعدى إلى رسول الله (ص.) من أبى جهل فى ثمن الجمل الذى ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه فى الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك فى ابتداء الوحى وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة ركانة

وكيف أراه الشجرة التى دعاها فأقبلت (ص.)

قال ابن اسحاق : وحدثنى أبى اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله (ص.) فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (ص.) : يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه قال إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله : « أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال نعم ! قال : « فقم حتى أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله (ص.) أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه . فقال يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال : « وأعجب من ذلك ان شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » . ؟ قال وما هو ؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله (ص.) . فقال لها : ارجعى الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبى (ص.) فصرعه النبى (ص.) ، ثم قال الترمذى غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي (ص) فصرعه النبي (ص) ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان فى الثالثة قال يامحمد ما وضع ظهرى الى الارض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض الىّ منك . وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله (ص) ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فاقبلت فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبى الاشدّين أنه صارع النبى (ص) فصرعه رسول الله (ص) . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكبا الى مكة فاسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) اذا جلس فى المسجد يجلس اليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار مولى صفوان بن امية ، وصهيب ، واشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم] . قال وكان رسول الله (ص) كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام [(١)] نصرانى يقال له جبر ، عبد لبنى الحضرمى وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتى به الاجبر ، فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم [انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين] . ثم ذكر نزول سورة الكوثر فى العاص بن وائل حين قال عن رسول الله (ص) إنه ابتر أى لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (إن شانئك هو الابتر) أى المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والانسال والعقب ، وقد تكلمنا على هذه السورة فى التفسير ولله الحمد . وقد روى عن أبى جعفر الباقر : أن العاص بن وائل انما قال ذلك حين مات القاسم بن النبى (ص) ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة . ثم ذكر نزول قوله : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا

---

(١) فى الاصلين : بيعة وفى ابن هشام والسهيلى : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبنى الحضرمى الذى فى ابن هشام عبد لابن الحضرمى .

ملكا لقضى الأمر) وذلك بسبب قول أبى بن خلف وزمعة بن الاسود والعاص بن وائل والنضر ابن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومر رسول الله (ص) فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبى جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤا به ؛ فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

قلت : وقال الله تعالى [ولقد استهزئ برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين] وقال تعالى (انا كفيناك المستهزئين) . قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : المستهزؤن الوليد بن المغيرة ، والاسود بن عبد يغوث الزهرى ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل[1] ، والعاص بن وائل السهمى . فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله (ص) فاراه الوليد فاشار جبريل الى انمله وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن المطلب فاومأ الى عنقه وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فأومأ الى رأسه وقال كفيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فاومأ الى بطنه وقال كفيته ، ومر به العاص بن وائل فاومأ الى أخمصه وقال كفيته . فاما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فاصاب أنمله فقطعها ، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها ، وأما الاسود ابن المطلب فعمى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يابنى ألا تدفعون عنى قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . وجعل يقول يا بنى ألا تمنعون عنى قد هلكت ، هاهو ذا الطعن بالشوك فى عينى . فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل فى رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها . وقال غيره فى هذا الحديث : فركب الى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ـ يعنى شوكة ـ فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

وقال ابن اسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله (ص) فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . والاسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلاطلة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم [فاصدع بما تؤمر وأعرض

(١) كذا فى الاصلين . وسيأتى انه ابن الطلاطلة وابن الطلاطل وهكذا فى ابن هشام والسهيلى وقد اختلف اصحاب السير فى ذلك ومنهم من حكى القولين معا

عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون] . وذكر أن جبريل أتى رسول الله (ص) وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله (ص) إلى جنبه، فمر به الاسود ابن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى، ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبنا. ومر به الوليد بن المغيرة فاشار إلى أثر جرح باسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيراً، فانتقض بعد ذلك فمات . ومر به العاص بن وائل فاشار ألى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى اخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلاطل فاشار الى رأسه فامتحض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أى بنى أوصيكم بثلاث ، دمى فى خزاعة فلا تطلوه، والله إنى لأعلم أنهم منه براء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم . وربای فى ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقرى عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه ـ وهو صداقها ـ فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد ، وقالوا انما قتله سهم صاحبكم ، فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفا فى قومه . وكانت ابنته تحت أبى سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيد بن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائبا ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضا فى رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان فى دم أبى أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضا وقد ذهب اشرافنا يوم بدر . ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله (ص) سأله فى ربا أبيه من أهل الطائف ؟ .

قال ابن اسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الاسلمى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فارادت دوس قتلهم بابى

أزيهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم. قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها و بدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بأخيه الا في الاسلام ، وقد عرفت منتك عليه فاعطاها على أنها بنت سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح و يقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الاسلام رضى الله عنهما .

فصل

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي (ص) على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما اخرجاه في الصحيحين من طريق الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمس مضين ، اللزام [1] والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر . وفي رواية عن ابن مسعود . قال : إن قريشا ، لما استعصت على رسول الله (ص) وأبطئوا عن الاسلام . قال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » قال فاصابتهم سنة حتى فحصت كل شئ ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه و بين السماء كهيئة الدخان من الجوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (إنا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) قال فعادوا فكفروا فاخروا إلى يوم القيامة — أو قال فاخروا إلى يوم بدر — قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) قال : يوم بدر . وفي رواية عنه . قال : لما رأى رسول الله (ص) من الناس ادباراً . قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فاخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام . فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم . فدعا رسول الله (ص) فسقوا الغيث ، فاطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر . فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان ــ وهو الجوع الذى أصابهم ــ وذلك قوله (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر . قال البيهقي : يريد ــ والله أعلم ــ البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ببدر . قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله (ص) يستغيث من الجوع لأنهم لم

---

(١) اللزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن ، فانزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال فدعا رسول الله (ص) حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . ثم روى من طريق سفيان الثورى عن حبيب بن ابى عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لانهم أهل اوثان ، فذكر ذلك المسلمون لابى بكر فذكره أبو بكر للنبى (ص) فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا و بينك أجلا إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، و إن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبى (ص) فقال : « ألا جعلته أداة » . قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث فى التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أى المراهن ـ لابى بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله (ص) وفى الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ـ أو كان يوم الحديبية ـ فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابى أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك فى خمس عشرة سنة .

فصل

الاسراء برسول الله (ص) من مكة الى بيت المقدس

ذكر ابن عساكر أحاديث الاسراء فى أوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها فى هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : أسرى برسول الله (ص) قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة . ثم روى الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن اسماعيل السدى . أنه قال : فرض على رسول الله (ص) الخمس ببيت المقدس

ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ، فعلى قول السدى يكون الاسراء فى شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزهرى وعروة يكون فى ربيع الاول. وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عثمان عن سعيد ابن مينا عن جابر وابن عباس . قالا : ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول. وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته وقد أورد حديثا لا يصح سنده ذكرناه فى فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلةَ الجمعةِ عُرِّجَ بالنبي   ليلةَ الجمعةِ أوّلُ رجَب

وهذا الشعر عليه ركاكة وانما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الواردة فى ذلك مستقصاة عند قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتب من هناك على ما هى عليه من الاسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الاسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها . قال وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه (ص) عن ابن مسعود وأبى سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره وكان فى مسراه (ص) وما ذكر لى منه بلاء . وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الالباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فاسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد . وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول : أتى رسول الله (ص) بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الانبياء قبله ، تضع حافرها فى موضع منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخمر ، وماء . فذكر أنه شرب اناء اللبن ، فقال لى جبريل هديت وهديت أمتك . وذكر ابن اسحاق فى سياق الحسن البصرى مرسلا أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه

البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره فى منتهى طرفه . ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحى يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال فاستحى حتى أرفض عرقا ثم قرحتى ركبته . قال الحسن فى حديثه فمضى رسول الله (ص) ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء فأمهم رسول الله (ص) فصلى بهم ، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر . قال ثم انصرف رسول الله (ص) إلى مكة فاصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد اسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال إنى لا صدقه فى خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه فى بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول (ص) قال فيومئذ سمى أبو بكر الصديق . قال الحسن وأنزل الله فى ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) الآية . وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانئ . أنها قالت : ما أسرى برسول الله (ص) الا من بيتى نام عندى تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه . قال : « يا أم هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة فى هذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فقلت يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك و يؤذونك . قال : « والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فانفرهم حس الدابة فندلهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضحنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان . وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والاخرى برقاء . قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذى وصف لهم ، وسألوهم عن الاناء وعن البعير فاخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن اسماعيل السدى أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقى .

قال ابن اسحاق : وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « لما

فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط احسن منه وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر ، فاصعدنى فيه صاحبى حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه بريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر الف ملك ، قال يقول رسول الله (ص) اذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك الا هو) . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه باسناده ولفظه بكماله فى التفسير وتكلمنا عليه فانه من غرائب الاحاديث وفى أسناده ضعف ، وكذا فى سياق حديث أم هانئ فان الثابت فى الصحيحين من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفى سياقه غرابة أيضا من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى اليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل ان يوحى اليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شئ ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل فى ذلك ، وذلك قبل أن يوحى اليه بل جاءه بعد ما أوحى اليه فكان الاسراء قطعا بعد الايحاء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الاظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلا ثانيا ـ أو ثالثا ـ على قول أنه مطلوب إلى الملأ الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيما وتكريما فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التى كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى فى قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافى . ثم اختلفوا فى اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أ كان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم . وقيل إن صلاته بالانبياء كانت فى السماء ، وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو فى السماء كما ثبت فى الحديث الصحيح والمقصود أنه (ص) لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية (١) وإدريس فى الرابعة ، وموسى فى السادسة ـ على الصحيح ـ وابراهيم فى السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافا ثم لا

(١) كذا فى الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة . وفى ابن هشام : أنه رأى فى الثالثة يوسف الصديق وفى الخامسة هارون .

يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام ، ورفعت لرسول الله (ص) سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال هجر ، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والارض وهو الذى يقول الله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى] أى ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر اليه . وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . والاولى هى قوله تعالى [علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى إلى عبده ما أوحى] وكان ذلك بالابطح ، تدلى جبريل على رسول الله (ص) ساداً عظم خلقه ما بين السماء والارض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فاما قول شريك عن أنس فى حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فاقحمه فى الحديث والله أعلم . وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شىء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم . وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد (ص) وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة إلى خمس . وقال هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز جل ليلتئذ ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين وأختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . وممن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن الاشعرى فيما نقله السهيلى عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه . وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم . قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورانى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » . قالوا ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الالهية يا موسى إنه لا يرانى حى إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده والخلاف فى هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم . ثم هبط رسول الله (ص) إلى بيت المقدس

والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريماله وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الالهيّة العظيمة كما هى عادة الوافدين لا يجتمعون باحد قبل الذى طلبوا اليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل ـ عند ما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أممتهم . ولم يكن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماما بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل، فاستفاد بعضهم من هـذا أن الامام الاعظم يقدم فى الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار اقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فاصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار . وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والامور التى لو رآها ـ أو بعضها ـ غيره لاصبح مندهشا أو طائش العقل ، ولكنه (ص.) أصبح واجما ـ أى ساكنا ـ يخشى إن بدأ فاخبر قومه بما رأى أن يبادروا الى تكذيبه ، فتلطف باخبارهم أولا بانه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله ـ رأى رسول الله (ص.) فى المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خبر ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال انى أسرى بى الليلة الى بيت المقدس . قال الى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما اخبرتنى به ؟ قال نعم ! فاراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله (ص.) جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله (ص.) خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيبا له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فاخبروه أن محمداً (ص.) يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله . فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء الى رسول الله (ص.) وحوله مشركى قريش فسأله عن ذلك فاخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفى الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله (ص.) عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشئ ، فجلى الله لى بيت المقدس حتى جعلت أنظر اليه دون دار عقيل وأنعته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم ، فاقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) أى اختباراً لهم وامتحانا . قال ابن عباس : هى رؤيا عين اريها رسول الله (ص.) وهـذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الاسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه

وصعوده فى المعراج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : [سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس فى ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بانه أسرى به يقظة لا مناما . وقوله فى حديث شريك عن أنس : ثم استيقظت فاذا أنا فى الحجر معدود فى غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله (ص) الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، وفى حديث أبى أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله (ص) ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله (ص) واشتغل رسول الله (ص) بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله (ص) فلم يجد الصبى فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر . وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم . وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله (ص) ولكن الله أسرى بروحه . قال وحدثنى يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله (ص) قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق : فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت فى ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال ابراهيم عليه السلام (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) وفى الحديث : « تنام عينى وقلبى يقظان » .

قال ابن اسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان. قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى على أى حاله كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق .

قلت : وقد توقف ابن اسحاق فى ذلك وجوز كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذى لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظانا لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضى الله عنها أن جسده (ص) ما فقد وإنما كان الاسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك . لاما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فانه (ص) كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك فى حديث بدء الوحى أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطئة والتثبت والايناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء فى أن الاسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كل فى ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الاسراء فى اليقظة، والمعراج فى المنام . وقد حكى المهلب بن أبى صفرة فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين ، مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه . قال السهيلى : وهذا القول يجمع الاحاديث فان فى حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال فى آخره : ثم استيقظت فاذا أنا فى الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى تعدد الاسراء فى اليقظة أيضا حتى قال بعضهم : إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع فى روايات حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة الى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة الى بيت المقدس ثم الى السموات .

فنقول : ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وان كان انما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة الى بيت المقدس والى السموات فلا يلزم من الحصر العقلى والوقوع كذلك فى الخارج الا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الاسراء بعد ذكره موت أبى طالب فوافق ابن اسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر ، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبى طالب على الاسراء ، فالله أعلم أى ذلك كان . والمقصود أن البخارى فرق بين الاسراء و بين المعراج فبوب لكل واحد منهما بابا على حدة فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لما كذبتنى قريش كنت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر اليه » . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن جابر به . ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) بنحوه . ثم قال البخارى باب حديث المعراج : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبى (ص) حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينما أنا فى الحطيم — وربما قال فى الحجر — مضجعا

اذ أتانى آت » فقال وسمعته يقول : « فشق ما بين هـذه الى هذه » فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به . قال من نقرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته . « فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم ! : « يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحملت عليه فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمـد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيـل مرحبا به فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى الى السماء الثانية فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه [قال نعم !] قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمـد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت اذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليـه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى . ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمـد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت اذا ابراهيم قال هـذا أبوك ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح . ثم رفعت الى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار ؛ نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟

قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أتيت بإناء من خمر و إناء من لبن و إناء من عسل ، فأخذت اللبن قال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك . ثم فرض على الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، و إنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات كل يوم . قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، و إنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى » . هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن أبى ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى (ص) . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير ، ولم يقع فى هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحدث عن مخاطبه بما هو الانفع عنده . ومن جعل كل رواية اسراء على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفى كل منها يعرفه بهم ، وفى كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا فى غاية البعد والاستحالة والله أعلم . ثم قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) . قال: هى رؤيا عين أريها رسول الله (ص) ليلة أسرى به الى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة فى القرآن . قال : هى شجرة الزقوم .

فصل

ولما أصبح رسول الله (ص) من صبيحة ليلة الاسرى جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله (ص) أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم الى الغد

والمسلمون يأتمون بالنبي (ص) وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر: « أمنى جبرائيل عند البيت مرتين » . فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب . وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى وبريدة وعبدالله بن عمرو وكلها فى صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك فى كتابنا الاحكام ولله الحمد . فأما ما ثبت فى صحيح البخارى عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر . وكذا رواه الاوزاعى عن الزهرى ، ورواه الشعبى عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة فى السفر ، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : [وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا] . قال البيهقى : وقد ذهب الحسن البصرى الى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعا كما ذكره مرسلا من صلاته عليه السلام صبيحة الاسراء الظهر أربعا ، والعصر أربعا والمغرب ثلاثا يجهر فى الاولين ، والعشاء أربعا يجهر فى الاولين . والصبح ركعتين يجهر فيهما .

قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الاسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هى عليه ، ورخص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديما وعلى هذا لا يبقى اشكال بالكلية والله أعلم .

فصل

انشقاق القمر فى زمان النبى (ص)

وجعل الله له آية على صدق رسول الله (ص) فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة ، قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز : [اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام . وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان . وقد تقصينا ذلك فى كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال :

سأل أهل مكة النبي (ص) آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة ، أوعن النبي (ص) ، أو عن الجميع وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى وسعيد بن أبى عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص) أن يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخارى

وأما جبير بن مطعم فقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه] . قال انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فصار فرقتين . فرقة على هـذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به احمـد . وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقى من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمـد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا فى الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم فى الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قـد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبى إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألاوإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا فى الطريق قلت لابى ما يعنى بقوله ـ غداً السباق . قال من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخارى حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبـد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق فى زمان النبي (ص) . ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر — وهو ابن نصر — عن جعفر قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . قال : قـد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شـقيه . وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغنى بن سعيد حدثنا موسى بن عبدالرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله

(ص) منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والاسود ابن عبد يغوث ، والاسود بن المطلب ، و زمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم . فقالوا للنبي (ص) : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان . فقال لهم النبي (ص) : « إن فعلت تؤمنوا ؟ » قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر ـ فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ، و رسول الله (ص) ينادى يا أبا سلمة بن عبد الأسد والارقم بن الارقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسن بن العباس الرازى عن الهيثم بن اليمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله (ص) فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها . فاخبرهم رسول الله (ص) بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة فنظروا ، ثم قالوا بابصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فانزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها ، فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق بجزئين ، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا احمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعى حدثنا محمد ابن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كسف القمر على عهد رسول الله (ص) فقالوا سحر القمر فنزلت : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وهذا اسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه ولهذا خفى أمره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك فى بعض بلاد الهند ، و بنى بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدورى حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) شقتين حتى نظروا اليه ، فقال

رسول الله (ص) اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ـ وهو بن عيينة ـ به . ومن حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله (ص) بمنى ، فقال النبي (ص) : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخاري ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة ـ وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله رضي الله عنه . وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . فقالوا : أنظروا ما يأتيكم به السفار ؟ فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش لأهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال فسئل السفار قال ـ وقدموا من كل وجهة ـ فقالوا : رأينا وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به . وقال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن عطاء عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا مع النبي (ص) بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي (ص) : « إشهدوا ، إشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة . وحدثنا احمد بن اسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين . ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود . قال : رأيت القمر والله منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال : انشق القمر فلقتين . فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت . قال ابن مسعود : لقد رأيت

جبل حراء بين فلقتي القمر ، فذهب فلقة . فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هـذا سحر مصنوع سيذهب . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فصار فرقتين . فقال النبي (ص) لابي بكر : « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق, فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيـد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الارض حتى دخـل فى كم النبي (ص) وخرج من الـكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار اليه النبي (ص) انشق عن اشارته فصار فرقتين ، فسارت واحـدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هـذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع فى رواية أنس فى مسند احمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم .

فصل

وفاة أبي طالب عمّ رسول الله (ص)

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله (ص) و رضى الله عنها . وقيل بل هى توفيت قبله والمشهور الاول . وهذان المشفقان ؛ هذا فى الظاهر وهذه فى الباطن ، هذاك كافر وهـذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلـكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله (ص) المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء (١) يسكن اليها ، وبهلك عمه أبى طالب وكان له عضداً وحرزاً فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه . وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى ما لم تـكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا . فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه . قال : فدخل رسول الله (ص) بيته والتراب على رأسه فقامت اليه إحدى بناته تغسله وتبكى ، و رسول الله (ص) يقول : « لا تبكى يا بنيـة فان الله مانع أباكِ » ويقول بين ذلك : « ما نالتنى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الاذى فى برمته إذا نصبت له . قال فـكان إذا فعلوا ذلك كما حدثنى عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشئ على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق .

---

(١) فى ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها .

قال ابن اسحاق : ولما اشتكى أبوطالب و بلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا الى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فانا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . قال ابن اسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من اشرافهم ـ . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا و بين ابن أخيك فادعه نخذ لنا منه وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخى هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله (ص) : « ياعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات. قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ ! إن أمرك لعجب . قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبوطالب : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا . قال فطمع رسول الله (ص) فيه فجعل يقول له : « أى عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله (ص) قال : يا ابن أخى والله لولا مخافة السبّة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه . قال فقال : يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها . قال فقال رسول الله (ص) : « لم أسمع » قال وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الآيات . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث ، يا ابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها ـ يعنى لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن فى السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا ابهام فى الاسم والحال ،ومثله يتوقف فيه لو انفرد . وقد روى الامام احمد والنسائى وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبى أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثورى أيضا عن الاعمش عن يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس . ورواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير أيضا . ولفظ الحديث من سياق البيهقى فيما رواه من طريق الثورى عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبى (ص) عند رأس أبى طالب ، فجلس رجل فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبى طالب . فقال : يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟ فقال : « ياعم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدى اليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » . قال : ما هى ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال فقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب ! قال ونزل فيهم (ص والقرآن ذى الذكر) الآيات إلى قوله (إلا اختلاق) ثم قد عارضه — أعنى سياق ابن اسحاق — ما هو أصح منه ، وهو مارواه البخارى قائلا حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى (ص) وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبى (ص) : « لأستغفر لك مالم أنه عنك » فنزلت (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ونزلت (إنك لا تهدى من أحببت) ورواه مسلم عن اسحاق بن ابراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . وأخرجاه أيضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه : فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبى (ص) « أما لاستغفرن لك مالم أنه عنك » فانزل الله — يعنى بعد ذلك — (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى) ونزل فى أبى طالب (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الامام احمد ومسلم والترمذى والنسائى من حديث يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله (ص) : فقال : « ياعمّاه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا فزع الموت لاقررت بها عينك ، ولا أقولها الا لاقر بها عينك . فانزل الله عز وجل (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا قال عبدالله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى وقتادة إنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله (ص) أن يقول لا إله الا الله فابى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الاشياخ وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . ويؤكد هذا كله ما قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن

سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال قلت للنبي (ص) : ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك و يغضب لك ؟ قال : « [هو] فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل » و رواه مسلم فى صحيحه من طرق عن عبدالملك ابن عمير به أخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث حدثنى ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد أنه سمع النبى (ص) ذكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » لفظ البخارى . وفى رواية « تغلى منه أم دماغه » و روى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى عثمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه » وفى مغازى يونس بن بكير « يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلى وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا عمرو ـ هو ابن اسماعيل بن مجالد ـ حدثنا أبى عن مجالد عن الشعبى عن جابر . قال سئل رسول الله (ص) ـ أو قيل له ـ هل نفعت أبا طالب ؟ قال : « أخرجته من النار الى ضحضاح منها » تفرد به البزار . قال السهيلى : وانما لم يقبل النبى (ص) شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان اذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم . ومما يدل على ذلك أنه سأل النبى (ص) بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له ما تقدم ، و بتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت عليا يقول : لما توفى أبى أتيت رسول الله (ص) فقلت إن عمك قد توفى . فقال . « اذهب فواره » فقلت إنه مات مشركا ، فقال : « اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتى » ففعلت فاتيته ، فامرنى أن أغتسل و رواه النسائى عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة . و رواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان عن أبى اسحاق عن ناجية عن على : لما مات أبو طالب قلت يارسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه ؟ قال : « اذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتينى » فاتيته فامرنى فاغتسلت ، ثم دعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بهن ما على الأرض من شئ . وقال الحافظ البيهقى أخبرنا أبو سعد المالينى حدثنا أبو احمد بن عدى حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبدالعزيز بن أبى رزمة حدثنا الفضل عن ابراهيم بن عبدالرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : أن النبى (ص) عاد من جنازة أبى طالب فقال: « وصلتك رحم ، وجزيت خيراً ياعم » . قال وروى عن أبى اليمان الهوزنى عن النبى (ص) مرسلا وزاد ، ولم يقم على قبره . قال : وابراهيم بن

عبد الرحمن هذا هو الخوارزمى تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينانى ومحمد بن سلام البيكندى ، ومع هذا قال ابن عدى ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله (ص) والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى اشعاره التى اسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التى لا تدانى ولا تسامى ، ولا يمكن عربيا مقاربتها ولا معارضتها ، وهو فى ذلك كله يعلم أن رسول الله (ص) صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى ، وشاهد ذلك قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى فى قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبوراً) وقول بعض السلف فى قوله تعالى (وهم ينهون عنه و ينأون عنه) أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله (ص) وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب ابن أبى ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الاخرى عن ابن عباس ، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . و بهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد ـ وهو اختيار ابن جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به . ولهذا قال (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً و إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين ، وهم ينهون عنه و ينأون عنه و إن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون فى سياق الكلام وقوله (و إن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله (ص) وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الايمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لابى طالب وترحمنا عليه .

فصل

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنه وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها. وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب. قال قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة. ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله (ص) إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة. وقال محمد بن اسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد. وقال البيهقى: بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام. ذكره عبد الله بن منده فى كتاب المعرفة، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ. قال البيهقى: وزعم الواقدى أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة.

قلت: مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقى وغير واحد، ولكن أخرنا ذلك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فان الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله.

وقال البخارى: حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة. قال: أتى جبرائيل إلى رسول الله (ص) فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب. وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به. وقال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسماعيل. قال قلت لعبد الله بن أبى أوفى: بشر النبى (ص) خديجة؟ قال نعم! ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن اسماعيل بن أبى خالد به.

قال السهيلى: وإنما بشرها ببيت فى الجنة من قصب - يعنى قصب اللؤلؤ - لانها حازت قصب السبق الى الايمان، لاصخب فيه ولا نصب لانها لم ترفع صوتها على النبى (ص) ولم تتعبه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا. وأخرجاه فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبى (ص) ما غرت على خديجة.

وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن . لفظ البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ص) اياها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله (ص) فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ابدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به . وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام احمد حدثنا مؤمل أبو عبدالرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبدالملك ـ هو ابن عمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) يوما خديجة فاطنب في الثناء عليها ، فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يارسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين . قال فتغير وجه رسول الله (ص) تغيرا لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذابا . وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد بعد قوله حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر الاول . قال قال فتمعر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا . تفرد به احمد . وهذا اسناد جيد . وقال الامام احمد أيضا عن ابن اسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة . قالت : كان النبي (ص) إذا ذكر خديجة أثنى عليها باحسن الثناء . قالت فغرت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . قال « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به احمد أيضا . وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد ابراهيم بن النبي (ص) من مارية ، وقبل مقدمها بالكلية وهذا متعين . فان جميع أولاد النبي (ص) كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا ابراهيم فمن مارية القبطية

المصرية رضى الله عنها . وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون فى اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فان هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديما وحديثا وبجانبها طرقا يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبى (ص) جميعهم - إلا ابراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة . و بذلت نفسها ومالها لرسول الله (ص). وأما أهل السنة فنهم من يغلو أيضا ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن فى الامم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيراً طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والاحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الاقوم والمسلك الاسلم أن يقول الله أعلم .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله (ص) : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما . وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن اياس رضى الله عنه . قال قال رسول (ص) : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه ابن مردويه فى تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ، آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلا وأحسنت الصحبة فى كفالتها وصدقته . فآسية ربت موسى وأحسنت اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل . وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله (ص) بها وبذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل . وقوله

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمدانى عن أبى موسى الاشعرى . قال قال رسول الله (ص) : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبزَ تأدمُهُ بلحمٍ   فذاكَ ،أمانةَ الله ،الثريدُ

ويحمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهن فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فصل

في تزويجه (ص) بعد خديجة

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتى . قال البخارى فى باب تزويج عائشة * حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى (ص) قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك . فاكشف عنها فاذا هى أنت ، فاقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخارى باب نكاح الابكار . وقال ابن أبى مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى (ص) بكراً غيرك * حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يارسول الله : أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها فى أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « فى التى لم يرتع منها » تعنى أن النبى (ص) لم يتزوج بكراً غيرها . انفرد به البخارى ثم قال حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لى رسول الله (ص) « أريتك فى المنام فيجيئ بك الملك فى سرقة من حرير فقال لى هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فاذا أنت هى ، فقلت إن يكن هـذا من عند الله يمضه » [١] وفى رواية « أريتك فى المنام ثلاث ليال » وعند الترمذى أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة . وقال البخارى تزويج الصغار من الكبار * حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث

(١) كذا بالاصل : ونص البخارى تخالف هذه الرواية .

بن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله (ص) خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من افراد البخاري رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله (ص) عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، و بنى بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله (ص) وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخاري عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي (ص) بثلاث سنين ، فلبث سنتين ـ أو قريبا من ذلك ـ ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الامر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين و بنى بها وهي ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فان يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع — أو ست — سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مجممة ، فهيأنني وصنعنني ثم أتين بي إلى رسول الله (ص) وأنا ابنة تسع سنين . فقوله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريبا ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخاري حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجني النبي (ص) وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعري وقد وفت لي جميمة فاتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما أدري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمست به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار قال فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فاسلمتني اليهن فاصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله (ص) ضحى ، فاسلمنني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . وقال الامام احمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا بشر حدثنا محمد بن عمرو أبو سلمة ويحيي . قالا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يارسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكراً ، وإن

شئت ثيبا ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله اليك عائشة ابنة أبى بكر . قال ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذهبى فاذكريهما على . فدخلت بيت أبى بكر فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله (ص) أخطب عليه عائشة ، قالت انظرى أبا بكر حتى يأتى ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله ص) أخطب عليه عائشة قال وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله (ص) فذكرت ذلك له قال : « ارجعى اليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام ، وابنتك تصلح لى » فرجعت فذكرت ذلك له قال انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فاخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى . فقالت : يا ابن أبى قحافة لعلك مصبى صاحبنا تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج اليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم ابن عدى أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عدته التى وعده . فرجع فقال لخولة ادعى لى رسول الله (ص) فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله (ص) أخطبك اليه . قالت وددت ادخلى الى أبى بكر فاذكرى ذلك له ـ وكان شيخا كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم . قال فما شأنك ؟ قالت أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعيها إلى فدعتها قال أى بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت نعم . قال ادعيه لى فجاء رسول الله (ص) فزوجها اياه . فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يحثى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله (ص) سودة بنت زمعة . قالت عائشه : فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السنح . قالت فجاء رسول الله (ص) فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال من الانصار ونساء ، فجاءتنى أمى وأنا لفى أرجوحة بين عذقين يرجح بى فانزلتنى من الارجوحة ولى جميمة ففرقتها ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن من نفسى ، ثم دخلت بى فاذا رسول الله (ص) جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار ، فاجلستنى فى حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، و بارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا و بنى بى رسول الله (ص) فى بيتنا ما نحرت على جزور ، ولا

ذبحت على شاة . حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله (ص.) اذا دار الى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقى من طريق احمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن ادريس الازدى عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يارسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله اليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما على . وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر الى المدينة فى السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى . وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لى ، فكان رسول الله (ص.) يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدى . وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنى شهر حدثنى عبد الله بن عباس أن رسول الله (ص.) خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمس صبية — أو ست — من بعلها مات . فقال رسول الله (ص.) : « ما يمنعك منى ؟ » قالت والله يا نبى الله ما يمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية إلى ، ولكنى أكرمك أن يضغوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله (ص.) يرحمك الله ان خير نساء ركبن اعجاز الابل ، صالح نساء قريش احناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه . هذه السياقات كلها دالة على أن للعقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة وهو قول عبدالله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى واختار ابن عبدالبر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاه عن قتادة وأبى عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبى طالب عم رسول الله (ص.) وأنه كان ناصراً له وقائما فى صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله (ص.) ونالوا منه مالم يكونوا يصلون اليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعانى حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن

اسحاق عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر . قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله (ص) سفيه من سفهاء قريش فالقى عليه ترابا ، فرجع إلى بيته فاتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى ، فجعل يقول : « أى بنية لا تبكين فان الله مانع أباك » و يقول ما بين ذلك « ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد البكائى عن محمد ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا والله أعلم . وروى البيهقى أيضا عن الحاكم وغيره عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « ما زالت قريش كاعين [1] حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين حدثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى (ص) قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفى أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما . قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام ـ اجتمع على رسول الله (ص) مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يامحمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيافا صنعه ، لا واللات لا يوصل اليك حتى أموت . وسب ابن الغيطلة رسول الله (ص) فاقبل اليه أبو لهب فنال منه ، فولى يصيح يامعشر قريش صبا أبو عتبة . فاقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكنى أمنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله (ص) كذلك أياما يأتى و يذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبى معيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبدالمطلب ؟ قال مع قومه . فخرج اليهما فقال قد سألته فقال مع قومه . فقالا يزعم أنه فى النار . فقال يامحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله (ص) ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ والله لابرحت لك إلا عدوا أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله (ص) فى بيته أبو لهب ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الاصداء الهذلى . وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص . وكان أحدهم — فيما ذكر لى — يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله (ص) حجراً يستتر

(١) الكاعة جمع كاع وهو الجبان . كع الرجل يكع كما جبن عنه . فى النهاية .

به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئا من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلى كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله (ص) دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقا شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وكذلك عزم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك ، مما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها ههنا أنسب وأشبه .

فصل

في ذهابه (ص) إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى مالم تكن نالته منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله (ص) إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج اليهم وحده . فحدثنى يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى . قال : انتهى رسول الله (ص) إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة ؛ عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح ، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لى — إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله (ص) أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [1] ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه إلى حائط لعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد الى ظل

---

(١) قال ابن هشام : فيذئرهم يعنى يحرش بينهم ، وأورد فى ذلك شعرا .

حبلة[1] من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله (ص) - فيما ذكر لى - المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك . فلما اطمأن قال - فيما ذكر - « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وهو انى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » . قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالا له] خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله (ص) ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله (ص) يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله (ص) ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله (ص) من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله (ص) ذلك اخى كان نبيا وأنا نبى . فاكب عداس على رسول الله (ص) يقبل رأسه و يديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك . فلما جاء عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه وقدميه ؟ قال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا لقد اخبرنى بأمر ما يعلمه الا نبى . قالا له : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد ، وقعد له اهل الطائف صفين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوها بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفى ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصرانى كنحو ما تقدم .
وقد روى الامام احمد عن أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله (ص) فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس — أو عصى — حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها . قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الاسلام

(١) فى النهاية : الحبلة الاصل أو القضيب من شجر الاعناب . وزاد فى السهيلى والكرمة .

قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هـذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه . وثبت فى الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب (١) أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله (ص) هـل أتى عليك يوم كان أشـد عليك من يوم أحد ؟ قال : « ما لقيت من قومك كان أشد منـه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال إن الله قـد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد قد بعثنى الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى ما شئت إن شئت تطبق عليهم الاخشبين ؟ فقال رسول الله (ص) : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

فصل

وقد ذكر محمـد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله (ص) وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى باصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا اليـه قراءته هنالك . قال ابن اسحاق وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) .

قلت : وقد تـكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم . ثم دخل رسول الله (ص) مكة مرجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى وازداد قومه عليـه حنقا وغيظا وجرأة وتـكذيبا وعناداً والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الاموى فى مغازيه أن رسول الله (ص) بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة . فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها . ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى . فبعثه إلى المطعم بن عدى ليجيره فقال نعم ! قل له فليأت . فذهب اليه رسول الله (ص) فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو و بنوه ستة ـ أو سبعة ـ متقلدى السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال لرسول الله (ص) : طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف ، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم . فقال : أمجير أو تابع ؟ قال لا بل مجير . قال إذا لا تخفر . فجلس معه حتى قضى رسول الله (ص) طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو

(١) وفى السهيلى : عبد الله بن يوسف وهو خطأ . وانما هو عبد الله بن وهب الفهمى القرشى .

سفيان إلى مجلسه . قال فمكث أياما ثم أذن له فى الهجرة ، فلما هاجر رسول الله (ص) الى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال [1] :

فلو كان مجد مخلدَ اليوم واحد ... من الناس نجّى مجدَه اليومَ مُطعما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبادَك ما لبّى مُحِلٌّ وأَحرما
فلو سئلتْ عنه مَعَدٌّ بأسرِها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما
لقالوا هو الموفي بخُفرةِ جارِه ... وذمّتِه يوماً إذا ما تجشّما
وما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقهم ... على مثلِه فيهم أعزّ وأكرما
إباءً إذا يأبى وألينَ شيمةٍ ... وأنومَ عن جارٍ اذا الليلُ أظلما

قلت ولهذا قال النبى (ص) يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألنى فى هؤلاء النقباء لوهبتهم له » .

فصل

في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمه على احياء العرب

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله (ص) يعرض نفسه فى المواسم ـ اذا كانت ـ على قبائل العرب يدعوهم الى الله عز وجل ، و يخبرهم أنه نبى مرسل ، و يسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق : فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلى ـ ومن حدثه أبو الزناد عنه ـ وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبى . قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى و رسول الله (ص) يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان إنى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » . قال وخلفه رجل أحول وضئ له غديرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله (ص) من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة

فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال فقلت لابى يا أبت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب أبو لهب . وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدئل ـ وكان جاهليا فأسلم ـ قال رأيت رسول الله (ص) فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ـ يتبعه حيث ذهب ـ فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب . ورواه البيهقى من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئلى : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم الى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم فى الدلائل من طريق ابن أبى ذئب وسعيد ابن سلمة بن أبى الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقى من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا » واذا رجل خلفه يسفى عليه التراب فاذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال فى هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على اذائه (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه عليه السلام أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه : قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا فى منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله (ص) أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب اقبح رداً عليه منهم . وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال : « الامر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا

أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ما تقوّلها اسماعيلى قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله (ص) فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول « لا أكره أحداً منكم على شئ ، من رضى منكم بالذى أدعوه اليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء » . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن العباس . قال قال لى رسول الله (ص) : « لا أرى لى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً حتى نقر فى منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولفها وهى أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فأتاهم فقال ممن القوم ؟ قالوا من أهل اليمن . قال من أى اليمن ؟ قالوا من كندة . قال من أى كندة ؟ قالوا من بنى عمرو بن معاوية ، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبدالله بن الاجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله (ص) : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال الكلبى فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أى بكر بن وائل ؟ قالوا من بنى قيس بن ثعلبة . قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال « فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً

وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا فى الذروة منا فعن أى شأنه تسألون ؟ فاخبروه بما دعاهم اليـه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لا ترفعوا برأسه قولا فانه مجنون يهذى من أم رأسه . قالوا قـد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي : فاخبرنى عبد الرحمن المعايرى عن اشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله (ص.) ونحن بسوق عكاظ ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بنى عامر بن صعصعة . قال من أى بنى عامر بن صعصعة ؟ قالوا بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة ؟ قلنا لا يرام ما قبلنا ، ولا يسطلى بنارنا . قال فقال لهم « إنى رسول الله وآتيكم لتمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولا اكره أحـداً منكم على شئ » قالوا ومن أى قريش أنت ؟ قال من بنى عبـد المطلب . قالوا فأين أنت من عبد مناف ؟ قال هم أول من كذبنى وطردنى . قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل اليهم والقوم يتسوقون ، اذ أتاهم بحيرة بن فراس القشيرى فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنـكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشى . قال فما لـكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله (ص.) فطلب الينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال ماذا رددتم عليـه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، نخرجك الى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هـذه السوق يرجع بشئ أشد من شئ ترجعون به بدءاً ثم لتنا بذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لـكانوا أسعد الناس به ، أتعمدون الى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأى رأيتم . ثم أقبل على رسول الله (ص.) فقال :قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومى لضربت عنقك . قال فقام رسول الله (ص.) الى ناقته فركبها ، فغمر الخبيث بحيرة شاكلتها فقمصت برسول الله (ص.) فالقته . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله بمكة جاءت زائرة الى بنى عمها ، فقالت يا آل عامر — ولا عامر لى — أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحـد منكم ؟ فقام ثلاثة من بنى عمها الى بحيرة واثنين اعاناه ، فاخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما ؛ فقال رسول الله (ص.) « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل ، وعروة — أو عذرة — بن عبد الله بن سلمة رضى الله عنهم . وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى فى مغازيه عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم ؛ بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبـد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بنى عقيل

لعنهم الله لعنا كثيراً . وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه . وأغرب من ذلك وأطول ما رواه ابو نعيم والحاكم والبيهقى ـ والسياق لابى نعيم رحمهم الله ـ من حديث ابان بن عبد الله البجلى عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثنى على بن ابى طالب . قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه وابو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نسابة فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها ؟ قالوا بل من هامها العظمى . قال أبو بكر فمن أى هامتها العظمى . فقال ذهل الاكبر ، قال لهم ابو بكر : منكم عوف الذى كان يقال لاحر بوادى عوف ؟ قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس ابو اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا لا . قال فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فانتم اخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم اصهار الملوك من لخم ؟ قالوا لا . قال لهم ابو بكر رضى الله عنه : فلستم بذهل الاكبر ، بل أنتم ذهل الاصغر . قال فوثب اليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلى ـ حين بقل وجهه ـ فاخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إنّ علىَ سائِلِنا أَن نسألَهَ والعبءُ لا نعرفُهُ أوْ نحمِلَه

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بنى تيم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة ؟ أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها واجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أليسَ أبوكم كانَ يُدعى مجمِّعاً به جَمعَ اللهُ القبائلَ من فِهرِ

فقال ابو بكر لا . قال فمنكم عبد مناف الذى انتهت اليه الوصايا وابو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عَمْرو العُلا هشَمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكّةَ مُسنِتون عِجافُ
سَنُّوا اليه الرحلتَيْن كِليْهما عندَ الشتاءِ ورحلةَ الأصْيافِ

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقتْ فالمخُّ خالصةٌ لعبدِ مَناف
الرائشِينَ وليس يُعرَف رائشٌ والقائلينَ هلُمّ للأضياف
والضاربين الكبشَ يبْرقُ بَيْضُه[١] والمانعينَ البيضَ بالأسياف
لله دَرّكَ لو نزلتَ بدارهِم منعوكَ من أزلٍ[٢] ومن إقْراف

فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عبد المطب شيبة الحمد ، وصاحب عير مكة ، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع فى الفلا الذى كأن وجهه قمر يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أفمن أهل الافاضة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا . قال فمن المفيضين أنت ؟ قال لا . ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف درَّ السيلِ درٌّ يدفَعُه يُهيضه حِيناً وحيناً يرفعُه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب . قال فاقبل الينا رسول الله (ص) يتبسم قال على : فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابى على باقعة . فقال أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار واذا مشايخ لهم اقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم - قال على وكان أبو بكر مقدما فى كل خير - فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله (ص) فقال: بابى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وفى رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرر فى قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان فى القوم مفروق ابن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبى بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له إنا لنزيد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد ولكل قوم جد . فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب ، و إنا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله . يديلنا مرة و يديل علينا . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله (ص) فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه

---

(١) يريد ما كان خلال صوفه الابيض سواد .

(٢) الازل : الضيق والشدة ، والجدب . والاقراف التهم .

فقال (ص): « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد » . قال له وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله (ص) [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا] إلى قوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الارض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله (ص) [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون] فقال له مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال له هانئ : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ما تدعو اليه زلة فى الرأى ، وطيشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا . ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبنى ما تكلمت به . والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته الينا وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة . فقال له رسول الله (ص) وما هذان الصريان ؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فارض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا . ولعل هذا الأمر الذى تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا . فقال رسول الله (ص) ما أسأتم الرد إذ افصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه » . ثم قال رسول الله (ص) : « أرأيتم ان لم تلبثوا الا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال له النعمان ابن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله (ص) (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجا منيراً) ثم نهض رسول الله (ص) قابضا على يدى أبى بكر . قال

على ثم التفت الينا رسول (ص) فقال : « يا على أية [1] أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية — ما أشرفها — بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا » . قال ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبى (ص) . قال على : وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله (ص) من معرفة أبى بكر رضى الله عنه بانسابهم . قال فلم يلبث رسول الله (ص) الا يسيراً حتى خرج الى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نصروا » . قال وكانت الوقعة بقراقر الى جنب ذى قار وفيها يقول الاعشى :

فِدى لبني ذُهل بن شَيْبانَ نَاقتي ... وراكبها عند اللّقاء وقَلّت
هُموا ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قراقرٍ ... مقدّمةَ الهامُرْزِ حتّى تولّت
فللهِ عينامن رأى من فوارسٍ [2] ... كذُهلِ بن شيبانٍ بها حينَ ولّت
فَثاروا وثُرْنا والمودّةُ بينَنا ... وكانت علينا غَمْرَةٌ فَتَجَلّت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر — مكان قريب من الفرات — جعلوا شعارهم اسم محمد (ص) فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الاسلام

وقال الواقدى : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله (ص) فى منازلنا بمنى ونحن نازلون بازاء الجمرة الاولى التى تلى مسجد الخيف وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خيرٌ لنا ، قال وقد كنا سمعنا به و بدعائه فى المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأى . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله (ص) فى ميسرة فكلمه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومى يخالفوننى و إنما الرجل بقومه فاذا لم يعضدوه فالعدى [3] أبعد فانصرف رسول الله (ص) وخرج القوم صادرين إلى أهليهم .

(١) كذا فى السهيلى وفى الاصل : أبت أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها الخ .

(٢) هذا البيت والذى بعده لم نجدها فى ديوانه ولا فى المراجع التى لدينا وكان فى الاصل هكذا :
فيه عينا من رأى من فوارس ... كذهل بن شيبال حتى ولت محمود الامام

(٣) العدى بالكسر : الغرباء والاجانب والاعداء ، وبالضم : الاعداء خاصة . من النهاية .

فقال لهم ميسرة : ميلوا نأتى فدك فان بها يهوداً نسائلهم عن هـذا الرجل . فمالوا إلى يهود فاخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله (ص) النبى الأمى العربى يركب الحمار و يجتزي بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، فى عينيه حمرة مشرق اللون . فان كان هو الذى دعاكم فاجيبوه وادخلوا فى دينه فانا نحسده ولا نتبعه ، و إنا [منه] فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هـذا الأمر بين ، فقال القوم نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله (ص) المدينـة مهاجرًا وحج حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر اسلامى ، وقـد مات عامة النفر الذين كانوا معى فأين مدخلهم يارسول الله ؟ فقال رسول الله (ص) : « كل من مات على غير دين الاسلام فهو فى النار » فقال : الحمد لله الذى أنقذنى . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر مكان . وقـد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدى فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بنى عامر وغسان و بنى فزارة و بنى مرة و بنى حنيفة و بنى سليم و بنى عبس و بنى نضر بن هوازن و بنى ثعلبة بن عكابة وكندة وكلب و بنى الحارث بن كعب و بنى عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة .

وقال الامام احمـد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان ـ يعنى ابن المغيرة ـ عن سالم ابن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله . قال : كان النبى (ص) يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول « هل من رجل يحملنى الى قومه فان قريشا قـد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل ؟ » فأتاه رجل من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عنـد قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم إن الرجل خشى أن يخفره قومه فأتى رسول الله (ص) فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل ! قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار فى رجب . وقـد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن اسرائيل به ، وقال الترمذى حسن صحيح .



فصل

قدوم وفد الانصار عاماً بعد عام حتى بايعو رسول الله (ص) بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينه .

حديث سويد بن صامت الانصارى

وهو سويد بن الصامت [١] بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله (ص) .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله (ص) على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله و إلى الاسلام و يعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا ـ أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

ألا ربَّ مَن تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالتَهُ بالغيب ساءكَ ما يَفري

مقالتُه كالشَّهد ما كان شاهداً ... و بالغيب مأثورٌ على ثُغرة النَّحر

يسرُّك باديه وتحتَ أديمِهِ ... نميمةُ غِشٍّ تبتَري عَقِبَ الظَّهرِ

تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ ... من الغِلّ والبغضاء بالنظر الشَّزْرِ

فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالي مَن يَريشُ ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله (ص) : وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال رسول الله (ص) : أعرضها على ، فعرضها عليه فقال « إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج . فان كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل

(١) كذا فى الاصل ، وفى السهيلى : سويد بن الصلت بن حوط .

بعاث . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

اسلام إياس بن معاذ

قال ابن اسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (ص) فأتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ قال قالوا وما ذاك ؟ قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علىّ الكتاب . ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : اياس بن معاذ ـ وكان غلاما حدثا ـ يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله (ص) عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد فاخبرنى من حضرنى من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله و يكبره و يحمده و يسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الاسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله (ص) ما سمع .

قلت : كان يوم بعاث ـ و بعاث موضع بالمدينة ـ كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الاوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخارى فى صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله (ص) إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم [1] ، وقتل سراتهم .

باب

بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه . وانجاز موعده له ، خرج رسول الله (ص) فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله (ص) قال لهم « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال « أمن موالى يهود ؟ » قالوا نعم ! قال « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم

(١) الملأ : اشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع الي قولهم وجمعه املاء .

إلى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله بهم فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم . وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتل عاد و إرم . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم ؛ أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الانصار من الخزرج . ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ـ وهو ابن عفراء ـ النجاريان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقى وقطبة ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد ابن ساردة[1] بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمى ثم من بنى سواد ، وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد ابن حرام بن كعب بن سلمة السلمى أيضا ، ثم من بنى حرام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان ابن سنان بن عبيد بن عيدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أيضا ، ثم من بنى عبيد رضى الله عنهم . وهكذا روى عن الشعبى والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم ؛ معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة . فاسلموا وواعدوه الى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الاسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله (ص) معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا يفقهنا . فبعث اليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم .

(١) فى الاصل : ساوة بن يزيد وهو خطأ ، وفى ابن هشام: ساردة بن تزيد .

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله (ص) ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله (ص)، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنى عشر رجلا وهم ؛ أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضا . وذكوان ابن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى . قال ابن هشام : وهو انصارى مهاجرى وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوى ، والعباس بن عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى ، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الاوس اثنان وهما ؛ عويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التيهان . قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميت وميت .

قال السهيلى : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس . قال وقيل إنه أراشى وقيل بلوى . وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات ، والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله (ص) فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهى العقبة الاولى . وروى أبو نعيم أن رسول الله (ص) قرأ عليهم من قوله فى سورة ابراهيم (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) الى آخرها . وقال ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحى عن عبادة ـ وهو ابن الصامت ـ قال : كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثنى عشر رجلا . فبايعنا رسول الله (ص) على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف . فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر . وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبى حبيب به نحوه .

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله أبى إدريس الخولانى أن عبادة بن الصامت حدثه . قال : بايعنا رسول الله (ص) ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ، فان

وفيتم فلكم الجنة، و إن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له، و إن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب و إن شاء غفر. وهـذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهرى به نحوه. وقوله على بيعة النساء — يعنى وفق على ما نزلت عليـه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية — وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فان القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غير ما موطن كما بيناه فى سيرته و فى التفسير، و إن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن اسحاق: فلما انصرف عنـه القوم بعث رسول الله (ص) معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبـد الدار بن قصى. وأمره أن يقرئهم القرآن، و يعلمهم الاسلام و يفقههم فى الدين. وقد روى البيهقى عن ابن اسحاق قال فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) إنما بعث مصعباً حين كتبوا اليه أن يبعثه اليهم، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الاولى.

قال البيهقى: وسياق ابن اسحاق أتم وقال ابن اسحاق: فكان عبد الله بن أبى بكر يقول: لا أدرى ما العقبة الاولى. ثم يقول ابن اسحاق: بلى لعمرى قـد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسـعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ، قال ابن اسحاق: فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضى الله عنهم أجمعين.

قال ابن اسحاق: وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعـة فسمع الاذان بها صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة. قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال فقلت فى نفسى والله إن هذا بى لعجز، ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الاذان للجمعة صليت على أبى أمامة؟ فقال أى بنى كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له بقيع الخضمات [1] قال قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلا. وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله (ص) كتب إلى مصعب بن عمير يأمره باقامة الجمعة، و فى اسناده غرابة والله أعلم.

---

(١) كذا الاصـل، وفى ابن هشام: نقيع بالنون. وأورده السهيلى بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة.

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الاشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارينا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما . قال فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا فى دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه

قال ابن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فى اشراقه وتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا . قال . أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك ، قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادراً مخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج اليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من وراءه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال فقال

له مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فى اشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فاقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة ، قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله ، قال فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أومسلمة ، و رجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، و وائل ، و واقف ، وتلك أوس وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه صيفى . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس . وكذا نسبه الكلبى أيضا . وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه و يطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت الثقفى .

قال ابن اسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب و بلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بامر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بنى واقف . قال السهيلى : هو أبو قيس صرمة بن أبى أنس واسم أبى أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى ابن النجار ، قال وهو الذى أنزل فيه وفى عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً . كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب و يذكر فضلهم وأحلامهم و يذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده و يأمرهم بالكف

عن رسول الله (ص) :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغنْ مغلغلةً عنّي لؤيَّ بنَ غالب
رسولَ امرئٍ قد راعَه ذاتُ بينكم على النأي محزونٌ بذلك ناصبُ
وقد كان عندي للهموم معرّس ولم اقضِ منها حاجتي ومآربي
نُبيِّئُكم شَرْجَين ، كلُّ قبيلة لها أزملٌ من بين مُذْكٍ وحاطِب (١)
أعيذُكم بالله من شرّ صُنعِكم وشر تَباغيكم ودسّ العقارب
وإظهارِ أخلاقٍ ونجوى سقيمةٍ كوخزِ الأشافي وقعها حقٌّ صائب
فذكّرهم بالله أولَ وهلةٍ واحلالِ إحرام الظِّباء الشوازب
وقلْ لهمُ والله يحكم حكمه ذروا الحربَ تذهبْ عنكم في المراجِب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً هى الغولُ للأقصينِ أو للأقارب
تقطِّع أرحاماً وتُهلكُ أمةً وتبري السديفَ من سَنامٍ وغارب
وتستبدلوا بالأتْحميَّةِ بعدَها شليلاً وأصداءً ثيابَ المحارب
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سَوابغاً كأن قتيرَيها عيونُ الجنادب
فإياكمُ والحربَ لاتَعْلَقَنّكم وحوضاً وخيمَ الماء مُرَّ المشارب
تَزَيَّنُ للأقوام ثم يَرَوْنها بعاقبةٍ إذ بَيَّنَتْ أمَّ صاحب
تُحرِّقُ لا تشوى ضعيفاً وتنتحي ذوي العزّ منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان فى حربِ داحسٍ فتعتبروا أو كانَ فى حربِ حاطب
وكم ذا أصابتْ من شريفٍ مسوَّدٍ طويل العِمادِ ضيفُه غيرُ خائب
عظيمُ رمادِ النارِ يُحمَدُ أمرُه وذي شيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المضارب
وماءٍ هُريقَ فى الضلال كأنما أذاعتْ به ريحُ الصَّبا والجنائب
يخبّركُم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ بأيامها والعلمُ علمُ التجارب
فبيعوا الحرابَ لمُحاربٍ واذكروا حسابكم والله خيرُ محاسب
وليُّ امرئٍ فاختارَ ديناً فلا يكنْ عليكم رقيبٌ غيرُ ربِّ الثواقب
أقيموا لنادينا حنيفاً فأنتموا لنا غايةٌ قد يُهتَدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعِصْمة تُؤمّون والاحلامُ غيرُ عوازب

(١) قال السهيلي : نبيتكم شرجين أى فريقين مختلفين ، و [فيه] نبئتكم [بالهمز] وقال إنه لفظ مشكل ، وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحا حسنا .

وأنتم إذا ما حصّل الناسُ جوهرٌ · لكم سُرّةُ البطحاء شُمُّ الارانب
تصونون أنساباً [(١)] كِراماً عتيقةً · مهذّبة الأنسابِ غيرَ أشائب
يرى طالبُ الحاجات نحو بيوتكم · عصائبَ هَلكى تهتدي بعصائب
لقد علِمَ الاقوامُ أن سُراتكم · على كل حالٍ خيرُ أهلِ الجباجب [(٢)]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنّةً · وأقولُه للحقّ وسْط المواكب
فقوموا فَصلّوا ربَّكم وتمسّحوا · بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشب
فعندكم منهُ بلاءٌ ومصدقٌ · غداةَ أبي يكسومَ هادي الكتائب
كتيبتُه بالسهل تمشي ورَجْله · على القاذفاتِ فى رءوسِ المناقب
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردّهم · جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب
فولّوا سِراعاً هاربين ولم يؤُبْ · إلى أهله مِلحُبْش غيرُ عصائب
فإنْ تهلِكوا نهلِكْ وتهلِكْ مواسمٌ · يُعاشُ بهاهقولُ امرئٍ غيرِ كاذب

وحرب داحس الذى ذكرها أبو قيس فى شعره كانت فى زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفانى . أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفانى أيضا يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ، ثم إن أبا جنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله ، فشبت الحرب بين بنى عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء ، والاول أصح . قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس . كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وهو الذى يقال له ابن فسحم فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الاوسى ، قتله المجذر بن ذياد حليف بنى عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب

(١) وفى ابن هشام : تصونون أجسادا كراما عتيقة . (٢) قال السهيلى الجباجب منازل منى ، وقيل حفر بها تدم البدن .

يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الاسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار ـ أي محلة ـ من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أربَّ الناسِ أشياءٌ ألمَّتْ ... يلفُّ الصعبُ منها بالذلول

أرب الناس إمّا أن ضللنا ... فَيَسّرْنا لمعروفِ السبيل

فلولا ربُّنا كنّا يهوداً ... وما دينُ اليهودِ بذي شُكول

ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان فى جَبل الجليل

ولكنّا خُلقنا إذ خُلقنا ... حنيفاً دينُنا عن كل جيل

نسوق الهَدْيَ ترسُفُ مذعِناتٍ ... مكشّفةَ المناكبِ فى الجلول

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله (ص) فتوقف الواقفى فى ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذى ثبطه عن الاسلام أولا عبدالله بن أبى بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذى بشر يهود فمنعه عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدى . قال : كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله (ص)، فلامه عبد الله بن أبى فخاف لا يسلم إلى حول فمات فى ذى القعدة . وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الاثير فى كتابه [اسد] الغابة ، أنه لما حضره الموت دعاه النبى (ص) إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) عاد رجلا من الانصار ، فقال « ياخال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : فخير لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله (ص) نعم ! تفرد به احمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله (ص) فى ذلك فانزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الاموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الاوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله (ص) فاسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخا كبيراً وكان قوالا بالحق معظما لله فى جاهليته يقول فى ذلك أشعاراً حسانا وهو الذى يقول :

يقول أبو قيسٍ وأصبحَ عادياً ألا ما استطعتم من وَصاتيَ فافعلوا
فأُوصيكم باللهِ والبِرِّ والتُّقى وأعراضِكم والبِرِّ باللهِ أول
وإنْ قومُكم سادوا فلا تحسدنّهم وإن كنتمُ أهلَ الرئاسةِ فاعدلوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم فأنفسَكم دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإن نابَ غُرْمٌ فادحٌ فارفقوهمُ وما حمّلوكم فى الملمّاتِ فاحملوا
وإن أنتمُ أمعزتمُ فتعفّفوا وإن كان فضلُ الخيرِ فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سبّحوا اللهَ شرقَ كل صباحٍ طلعتْ شمسُه وكلِّ هلال
عالمُ السِرِّ والبيانِ جميعاً ليس ما قال ربُّنا بضَلال
وله الطيرُ تستزيد وتأوي فى وكورٍ من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفَلاةِ تراها فى حِقافٍ وفي ظلال الرمال
وله هوّدت يهودُ ودانتْ كلَّ دينٍ مخافةً من عُضال
وله شمّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لربّهم واحتفال
وله الراهبُ الحبيسُ تراه رهنَ بؤسٍ وكان أنعمَ بال
يا بنى الارحامَ لا تقطعوها وصِلوها قصيرةً من طوال
واتقوا اللهَ فى ضِعافِ اليتامى وبما يَستحِلُّ غيرَ الحلال
واعلموا أن لليتيم ولياً عالماً يهتدي بغير سؤال
ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه إن مالَ اليتيم يرعاه والي
يا بنيّ التخومَ لا تخزلوها إن خزلَ التخوم ذو عُقّال
يا بنيّ الأيامَ لا تأمنوها واحذروا مكرَها ومرَّ الليالي
واعلموا أن أمرها لنفادِ الخلْق ما كان من جديدٍ وبالي
واجمعوا أمرَكم على البرِّ والتقـ ـوى وتركِ الخنا وأخذِ الحلال

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم .

ثوى فى قريشٍ بضعَ عشرةَ حجّةً يذكّر لو يَلقى صَديقاً مُواتيا

وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله (ص.) العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله . فحدثنى معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الانصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه — وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله (ص.) بها — . قال : خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : ياهؤلاء إنى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر — يعنى الكعبة — وأن أصلى اليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا (ص.) يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إنى لمصل اليها ، قال فقلنا له لكننا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . قال لى يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله ص.) حتى اسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه قد وقع فى نفسى منه شئ . لما رأيت من خلافكم إياى فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله (ص.) — وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك — فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله (ص.) قال هل تعرفانه ؟ فقلنا لا ، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله (ص.) جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله ص.) للعباس: « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله (ص.) الشاعر ؟ قال نعم ! فقال له البراء بن معرور : يا نبى الله إنى خرجت فى سفرى هذا قد هدانى الله تعالى للاسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت اليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شئ فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله (ص.) فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله (ص.) العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله (ص.) فيها ومعنا عبد الله بن عمرو

ابن حرام أبو جابر سيد من سادتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا و إنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله (ص) إيانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخارى حدثنى ابراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر : أنا وأبى وخالى من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة : أحدهم البراء بن معرور . حدثنا على بن المدينى حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بى خالاى العقبة .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبى الزبير عن جابر . قال مكث رسول الله (ص) بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفى المواسم يقول « من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال فيه ـ فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام ، ثم ائتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله (ص) يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة ـ وهو من أصغرهم ـ وفى رواية البيهقى ـ وهو أصغر السبعين ـ إلا أنا ، فقال رويداً يا أهل يثرب فانا لم نضرب اليه أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، و إن اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضكم السيوف . فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك تخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه . فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً . قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . وقد رواه الامام احمد أيضا والبيهقى من طريق داود بن عبد الرحمن العطار ـ زاد البيهقى عن الحاكم ـ بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه . وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله (ص) ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله (ص) «أخذت وأعطيت» وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن جابر ـ يعني الجعفي ـ عن داود ـ وهو ابن أبي هند ـ عن الشعبي عن جابر ـ يعني ابن عبدالله ـ قال قال رسول الله (ص) للنقباء من الانصار : « تؤووني وتمنعوني ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنة » ثم قال : لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (ص) نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين . والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوي أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبدالله . قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (ص) حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ـ . قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعود ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عزة ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال فتكلم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فاخذ البراء بن معرور بيده [و]قال نعم ! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله ابناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله (ص)

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا و بين الرجال حبالا و إنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس] [1] بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على ابن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك فى رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلي وابن الاثير فى الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الانصارى فيما ذكره من شعر كعب بن مالك فى ذكر النقباء الاثنى عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال :

أبلغْ أُبيّاً أنه فالَ رأيُه وحانَ غداةَ الشّعبِ والحَيْنُ واقع
أبى الله ما منّتْك نفسُك إنه بمرصادِ أمرِ الناس رَاءٍ وسامع

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام . وفى الاصابة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاغر بن ثعلبة الخ نقلا عن محمود الامام .

وأبلغْ أبا سفيانَ أنْ قد بدالَنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدى الله ساطع
فلا ترغبنْ فى حشدِ أمرٍ تُريده ... وألِّبْ وجمّع كلَّ ما أنت جامع
ودونَك فاعلمْ أنَّ نقضَ عهودنا ... أباه عليكَ الرهطُ حينَ تبايعوا
أباه البُراءُ وابنُ عمروٍ كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليكَ ورافع
وسعدٌ أباه الساعدي ومنذرٌ ... لأنفِك إنْ حاولتَ ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولتَ عهدَه ... بمُسْلِمِهِ لا يطمَعَنْ ثَمَّ طامع
وأيضاً فلا يعطيكَه ابنُ رَواحة ... وإخفارُه من دونه السُّمُّ ناقع
وفاءً به، والقوقليُّ بنُ صامتٍ ... بمندوحةٍ عمَّا تُحاول يافع
أبو هيثمٍ أيضا وفيٌّ بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهدِ خانع
وما ابن حُضير إنْ أردتَ بمُطْمِعٍ ... فهل أنتَ عن أُحموقةِ الغيِّ نازع
وسعدُ أخو عمرو بنِ عوف فإنه ... ضروحٌ لِمَا حاولتَ مِلْأمرِ مانع
أولاكَ نجومٌ لا يُغِبُّكَ منهمُ ... عليك بنحسٍ فى دُجى الليل طالع

قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة.

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية فى هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلا، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس. وحدثنى شيخ من الانصار أن جبرائيل كان يشير الى رسول الله (ص) إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة. رواه البيهقى. وقال ابن اسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (ص) قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومى» قالوا نعم! وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله (ص) قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى أخو بنى سالم بن عوف: يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا نعم! قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس، فان كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا؟ قال «الجنة» قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه. قال عاصم ابن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد فى أعناقهم وزعم عبد الله بن أبى

بكر أنه إنمـا قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سـيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زارة كان أول من ضرب على يده . و بنو عبد الاشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثنى معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فـكان أول من ضرب على يد رسول الله (ص.) البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الاثير فى [اسد] الغابة : و بنوسلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك . وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيـه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله (ص.) ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسـلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، و إن كانت بدراً كثير فى الناس منها . وقال البيهقى أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخـبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حـدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبى قال : انطلق رسول الله (ص.) مع العباس عمـه إلى السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتـكلم متـكلمكم ولا يطل الخطبة فان عليكم من المشركين عينا ، و إن يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم ــ وهو أبو أمامة ــ سل يا محمـد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : « أسألـكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألـكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لـكم الجنة » قالوا فلك ذلك . ثم رواه حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبى عن أبي مسعود الانصارى فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبى قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقى أخبرنا أبو طاهر محمـد بن محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمـد بن يحيى الذهلى أخبرنا عمرو بن عثمان الرقى حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة فى النشاط والـكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنـكر ، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيـه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله (ص.) إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله (ص.) التى بايعناه عليها ، وهـذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه . وقـد روى يونس عن ابن اسحاق حدثنى عبادة بن

الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت . قال : بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا و يسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الامر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم .

قال ابن اسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله (ص) صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجباجب ـ والجباجب المنازل ـ هل لكم فى مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله (ص) : « هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزبب » . قال ابن هشام : و يقال ابن أزيب . « أتسمع أى عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن الك . ثم قال رسول الله (ص) « ارفضوا الى رحالكم » قال فقال العباس بن عبادة بن نضلة : يارسول الله والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا قال فقال رسول الله (ص) : « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا . و إنه والله ما من حى من العرب أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا و بينهم منكم قال فانبعث مَنْ هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هـذا شئ وما علمناه ، قال وصدقوا لم يعلموا ، قال و بعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان ، قال فقلت له كلمة ـ كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ـ يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلى . قال والله لتنتعلنهما ، قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد اليه نعليه . قال قلت والله لا أردها ، قال والله صالح ، لئن صدق الفأل لاسلبنه .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبى بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا [1] على مثل هذا وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا فى طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً . فأما المنذر فاعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فاخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه و يجذبونه بجمته ـ وكان ذا شعر كثير ـ . قال سعد :

---

(١) كذا فى الاصلين . وفى ابن هشام ليتفوتوا علىّ . وقوله فتنطس . قال السهيلى : التنطس تدقيق النظر .

فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع حلو من الرجال ، فقلت فى نفسى إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك و بين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجّاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس : فقال و يحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك و بينهما ، قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة . قالا : صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده ، قال فجاء فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذى أوى له أبو البخترى بن هشام . وروى البيهقى بسنده عن عيسى بن أبى عيسى بن جبير قال سمعت قريش قائلا يقول فى الليل على أبى قبيس :

فإن يُسْلِمِ السَّعدانِ يصبحْ محمدٌ بمكةَ لا يَخشى خِلافَ المُخَالِف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول :

أيا سعدُ سعدَ الاوسِ كُن أنتَ ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخزرجِينَ الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيا على اللهِ فى الفِردوسِ مِنْيَةَ عارف

فإنَّ ثوابَ اللهِ للطالبِ الهدى جِنانٌ من الفردوس ذاتُ رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله (ص) ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الاسلام بها . وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم ؛ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنما من خشب فى داره يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون يتخذه إلهاً يعظمه و يطهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : و يلكم من عدا على إلهنا هذه

الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه . فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدوا فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله و يطيبه و يطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه . ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فان كان فيك خير فامتنع ، هـذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخـذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغـدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجـده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسـلم من قومه فأسلم برحمـة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره و يشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة و يقول :

والله لو كنتَ إلهاً لم تكُنْ	أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ فى قَرَنْ
افٍّ لملقاكَ إلهاً مستدنّ	الآنَ فتّشناك عن سوء الغَبَن
الحمدُ لله العليّ ذي المنَن	الواهبِ الرزاقِ ديّان الدّين
هو الذي أنقذني من قبلِ أن	أكونَ فى ظُلمة قبرٍ مرتهَن

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الاوس أحـد عشر رجلا، أسيد بن حضير أحـد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضا ، وسلمة بن سـلامة بن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن دينار بدرى ، ونهير بن الهيثم بن نابى بن مجدعة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدرى وقتل بها شهيدا ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زنبر نقيب بدرى ، وعبـد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجـد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى حليف للاوس شـهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلا ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث وأخواه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون ، وعمارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على

الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غزية ، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وخارجة ابن زيد شهد بدرا وقتل يوم أحد ، وعبد الله بن رواحة أحـد النقباء شهد بدرا وأحد والخندق ، وقتل يوم مؤتة أميرا ، و بشير بن سعد بدرى ، وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى ، وخلاد بن سويد بدرى أحدى خندقى وقتل يوم بنى قريظة شهيداً طرحت عليه رحى فشدخته فيقال إن رسول الله (ص.) قال : « إن له لأجر شهيدين » وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال ابن اسحاق : وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً ، وزياد بن لبيد بدرى ، وفروة بن عمرو بن ودفة ، وخالد بن قيس بن مالك بدرى ، ورافع بن مالك أحـد النقباء ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخـلد بن عامر بن زريق ، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى لانه أقام عنـد رسول الله (ص.) بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى قتل يوم أحـد ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد ابن عامر بن زريق بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضا ، والبراء بن معرور أحـد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبى (ص.) المدينة وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله (ص.) على ورثته ، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيدا من أكله مع رسول الله (ص.) من تلك الشاة المسمومة رضى الله عنه ، وسنان بن صيفى بن صخر بدرى ، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى ، قتل يوم الخندق ، ومعقل بن المنـذر بن سرح بدرى ، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى ، ومسعود بن زيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى ، ويزيد بن خذام بن سبيع ، وجبار بن صخر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى ، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى ، وكعب بن مالك ، وسليم بن عامر بن حديدة بدرى وقطبة بن عامر بن حديدة بدرى ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى ، وصيفى بن سواد بن عباد ، وثعلبـة بن غنمة بن عدى بن نابى بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عـدى ، وعبس بن عامر بن عدى بدرى ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى ، وعبـد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدرى وثابت بن الجذع بدرى وقتل شهيداً بالطائف ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى ، وخديج بن سلامة حليف لهم من بلى ، ومعاذ بن جبل شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب ، وعبادة ابن الصامت أحـد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عبادة بن نضلة وقـد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضـا وقتل يوم أحد شهيداً ، وأبو عبـد الرحمن يزيد ابن ثعلبة بن خزمة بن أصرم حليف لهم من بلى ، وعمرو بن الحارث بن كندة ، ورفاعة بن عمرو بن

زيد بدرى ، وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى احدى وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له أعتق ليموت ، وأما المرأتان فام عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله (ص) وشهدت معها أختها و زوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لا يزيده على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت و بها اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضى الله عنها ، والاخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

باب

الهجرة من مكة الى المدينة

قال الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله (ص) ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله (ص) ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين . رواه البخارى . وقال أبو موسى عن النبى (ص) : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا هى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى عن النبى (ص) الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو حدثنا ابراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندى عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبى (ص) . قال : « إن الله أوحى إلىَّ أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة اليها .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن جرير. قال قال رسول الله (ص) : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثا منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية . فلما أذن الله فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين . أمر رسول الله (ص) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال : « إن الله قد جعل لكم اخوانا وداراً تأمنون بها » فخرجوا اليها أرسالا وأقام رسول الله (ص) بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته اليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع اليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم اخوانا فعزم اليها .

قال ابن اسحاق : فحدثنى أبى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بينى و بين ابنى و بين زوجى . قالت فكنت أخرج كل غداة فاجلس فى الابطح فما أزال أبكى حتى أمسى ـ سنة أو قريبا منها ـ حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها و بين زوجها و بين ولدها ؟ قالت فقالوا لى الحقى

بزوجك إن شئت . قالت فرد بنو عبد الاسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار فقال الى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت أريد زوجى بالمدينة ، قال أوما معك أحد ؟ قلت ما معى أحد إلا الله و بنى هذا ، فقال والله مالك من مترك فاخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها . فاذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فاخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلا ـ فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته : الحارث وكلاب ومسافع ، وعمه عثمان بن أبى طلحة . ودفع اليه رسول الله (ص) يوم الفتح و إلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم فى الاسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) الآية .

قال ابن اسحاق . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل بأهله و بأخيه عبد أبى احمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلى : والاول أصح . وكان أبو احمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . فغلقت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر اليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكلّ دارٍ و إن طالتْ سلامتُها ... يوماً ستدركُها النَّكباء والحُوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لابى دواد الايادى فى قصيدة له . قال السهيلى : واسم أبى دواد

حنظلة بن شرق وقيل حارثة . ثم قال عتبـة : أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من قل بن قل [١] ثم قال ـ يعنى للعباس ـ هـذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة و بنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون ارسالا قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قـد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو احمـد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن جميرة [٢] ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم . والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبدالله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم . قال أبو احمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً ... بذمَّةِ مَن أخشى بغيبٍ وأرهَب
تقول فإما كنتَ لا بدَّ فاعلاً ... فيمِّم بنا البلدانَ ولننأَ يثرب
فقلتُ لها ما يثربٌ بمظنَّةٍ [٣] ... وما يشإِ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وجْهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوماً وجهَه لا يُخيَّب
فكَمْ قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ ... وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتندب
ترى أن وِتراً نائياً عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائبَ نطلب
دعوتُ بني غُنْمٍ لِحقْنِ دمائهم ... وللحق لمّا لاح للناس مُلحِب
أجابوا بحمدِ الله لما دعاهمُ ... إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجَيْن إما منهما فموفَّقٌ ... على الحقّ مهديٌّ وفوجٌ معذب
طَغَوا وتمنَّوا كِذبةً وأزلَّهم ... عن الحق ابليسٌ فخابوا وخيَّبوا
ورعنا إلى قول النبيِّ محمدٍ ... فطابَ ولاةُ الحق منا وطيَّبوا

---

(١) قال ابن هشام : القل الواحد . واستشهد ببيت لبيد بن ربيعة :

كل بنى حرة مصيرهم ... قل وإن أكثرت من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة . (٣) فى ابن هشام : فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا .

نَمَتْ بأرحامٍ اليهم قريبةٍ ولا قُرْبَ بالأرحام إذ لا تَقرُّب
فأيّ ابنِ أختٍ بعدنا يأمنَنْكم وأية صهرٍ بعد صهري يرقُب
ستعلم يوماً أيَّنا إذ تزايلوا وزيِّل أمرُ الناسِ للحقّ أصوب

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعه حتى قدما المدينة . فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص ، التناضب من إضاة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، قال فاصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام الى عياش ـ وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما ـ حتى قدما المدينة ورسول الله (ص) بمكة ، فكلماه وقالا له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها فقلت له إنه والله إن يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال فقال : أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه قال قلت والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما . قال فابى على الا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى . فاناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتتن توبة . وكانوا يقولون ذلك لانفسهم حتى قدم رسول الله (ص) المدينة وأنزل الله (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قال عمر : وكتبتها و بعثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتنى جعلت اقرأها بذى طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله (ص) بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص ، وعياش ابن أبى ربيعة إلى المدينة ، الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنتَ إلا أصبعٌ دَمِيت وفي سبيلِ الله ما لَقِيتْ

وقال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحاق سمع البراء . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار و بلال . وحدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت البراء بن عازب . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبى (ص) ثم قدم النبى (ص). فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله (ص) حتى جعل الاماء يقلن : قدم رسول الله (ص) ، فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى فى سور من المفصل . ورواه مسلم فى صحيحه من حديث اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء ابن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله (ص) المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله (ص) والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمى زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبدالله التميمى حليف لهم وخولى بن أبى خولى ومالك بن أبى خولى حليفان لهم من بنى عجل و بنو البكير إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن اسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسنح . ويقال بل نزل طلحة على أسعد ابن زرارة .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال بلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكثر مالك عندنا و بلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم ! قال فانى قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقى : حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إملاء - أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الاهوازى حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفى بن صهيب حدثنى أبى وعمومتى عن سعيد بن المسيب عن صهيب . قال قال رسول الله (ص) : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين ، فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله (ص) إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت

قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكيا ـ فناموا . فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردوني فقلت لهم إن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواق ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يارسول الله ما سبقني اليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله (ص) على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ومسطح بن أثاثة وسويبط بن سعد ابن حريملة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقباء [1] ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة . قال ابن اسحاق وقال الاموي على خبيب بن اساف أخي بني حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الاشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أي ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني احمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فنزلنا العصبة ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لانه كان أكثرهم قرآنا .

فصل

في سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة

قال الله تعالى (وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

(١) كذا بالاصلين ، وفي ابن هشام : على عبد الله أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث بن الخزرج

سلطانا نصيرا) أرشـده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيـه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ، فاذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينـة النبوية حيث الانصار والاحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال احمـد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة عن جرير عن قابوس بن أبى ظبيان [1] عن أبيه عن ابن عباس : كان رسول الله (ص) بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) وقال قتادة (أدخلنى مدخل صدق) المدينة (وأخرجنى مخرج صـدق) الهجرة من مكة (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أوفتن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله (ص) فى الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » فيطمع أبو بكر أن يكونه . فلمـا رأت قريش أن رسول الله (ص) قـد صار له شيعة وأصحاب من غـيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قـد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله (ص) اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله (ص) حين خافوه . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبدالله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبدالله بن عباس . وغيره ممن لا أتهم عن عبدالله بن عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله (ص)، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليه بتلة [2] فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجـد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم بن عـدى والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعـة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية : جبير عن قابوس بن أبى طهمان .

(٢) كذا فى سيرة ابن هشام ، وفى ح : غيبه (ولعلها عليه) تب له ، وفى المصرية : عليه ثب له وكل ذلك تصحيف .

وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم و إننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم — قيل إنه أبو البخترى بن هشام — احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى . فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أدبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا . فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل هذا الرأى ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله (ص) فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله (ص) مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : « نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الاخضر ، فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم » وكان رسول الله (ص) ينام فى برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التى ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال — وهم على بابه — إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، و إن لم تفعلوا كان فيكم ذبح

ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله (ص.) فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) الى قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمدا ، فقال خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله (ص.) فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا .

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى [و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين] وقوله (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) قال ابن اسحاق فاذن الله لنبيه (ص.) عند ذلك بالهجرة .

باب

هجرة رسول الله (ص.) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أول التاريخ الاسلامى كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العمرية كما بيناه فى سيرة عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين . قال البخارى حدثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : بعث النبى (ص.) لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحى اليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك فى يوم الاثنين كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونبئ يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله (ص.) فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسول الله (ص.) إنما يعنى نفسه ، فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعداداً لذلك . قال الواقدى : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله (ص.) أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، و إما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله (ص.) فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله (ص.) بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله (ص.) فى هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله (ص.) وليس عند رسول الله (ص.)[1] أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله (ص.) : « أخرج عنى من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابنتاى ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟ قال : « إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة » قالت فقال أبو بكر : الصحبة يارسول الله ؟ قال : « الصحبة » . قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى . ثم قال : يا نبى الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقد قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط. رجلا من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن اسحاق : ولم يعلم — فيما بلغنى — بخروج رسول الله (ص.) أحد حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر ، أما على فان رسول الله (ص.) أمره أن يتخلف حتى يؤدى عن رسول الله (ص.) الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص.) وليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق : فلما أجمع رسول الله (ص.) [الخروج] أتى أبا بكر بن أبى قحافة فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم من طريق ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق . قال : بلغنى أن رسول الله (ص.) لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا ، اللهم أعنى على هول الدنيا ، و بوائق الدهر ، ومصائب الليالى والأيام . اللهم اصحبنى فى سفرى . واخلفنى فى أهلى ، و بارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى . وعلى صالح خلقى فقومنى ، واليك رب فحببنى ، و إلى الناس فلا تكلنى ، رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحل على غضبك ، وتنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك . لك العقبى عندى خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

---

(١) كذا بالأصلين ، والذى فى ابن هشام وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى ، وهذا ما يقتضيه سياق الكلام .

قال ابن اسحاق: ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره؛ ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار. فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون فى شأن رسول الله (ص.) وأبى بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة، فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا. فاذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه. وسيأتى فى سياق البخارى ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله (ص.) سبق الصديق فى الذهاب الى غار ثور، وأمر عليا أن يدله على مسيره ليلحقه، فلحقه فى أثناء الطريق. وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً.

قال ابن اسحاق: وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما، قالت اسماء: ولما خرج رسول الله (ص.) وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبى بكر؟ قالت قلت لا أدرى والله أين أبى. قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا. قال ابن اسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته اسماء قالت: لما خرج رسول الله (ص.) وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه، قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت قلت كلا يا ابة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت يا ابة ضع يدك على هذا المال. قالت فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك.

وقال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى. قال: انتهى رسول الله (ص.) وأبو بكر إلى الغار ليلا، فدخل أبو بكر قبل رسول الله (ص.) فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، يقى رسول الله (ص.) بنفسه. وهذا فيه انقطاع من طرفيه. وقد قال أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن عمرو الضبى ثنا نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبى مليكة: أن النبى (ص.) لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى (ص.) مرة، وخلفه مرة. فسأله النبى (ص.) عن

ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فاحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابتني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفا أن يخرج منه دابة أو شئ يؤذي رسول الله (ص.) ، وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر احمد بن اسحاق أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السرى بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله (ص.) ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله (ص.) فقال : « يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ » فقال : يارسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شئ لأحببت أن يكون بك دوني ؟ » قال نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله (ص.) تارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلا رسول الله (ص.) حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة كلها، و بقي منها جحر واحد ، فألقمه كعبه فجعلت الافاعي تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله ص.) « لا تحزن إن الله معنا » وفي هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وابو سعيد بن أبي عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا عباس الدوري ثنا اسود بن عامر شاذان ثنا اسرائيل عن الاسود عن جندب بن عبد الله . قال : كان أبو بكر مع رسول الله (ص.) في الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إنْ أنتَ إلا أصبعٌ دَمِيتْ وفي سَبيلِ الله ما لَقِيتْ

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي (ص.) . وقال بعضهم بل اقتلوه . وقال بعضهم بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات عليٌّ على فراش

النبي (ص) تلك الليلة ، وخرج النبي (ص) حتى لحق بالغار ، و بات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي (ص) . فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدرى . فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه . فمكث فيه ثلاث ليال . وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسوله (ص) .

[وقال الحافظ ابو بكر احمد بن على بن سعيد القاضى فى مسند ابى بكر حدثنا بشار الخفاف ثنا جعفر وسليمان [1] ثنا ابو عمران الجونى حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصرى . قال : انطلق النبي (ص) وابو بكر الى الغار . وجاءت قريش يطلبون النبي (ص) ، وكانوا اذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل احد ، وكان النبي (ص) قائما يصلى وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي (ص) : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسى أئل [2] ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي (ص) : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبي (ص) فى الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى و روى هذا الرجل — اعنى ابو بكر احمد بن على القاضى — [عن] عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن ابى هريرة أن أبا بكر . قال لابنه : يا بنى اذا حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى اختبأت فيه أنا و رسول الله (ص) . فكن فيه فانه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا] [3] .

وقد نظم بعضهم هذا فى شعره حيث يقول :

نَسْجُ داودَ ما حمى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخارُ للعنكبوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصرصرى فى شعره حيث يقول :

فغمّى عليه العنكبوتُ بِنَسْجه ... وظلّ على البابِ الحَمامُ يَبِيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن على ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسى ـ ويلقب عوين ـ حدثنى أبو مصعب المكى . قال : أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبي (ص) ليلة الغار أمر الله شجرة

(١) كذا فى الاصل ، ولعله جعفر بن سليمان الضبعى من رجال الخلاصة .

(٢) ألّ المريض والحزين أنّ وحنّ ورفع صوته وصرخ عند المصيبة

(٣) ما بين المربعين زيادة فى النسخة الحلبية . ولم نره فى النسخة المصرية .

نخرجت فى وجه النبى (ص) تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله (ص) وأمر الله حمامتين وحشيتين فاقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت و بين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله (ص) قدر مائتى ذراع قال الدليل ـ وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ـ هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبحن قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبى (ص) قدر خمسين ذراعا ، فاذا الحمامتان ترجع [1] فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبى (ص) فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما ـ أى برّك عليهما ـ وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن ابراهيم وغيره عن عون بن عمرو ـ وهو الملقب بعوين ـ باسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين ، وفى هذا الحديث أن القائف الذى اقتفى لهم الاثر سراقة بن مالك المدلجى وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الاثر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الاثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى [إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فان الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هاربا ليس معه غير صاحبه وصديقه أبى بكر ليس غيره ولهذا قال (ثانى اثنين إذ هما فى الغار) أى وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا فى طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردهما — أو أحدهما — مائة من الابل ، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الاثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذى هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار ، فتحاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظا من الله لهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال قلت للنبى (ص) ونحن فى الغار . لو ان أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا تحت قدميه ؟ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به وقد ذكر

(١) يظهر أن هنا نقص معناه : فرجع الدليل

بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي (ص) : « لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من هنا » فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه . وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا و رسول الله (ص) فكن فيه ، فانه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيي بن معين فلا يقبل حديثه . وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن الصديق قال في دخولهما الغار ، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقة كما سيأتي شعراً . فمنه قوله :

قال النبي ـ ولم أجزعْ ـ يوقّرني ... ونحنُ في سُدُفٍ من ظُلمة الغار
لا تخشَ شيئاً فانّ الله ثالثُنا ... وقد توكّل لي منهُ بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مطولة جداً ، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير . قال فمكث رسول الله (ص) بعد الحج — يعني الذي بايع فيه الانصار — بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) ، أو يحبسوه . أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه (و إذ يمكر بك الذين كفروا) الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما اصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وان خروجه هو وابو بكر الى الغار كان ليلا . وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك ايضا وقال البخاري حدثنا يحيي بن بكير ثنا الليث عن عقيل . قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (ص) قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجراً نحو ارض الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد [1] لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قالت والنبي (ص)

(١) برك الغماد ، بفتح الباء وكسرها وضم الغين وكسرها ، موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال .

يومئذ بمكة فقال النبي (ص.) للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، و رجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة الى المدينة ، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله (ص.) « على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ص.) ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - [1] أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر . قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة ، فقال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله (ص) متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله (ص.) فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبى (ص.) « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله . قال فانه قد أذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى ، قال النبى (ص.) « نعم » ! قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين . فقال رسول الله (ص) بالثمن . قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله (ص.) وأبو بكر بغار فى جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة [2] من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى [ينعق بها [3]] عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث . واستأجر رسول الله (ص.) وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو من بنى عبد ابن عدى هاديا خريتا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذبهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك

---

(١) كذا بالاصلين . والذى فى النهاية : السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

(٢) أى غنم فيها لبن ، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقا لا قرضا ولا عارية .

(٣) الذى فى الاصلين : حتى سعوبهما وفى النهاية نعق الراعى بالغنم ينعق إذا دعاها لتعود اليه .

ابن جعشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله (ص) وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها فدفعتها فقربت بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت فأهويت يدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذى أكره . فركبت فرسى وعصيت الازلام فجعل فرسى يقرب بى حتى اذا سمعت قراءة رسول الله (ص) وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الازلام فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله (ص) . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يردانى ولم يسألانى إلا أن قالا اخف عنا . فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لى رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله (ص) .

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالازلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالازلام ويخرج الذى يكره لا يضره . حتى ناداهم بالامان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه و بين رسول الله (ص) ، قال فكتب لى كتابا فى عظم ـ أو رقعة أو خرقة ـ وذكر أنه جاء به الى رسول الله (ص) وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدنه » فدنوت منه وأسلمت .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم [1] وهذا الذى قاله جيد .

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله (ص) قد وصل الى المدينة . جعل سراقة يقص على الناس مارأى وما شاهد من أمر النبى (ص) وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا

(١) كذا فى الاصل وفى سيرة ابن هشام .

لاسلام كثير منهم ، وكان سراقة أمير بنى مدلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ اليهم :

بني مدلج إني أخافُ سفيهَكم سُراقةُ مستغوٍ لنصرِ محمد
عليكم به ألاّ يفرّق جمعَكم فيصبحَ شتّى بعد عزٍ وسؤدَد

قال فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا :

أبا حكمٍ والله لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادي إذ تسوّخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً رسولٌ(١) وبرهانٌ فمن ذا يقاومه
عليكَ فكفَّ القومَ عنه فإنني أخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودّ النصرَ فيه فإنهم وإنّ جميعَ الناسِ طرّاً مُسالمه

[(٢) وذكر هذا الشعر الاموى فى مغازيه بسنده عن أبى اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد فى شعر أبى جهل أبياتا تتضمن كفراً بليغا] .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله (ص) وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله (ص) من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله (ص) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلا صوته : يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ص) بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله (ص) صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله (ص) يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (ص) ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله (ص) عند ذلك فلبث رسول الله (ص) فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله (ص) ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله (ص) بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة . فقال رسول الله (ص) حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله (ص) الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا بل نهبه لك

(١) فى المصرية : نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه .

(٢) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

يا رسول الله . فأبى رسول الله (ص) أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطفق رسول الله (ص) ينقل معهم اللبن فى بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن :

هذا الحِمالُ لاحِمالُ خَيْبَر   هذا أبرُّ ربَّنا وأطهر

ويقول :

لاهُمَّ إن الأجرَ أجرُ الآخره   فارحم الأنصارَ والمهاجره [1]

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله (ص) تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات . هذا لفظ البخارى وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا .

قال الامام احمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقزى ثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلى . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله (ص) وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فادلجنا فاحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصرى هل أرى ظلا نأوى اليه ، فاذا أنا بصخرة فأهويت اليها فاذا بقية ظلها . فسويته لرسول الله (ص) وفرشت له فروة وقلت اضطجع يارسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فاذا أنا براعى غنم ، فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قريش - فسماه فعرفته - فقلت هل فى غنمك من لبن ؟ قال نعم ؟ قلت هل أنت حالب لى ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة فحلب لى كثبة [2] من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله (ص) فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا و بينه قدر رمح - أو

---

(١) كذا فى الاصل ، وفى ابن هشام : أن المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخره   اللهم ارحم الانصار والمهاجره

وأن رسول الله (ص) يقول : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم فارحم المهاجرين والانصار .

(٢) الكثبة من اللبن القليل منه ، وكل قليل جمعته من طعام وغيره . عن النهاية .

رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ـ قلت يا رسول الله هـذا الطلب قـد لحقنا ؟ و بكيت ، قال لم تبكى ؟ [قلت] أما والله ما على نفسى أ بكى ، ولـكن أ بكى عليك . فدعا عليـه رسول الله (ص) فقال : « اللهم ا كفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيـه ، فوالله لاعمين على من ورائى من الطلب ، وهذه كنانتى نخـذ منها سهما فانك ستمر بابلى وغنمى بموضع كذا وكذا نخـذ منها حاجتك . فقال رسول الله (ص) : « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله (ص) . فأطلق ورجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله (ص) وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا فى الطرق على الاناجير (١) واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أ كبر جاء رسول الله (ص) ، جاء محمد ، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليه ، قال فقال رسول الله (ص) : « أنزل الليلة عـلى بنى النجار أخوال عبد المطلب لا كرمهم بذلك » فلمـا أصبح غدا حيث أمر . قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بنى عبـد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحـد بنى فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين را كبا ، فقلنا ما فعل رسول الله ؟ قال هو عـلى أثرى ، ثم قدم رسول الله (ص) وأبو بكر معه . قال البراء : ولم يقدم رسول الله (ص) حتى قرأت سوراً من المفصل أخرجاه فى الصحيحين من حديث اسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق اسرائيل به .

وقال ابن اسحاق : فاقام رسول الله (ص) فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما و بعير له ، وأتتهما اسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به . فـكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن اسحاق : فلمـا قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله (ص) قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبى وأمى ، فقال رسول الله (ص) : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى . قال « لا ولـكن ما الثمن الذى ابتعتها به » قال كذا وكذا . قال « أخذتها بذلك » قال هى لك يارسول الله .

وروى الواقدى باسانيده أنه عليه السلام أخـد القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم . وروى ابن عسا كر من طريق أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهى الجدعاء

(١) فى النهاية : تلقته الناس على الاجاجير والاناجير ، يعنى السطوح .

وهكذا حكى السهيلى عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق فحدثت عن اسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت : فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله (ص) حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه   رفيقين حلاّ خيمتي أمِّ معْبَدِ

هما نزلا بالبر ثم تروَّحا   فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمد

لِيَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتهم   ومقعدُها للمؤمنينَ بمرصد

قالت اسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله (ص) ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله (ص) ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقد [1] كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدئلى . وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار [2] ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تِعْهِن ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحة   ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله (ص) رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة و بعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة ،   خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة

---

(١) كذا فى الاصلين ، وفى ابن هشام عن ابن اسحاق فى جميع المواضع : عبد الله بن أرقط ، واستدرك على ابن اسحاق بقوله : ويقال عبد الله بن أريقط . (٢) فى الاصلين الحرار . وهى جمع الحرة ، والذى فى ابن هشام : الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما فى المعجم لياقوت .

— ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما [1]] قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت لشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدى نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه فى بعضها والله أعلم

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة ابن موسى العجلى حدثنى أخى موسى بن عبادة حدثنى عبد الله بن سيار حدثنى إياس بن مالك بن الاوس الاسلمى عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله (ص) وأبو بكر مروا بإبل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله (ص) « لمن هذه الابل ؟ » فقالوا لرجل من أسلم ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سلمت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سعدت إن شاء الله » . قال فاتاه أبى فحمله على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لانه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادة واجتاز فى مروره على أم معبد بنت كعب من بنى كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام . وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الاموى : هى عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن اصرم بن صنبيس [2] بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد ، واسمه أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن صنبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : فنزل رسول الله (ص) بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله (ص) ببعض غنمها فسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى أرغى وقال « اشربى يا أم معبد » فقالت اشرب فانت أحق به فرده

---

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية . (٢) كذا فى الاصلين فى المكانين وفى الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك فى ترجمة أخيها حبيش الاشعرى والذى فى السهيلى : عاتكة بنت خلد إحدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خلد ، وخلد الاشعر أبوهما هو ابن خنيف بن منقذ [بالدال المهمة] بن ربيعة بن أصرم بن ضميس بن عرم بن حبشية بن كعب ابن عمرو .

عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشرب به ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح . وطلبت قريش رسول الله (ص) حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدرى ما تقولون ، قدمنا فتى حالب الحائل . قالت قريش : فذاك الذى نريد .
وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة ابن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبى عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا فى الغار جحر فالقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله (ص) منه شئ . فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فارسلت اليه أم معبد إنى أرى وجوها حسانا ، و إن الحى أقوى على كرامتكم منى ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة . فقال رسول الله (ص) : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعنى القدح فارسلت اليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه الى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه الا يعقوب بن محمد وان كان معروفا فى النسب .

وروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ثنا عبد الرحمن بن الاصبهانى سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بكر الصديق . قال : خرجت مع رسول الله (ص) من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله (ص) إلى بيت منتحيا فقصد اليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها باعنز يسوقها فقالت يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمى اذبحا هذه وكلا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبى (ص) : « انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح » قال إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى (ص) ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء باخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى (ص) فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت اليه فقالت : ياعبد الله من الرجل الذى كان معك ؟ قال أو ما تدرين من هو ؟ قالت لا ، قال هو نبى الله . قالت فادخلنى عليه . قال فادخلها

فأطعمها رسول الله (ص) وأعطاها — زاد ابن عبدان فى روايته : — قالت فدلنى عليه ، فانطلقت معى وأهدت لرسول الله (ص) شيئا من أقط ومتاع الاعراب . قال فكساها وأعطاها . قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت . اسناد حسن .

وقال البيهقى : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هى والله أعلم . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا الحسن بن مكرم حدثنى أبو احمد بشر بن محمد السكرى ثنا عبد الملك بن وهب المذحجى ثنا أبجر بن الصباح عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله (ص) خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر ابن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك . وقالت لو كان عندنا شئ ما أعوذكم القرى ، وإذا القوم مرملون مسنتون . فنظر رسول الله (ص) فاذا شاة فى كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال « فهل بها من لبن » قالت هى أجهد من ذلك . قال تأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله (ص) بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط [1] فتفاجت [2] واجترت فحلب فيه ثجا حتى ملأه [وأرسله اليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى اذا رووا شرب آخرهم وقال « ساقى القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافا يتساوكن هزلى لا نقى بهن [3] مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت والشاء عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لى فوالله إنى لاراه صاحب قريش الذى تطلب . فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة [4] ولم تزر به صعلة [4] قسيم وسيم فى عينيه دعج ، وفى اشفاره وطف ، وفى صوته صحل . أحول أكحل أزج أقرن فى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة . اذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب . ربعة لا تشناه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قداً له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا

---

(١) أى يشبع الجماعة حتى يربضوا . عن السهيلى . (٢) أى فرجت بين رجليها . (٤) النقى المخ .

(٣) ثجلة ؛ أى ضخم بطن . ويرى بالنون والحاء ، أى نحول ودقة . والصعلة صغر الرأس عن النهاية .

لأمره . محفود محشود لا عابس ولا معتد [١] فقال — يعنى بعلها — : هـذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولاجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والارض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه — رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به [٢] — فافلح من أمسى رفيق محمد

فيالَ قصيّ ما زوى اللهُ عنكم — به من فَعالٍ لا تُجارى وسؤدد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها — فانكم إن تسألوا الشاةَ تشهد

دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبتْ — له بصريحٍ ضَرّةُ الشاةِ مزبد [٣]

فغادره رهناً لديها لحالبٍ — يدرّ لها فى مَصدرٍ ثم مورد

قال وأصبح الناس — يعنى بمكة — وقد فقدوا نبيهم ، فاخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ص . قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيّهم [٤] — وقدسُر [٥] من يَسْري اليهم ويَغْتدي

ترحّلَ عن قوم فزالتْ عقولُهم — وحلّ على قوم بنورٍ مجدد

[هداهم به بعد الضلالة ربُّهم — وأرشدَهم من يتّبعِ الحقَّ يرشد [٦]]

وهل يستوي ضُلّال قوم تسفّهوا — عمىً وهداةٌ يهتدون بمهتد

نبي يرى مالا يرى الناسُ حوله — ويتلو كتابَ الله في كل مَشهد

وإن قال فى يومٍ مقالةَ غائبٍ — فتصديقُها فى اليوم أو في ضحى الغد

ليهنِ أبا بكرٍ سعادةُ جَدّه — بصُحبته ، من يُسعدِ اللهُ يَسعد

ويهنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم — ومقعدُها للمسلمينَ بمرصد [٧]

قال — يعنى عبد الملك بن وهب — فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبى ص . وهكذا

---

(١) فى أصل المصرية : ولا مفند وفى الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشنى فى غريب السيرة . (٢) كذا بالاصلين ، وفى ابن هشام : هما نزلا بالبر ثم تروحا .

(٣) كذا بالمصرية والسهيلى والنهاية وفيها : الضرة أصل الضرع ، وفى ح : لديه بضرع ثرة الشاة مزبد . والثرة كثرة اللبن . (٤) الذى فى السهيلى : غاب بدل زال .

(٥) فى الاصلين وفى السهيلى : وقد سر ، والذى فى شرح السيرة للخشنى : وقدس وفسره بمعنى طهر . (٦) هذا البيت زدناه من السهيلى ولم يرد فى الاصل . (٧) هـذا البيت أورده السهيلى فى الابيات التى قبلها ونسبها إلى رجل من الجن ولم يورده لحسان .

روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجى فذكر مثله سواء وزاد فى آخره قال عبد الملك : بلغنى أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله (ص). ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعى عن أبيه محرز بن مهدى عن حوام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله (ص)، أن رسول الله (ص) حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثى فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال وحدثناه — فيما أظن — محمد بن احمد بن على بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى — يعنى الكديمى — ثنا عبد العزيز ابن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصارى حدثنى أبى عن أبيه سليط البدرى . قال : لما خرج رسول الله (ص) فى الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفه فقال : لها « يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقى : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ — إملاء — حدثنا أبو بكر احمد بن اسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنا عبد الله بن إياد بن لقيط ثنا إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبى (ص) وأبو بكر مستخفين ، مروا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء ، وقد أخدجت [1] وما بقى لها من لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبى (ص) ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب . فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال نعم ! قال فأنى محمد رسول الله . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال فانى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك . قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فاذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو يعلى الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفى عن عبد الله بن إياد بن لقيط به . وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود . قال

---

(١) خدجت ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق ، وأخدجت ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل .

كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعتبة بن أبى معيط بمكة ، فأتى رسول الله (ص) وأبو بكر – وقد فرا من المشركين – فقال : « يا غلام عندك لبن تسقينا ؟ » فقلت إنى مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله (ص) الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقيانى ، ثم قال للضرع أقلص فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله (ص) فقلت علمنى من هذا القول الطيب – يعنى القرآن – فقال رسول الله (ص) « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد . فقوله فى هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك فى بعض الاحوال قبل الهجرة . فان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة فى الصحاح وغيرها والله أعلم .

[[1] وقال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله – هو الزبيرى – حدثنى أبى عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد – وسعد هو الذى دل رسول الله (ص) على طريق ركوبة [2] – فقال ابراهيم [أخبرنى] ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثنى أبى أن رسول الله (ص) أتاهم ومعه أبو بكر – وكانت لابى بكر عندنا بنت مسترضعة – وكان رسول الله (ص) أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبى (ص) : « خذ بنا عليهما » قال سعد فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليمانى . فدعاهما رسول الله (ص) فعرض عليهما الاسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسمائهما فقالا نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله (ص) « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد ابن خيثمة . إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله (ص) حتى إذا طلع

---

(١) ما بين المربعين أثبتناه من النسخة الحلبية ، وسقط من المصرية . وهذا الاثر مروى فى زوائد المسند عن عبد الله بن احمد من رواية القطيعى ونصه كما فى جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبد الله حدثنا مصعب بن عبد الله هو الزبيرى قال حدثنى أبى عن فائد مولى عبادل . قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة فارسل [إلى] ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتانا ابن سعد وسعد هو الذى دل رسول الله (ص) الخ . (٢) فى الاصل ركونة بالنون وهو خطأ ، وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان

على النخل فاذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هـذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج » انفرد به احمد .

فصل

في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله

قد تقدم فيما رواه البخارى عن الزهرى عن عروة أن النبي (ص) دخل المدينة عند الظهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت فى الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب عن أبى بكر فى حـديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله (ص) : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ؛ فان العشى من الزوال ، و إما أن يكون المراد بذلك لمـا رحل من قباء كما سيأتى فسار فما انتهى إلى بنى النجار الاعشاء كما سيأتى بيانه والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهرى عن عروة أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقبـاء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء فى تلك الايام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده ، وكان مربداً لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجدا . وذلك فى دار بنى النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] عن عبد الرحمن ابن عويم بن ساعدة قال حدثنى رجال من قومى من أصحاب النبي (ص) قالوا : لما بلغنا مخرج النبي (ص) من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي (ص) فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا ــ وذلك فى أيام حارة ــ حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله (ص) حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بنى قيلة هذا جدكم قـد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله (ص) وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر فى مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله (ص) قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله (ص) ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقـد تقدم مثل ذلك فى سياق البخارى وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه . وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سليمان عن

ثابت عن أنس بن مالك . قال : إنى لأسعى فى الغلمان يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا ، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا ، قال حتى جاء رسول الله (ص) وصاحبه أبو بكر . فكمنا فى بعض خراب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار : انطلقا آمنين مطاعين . فاقبل رسول الله (ص) وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيها به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أر يومين شبيها بهما ورواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن محمد بن اسحاق الصنعانى عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله - وفى الصحيحين من طريق اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء عن أبى بكر فى حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقى أخبرنا أبو عمرو الاديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلى سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله (ص) المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلعَ البدرُ علينا مِن ثَنيّات الوَداع

وجبَ الشكرُ علينا ما دعا لله داع

قال محمد بن اسحاق : فنزل رسول الله (ص) - فيما يذكرون يعنى حين نزل - بقباء على كلثوم ابن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله (ص) إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خبيب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله (ص) الودائع التى كانت عنده ، ثم لحق برسول الله (ص) فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان على ابن أبى طالب إنما كانت اقامته بقباء ليلة أو ليلتين . يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت انسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئا لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف .

وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه . قال : أقام رسول الله (ص) فينا - يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء - اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله (ص) الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى — وادى رانوناء — فكان أول جمعة صلاها بالمدينة . فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة . قال : « خلوا سبيلها فانها مأمورة » لناقته فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا وازت [1] دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا فى العدد والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة [2] فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن

---

(١) فى المصرية : دارت . وفى الحلبية : وازت ، وفى ابن هشام : وازنت .

(٢) كذا فى الاصلين ، وفى الاصابة أسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البدرى . وفى ابن هشام أبو سليط أسيرة بن أبى خارجة .

النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بنى مالك ابن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر معاذ بن عفراء .

قلت : وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ص) مرّ فى طريقه بعبد الله بن أبىّ بن سلول وهو فى بيت . فوقف رسول الله (ص) ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم ـ فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لنفر من الانصار فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد من الله علينا بك يا رسول الله و إنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الانصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله (ص) من بنى عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله (ص) وتعظيما له وكلما مر بدار من دور الانصار دعوه إلى المنزل فيقول (ص) « دعوها فانها مأمورة فانما أنزل حيث أنزلنى الله » فلما انتهت إلى دار أبى أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله (ص) لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله (ص) واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله (ص) . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله (ص) وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء هو يارسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً ، فأمر به رسول الله (ص) أن يبنى ونزل رسول الله (ص) فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله (ص) والمسلمون من المهاجرين والانصار .

وستأتى قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله . وقال البيهقى فى الدلائل وقال أبو عبد الله أخبرنا أبوالحسن على بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدورى ثنا محمد بن سليمان بن اسماعيل ابن أبى الورد ثنا ابراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس . قال : قدم رسول الله (ص) المدينة فلما دخلنا جاء الانصار برجالها ونسائها فقالوا : الينا يارسول الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحنُ جوارٍ من بنى النجّار يا حبّذا محمدٌ من جارِ

فخرج اليهم رسول الله (ص) فقال « أتحبوننى ؟ » فقالوا : أى والله يارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما يروى . ثم قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ثنا عمر بن الحسن الحلبى حدثنا أبو خيثمة المصيصى ثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابى عن ثمامة عن أنس . قال : مر النبى (ص) بحى من بنى النجار ، و إذا جوار يضربن بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله (ص) « يعلم الله أن قلبى يحبكم » و رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به . وفى صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال رأى النبى (ص) النساء والصبيان مقبلين ـ حسبت أنه قال من عرس ـ فقام النبى (ص) ممثلا فقال « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات . وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله (ص) الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف و رسول الله (ص) شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، و إنما يعنى سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبى الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله (ص) فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قال : مرنى يا نبى الله بما شئت . فقال « قف مكانك ولا تتركن أحداً يلحق بنا » . قال فكان أول النهار جاهداً على رسول الله (ص) ، وكان آخر النهار مسلحة له . قال فنزل رسول الله (ص) جانب الحرة ثم بعث الى الانصار فجاؤا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين . فركب رسول الله (ص) وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل فى المدينة : جاء نبى الله (ص) ، فاستشرفوا نبى الله ينظرون اليه و يقولون : جاء نبى الله . قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب ، قال فانه ليحدث أهله اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لاهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يخترف فيها فجاء وهى معه ، وسمع من نبى الله (ص) ، ورجع إلى أهله ، وقال نبى الله : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبى الله ، هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فهيئ لنا مقيلا ، فذهب فهيأ ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقيلا قوما على بركة الله فقيلا ، فلما جاء نبى الله (ص) جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا ، وأنك جئت

بحق ولقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم؛ فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئت بحق أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثا . وكذا رواه البخاري منفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به [1] .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى حدثنى أبو أيوب . قال : لما نزل علىّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل ، وأنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت له بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل ، فقال « يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى سفل البيت » فكان رسول الله ﷺ فى سفله وكنا فوقه فى المسكن . فلقد انكسر حب لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شئ فيؤذيه ، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث اليه فاذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا — أو ثوما — فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً ، قال فجئته فزعا فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فقال « إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجى فاما أنتم فكلوه » قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وكذلك رواه البيهقى من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الحسن — أو أبى الخير — مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم عن أبى أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو الحيرى ثنا عبد الله بن محمد ثنا احمد بن سعيد الدارمى ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبى أيوب عن أبى أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل فى السفل وأبو أيوب فى العلو فانتبه أبو أيوب فقال : نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتنحوا فباتوا فى جانب ، ثم قال للنبى ﷺ — يعنى فى ذلك — فقال : « السفل أرفق بنا » فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله ﷺ فى العلو ، وأبو أيوب فى السفل فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاما ، فاذا جئ به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع اصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد اليه سأل عن موضع اصابع رسول الله ﷺ فقيل له لم يأكل ففزع وصعد اليه فقال أحرام ؟ فقال النبى ﷺ : « لا ولكنى أكرهه » قال فانى أكره ما تكره — أو ما كرهت — قال وكان النبى ﷺ يأتيه الملك . رواه مسلم عن احمد بن سعيد به ، وثبت فى

(١) هكذا فى الاصلين مقتضبا والخبر بطوله فى البخارى فى باب هجرة النبى ﷺ واصحابه الى المدينة فراجعه.

الصحيحين عن أنس بن مالك قال: جيء رسول الله (ص) ببدر[1] وفى رواية بقدر فيه خضروات من بقول، قال فسأل فاخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها، قال: « كل فانى أناجى من لا تناجى » وقد روى الواقدى أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله (ص) فى دار أبى أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله (ص) فكانت عنده، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله (ص) حين نزل دار أبى أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمى، فقال: « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول (ص) الثلاث والاربعة يحملون الطعام يتناوبون، وكان مقامه فى دار أبى أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول (ص) — وهو نازل فى دار أبى أيوب — مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله (ص)، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزينب عند زوجها بمكة أبى العاص بن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله (ص).

وقال البيهقى: أخبرنا على بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكبرى ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاف بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله (ص) قدم المدينة، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن على وبين دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يارسول الله المنزل. فانبعثت به راحلته فقال: « دعوها فانها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه، فنزل رسول الله (ص) عن راحلته فيه فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال: يارسول الله إن منزلى أقرب المنازل اليك فأنقل رحلك إلى؟ قال نعم! فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل فقال يارسول الله أين تحل؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله (ص) فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد، وهذه منقبة عظيمة لابى أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه، حيث نزل فى داره رسول الله (ص). وقد روينا من طريق يزيد بن أبى حبيب عن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ـ وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله (ص) فى داره، وملكه كل ما أغلق عليها بابها. ولما أراد الانصراف أعطاه ابن

---

(١) أى بطبق، شبه بالبدر فى استدارته. عن النهاية.

عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وهى من بنيانها ووهبها لاهل بيت فقراء من أهل المدينة . وكذلك نزوله عليه السلام فى دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمسا كنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دار بنى مالك بن النجار .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير دور الانصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفى كل دور الأنصار خير » فقال سعد بن عبادة : ما أرى النبى صلى الله عليه وسلم إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخارى . وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبى حميد عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله سواء . زاد فى حديث أبى حميد ؛ فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة : ألم تر أن النبى صلى الله عليه وسلم خير الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله خيرت دور الانصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى [والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم] وقال تعالى [والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرة لكنت أمرءا من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم ، الانصار شعار والناس دثار » وقال « الانصار كرشى وعيبتى » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثنى عدى بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به . وقال البخارى أيضا حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » ورواه البخارى أيضا عن أبى الوليد [و] الطيالسى ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدى أربعتهم

عن شعبة به . والآيات والاحاديث فى فضائل الانصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار فى قدوم رسول الله (ص) اليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولاصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أيضا يذكرما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

ثوى فى قريش بضعَ عشْرة حجّةً ... يذكّرُ لو يَلقى صديقاً مواتيا
ويعرِضُ فى أهلِ المواسم نفسَه ... فلم يرَ من يؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واطمأنّتْ به النوى [١] ... وأصبح مسروراً بِطيبةَ راضيـا
والفي صديقاً واطمأنّت به النوى ... وكانَ له عوناً من الله باديا
يقصُّ لنا ما قالَ نوحُ لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبحَ لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا [٢]
بذلْنا له الاموالَ من جُلّ [٣] مالنا ... وأنفسَنا عنـدَ الوغى والتآسيا
نُعادي الذي عادى من الناس كلّهم ... جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسيا
ونَعلم أن اللهَ لا شيْ غيرَه ... وان كتابَ الله أصبحَ هاديا [٤]
أقولُ اذا صلَّيتُ فى كل بيعةٍ ... حَنانَيْكَ لا تُظهِرْ علينا الأعاديا
أقول اذا جاوزتُ أرضاً مُخيفةً ... تباركتَ اسمَ الله أنتَ المواليا
فطأْ مُعرِضا ان الحتوفَ كثيرةٌ ... وانك لا تُبقي لنفسك باقيا
فواللهِ ما يدري الفتى كيف سعيُهُ ... إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا
ولا تحفلُ النخلُ المعيمةُ [٥] ربَّها ... اذا أصبحتْ ريّا وأصبحَ ثاويا

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عجوز من الانصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروى هذه الابيات . رواه البيهقى .

---

(١) والذى فى ابن هشام : فلما أتانا أظهر الله دينه . (٢) كذا فى المصرية ، وفى ابن هشام والذى فى الحلبية : باغيا . (٣) كذا فى المصرية بالجيم ومعناه : العظام الكبار من الابل أو معظم كل شئ ، وفى الحلبية وابن هشام بالحاء المهملة . (٤) والذى فى ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هاديا ، وأيضا فى ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية فى بعض الابيات .

(٥) فى الاصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشنى .

فصل

وقد شرفت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام اليها وصارت كهفا لاولياء الله وعباده الصالحين ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين والاحاديث فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبى هريرة . قال قال رسول الله (ص) « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبى (ص) نحوه . وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيي ابن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد [1] » وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الاربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصارى ثنا سعيد بن سعيد حدثنى أخى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اللهم انك أخرجتنى من أحب البلاد الى فاسكنى أحب البلاد اليك » فأسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله (ص) ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها ذكرناها فى كتاب المناسك من الاحكام إن شاء الله تعالى . وأشهر دليل لهم فى ذلك ما قال الامام احمد حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى (ص) وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهرى به . وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهرى به . ورواه محمد بن عمرو عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وحديث الزهرى عندى أصح . قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة . قال : وقف رسول الله (ص) على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الارض الى الله ، ولولا

---

(١) جاء فى النهاية : تنفى بالفاء تخرجه عنها من النفى ، وتنقى بالقاف من اخراج النقى وهو المخ أو من التنقية وهى افراد الجيد من الردئ .

أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » وكذا رواه النسائى من حديث معمر به . قال الحافظ البيهقى وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال احمد أيضاً حدثنا ابراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن أبى سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو فى سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الارض الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبرانى عن احمد بن خليد الحلبى عن الحميدى عن الدراوردى عن ابن أخى الزهرى عن محمد ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ـ فى الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه رفع اليه صك — أى حجة — لرجل على آخر وفيه : إنه يحل عليه فى شعبان . فقال عمر : أى شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم فى وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدونى فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله ﷺ ، وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام . فمال عمر رضى الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ . حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال : ما عدوا من مبعث النبى (ﷺ) ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر فى التاريخ فاجمعوا على الهجرة

وقال أبو داود الطيالسى عن قرة بن خالد السدوسى [1] عن محمد بن سيرين قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال ما أرخوا ؟ فقال شئ تفعله الاعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا . فقال

---

(١) فى المصرية : عن فروة بن خالد السدوسى ، وفى الحلبية : فروة بن خالد عن السدى ، وصححناه من انساب السمعانى .

عمر : حسن فارخوا ، فقالوا من أى السنين نبدأ ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائى عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال احمد : حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة فى ربيع الاول وأن الناس أرخوا لاول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهرى وعن محمد بن صالح عن الشعبى أنهما قالا : أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى . ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثمانى عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً باسانيده وطرقه فى السيرة العمرية ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلى وغيره عن الامام مالك أنه قال : أول السنة الاسلامية ربيع الاول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

[وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من أول يوم حلول النبى ﷺ المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة] (١) ولا شك أن هذا الذى قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لان أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، وقد بايع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الانصار وأذن رسول ﷺ للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه الى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه فى الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بسطه وتأخر على بن أبى طالب بعد النبى ﷺ بأمره ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضحاء [1] .

قال الواقدى وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول . وحكاه ابن اسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجح أنه لثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور . وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الاقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبى حمزة الضبى عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لاربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبى أنس بن قيس :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقال الواقدى عن ابراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدى خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانى سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذى ذهب اليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب اليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها احمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً وقد قدمنا عن الشعبى أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى اليه الكلمة والشئ وفى رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبى هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذى ذكره الشعبى والله أعلم .

---

(١) الضحاء قريبا من نصف النهار ، والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

فصل

ولما حل الركاب النبوى بالمدينـة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف وهى قباء كما تقدم فاقام بها ـ أكثر ما قيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيلى ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال . والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس فى هـذه المدة المختلف فى مقدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلى أن رسول الله (ص) أسسه فى أول يوم قدم الى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى [لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه : فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنـه . وذكرنا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله (ص) أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هـذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وله شواهد أخر . وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمـد بن عبد الله بن سلام وابن عباس . وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبى ميمونة عن أبى هريرة عن النبى (ص) . قال : نزلت هـذه الآية فى أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هـذه الآية . ثم قال الترمذى غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . وممن قال بانه المسجد الذى أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير . ورواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبى والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقـد كان النبى (ص) يزوره فيما بعد ويصلى فيـه ، وكان يأتى قباء كل سبت تارة راكبا وتارة ماشيا وفى الحديث : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » وقـد ورد فى حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبى (ص) إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هـذا المسجد أول مسجد بنى فى الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم الناس فى هذه الملة . واحترزنا بهذا

عن المسجد الذى بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه و يصلى لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم . وقد تقدم اسلام سلمان فى البشارات ، أن سلمان الفارسى لما سمع بقدوم رسول الله (ص) إلى المدينة ذهب اليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله (ص) فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شئ فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله] [1]

فصل

في اسلام عبد الله بن سلام

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شئ سمعته يقول : « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » و رواه الترمذى وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابى عن زرارة ابن أبى أوفى به عنه . وقال الترمذى صحيح . ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبى (ص) ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء فى بنى عمرو بن عوف . وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبى أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بنى النجار كما تقدم ، فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النجار والله أعلم وفى سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبى (ص) جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فانهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى . فارسل نبى الله (ص) إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يامعشر اليهود و يلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فاسلموا » قالوا ما نعلمه . قالوا [ذلك] للنبى (ص) قالها ثلاث مرار . قال « فأى رجل فيكم عبد الله [2] بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا حاش لله ما كان ليسلم . قال « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يامعشر يهود اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فاخرجهم رسول الله (ص) . هذا لفظه . وفى رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية . (٢) كذا فى الاصلين وفى ابن هشام : الحصين ابن سلام .

الحق قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه فقال : يارسول الله هذا الذى كنت أخاف . وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الاصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعانى ثنا عبد الله بن أبى بكر ثنا حميد عن أنس . قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى (ص) - وهو فى أرض له - فاتى النبى (ص) : فقال إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومابال الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرنى بهن جبريل آنفا » قال جبريل؟ قال « نعم ! » قال عدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) قال « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، و إذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » فقال . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . يارسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى . فجاءت اليهود . فقال : « أى رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « أرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه . قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله [1] ورواه البخارى عن عبد بن منير [2] عن عبد الله بن أبى بكر به ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به

قال محمد ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله ابن سلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبرا عالما - . قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و[زمانه] الذى كنا نتوكف له ، [3] فكنت بقباء مسراً بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله (ص) ، المدينة فلما قدم نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف . فاقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله (ص) كبرت ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت ، قال قلت لها أى عمه . والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قال فقالت له : يا ابن أخى أهو الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ! قالت فذاك إذاً . قال فخرجت إلى رسول الله (ص) فأسلمت ثم رجعت إلى أهل

---

(١) الحديث خرجه البخارى قبيل باب اتيان اليهود النبى صلى (ص) حين قدم المدينة وفيه اختلاف فى السياق عن هنا وقد رواه عن حامد بن عمر الخ . (٢) كذا فى الاصلين عبد بن منير ولعله تصحيف عبد بن حميد . (٣) توكف الخبر اذا انتظره .

بيتى فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامى من اليهود وقلت : يارسول الله إن اليهود قوم بهت و إنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى فانهم إن يعلموا بذلك بهتونى وعابونى ، وذكر نحو ما تقدم . قال فاظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله ابن أبى بكر حدثنى محدث عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب اليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط اهش اليهما الا اخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله (ص) قباء ـ قرية بنى عمرو بن عوف ـ غدا اليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جاآنا إلا مع مغيب الشمس . فجاآنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لابى : أهو هو ؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال نعم والله ! قال فماذا فى نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت . وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله (ص) المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب ـ وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير ـ فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ـ وكان فيهم مطاعا ـ فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب [1] فلا أدرى ما آل اليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبى (ص) وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدى رسول الله (ص) يوم قتل مقاتلة بنى قريظة كما سيأتى إن شاء الله .

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، فى واد يقال له وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله (ص) بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا لانه والله أعلم لم يكن يتمكن هو

---

(١) كذا فى الاصلين فى كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدى بن أخطب .

وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي (ص) في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمده واستعينه ، وأستغفره واستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة : وأن يأمره بتقوى الله : فاحذروا ماحذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ماتبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ، لاخلف لذلك ، فانه يقول تعالى (مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) (ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما) وإن تقوى الله توقى مقته ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله اليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله ، فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من أصلح مابينه وبين الله يكفه مابينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » هكذا أوردها ابن جرير وفي السند ارسال .

وقال البيهقي : باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله (ص) حين قدم المدينة ـ .

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن

بكير عن ابن اسحاق حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والاخنس بن شريق عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله (ص) بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزي الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله [1] ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله (ص) مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمده واستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لاشريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] فانه من [2] يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الاعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ماأوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وهذه الطريق أيضا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الالفاظ .

فصل

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي ايوب

وقد اختلف فى مدة مقامه بها ، فقال الواقدى : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخارى حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبى يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبى حدثنا أنس بن مالك . قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فاقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤا

---

(١) وفى ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله . (٢) كذا فى المصرية ، وفى الحلبية فانه من كل مختار الله . وفى ابن هشام : فانه من كل ما يخلق الله يختار ، ومابين المربعين من ابن هشام .

متقلدى سيوفهم ، قال وكأنى أنظر إلى رسول الله (ص) على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب ، قال فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤا فقال « يابنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا » فقالوا لاوالله لانطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله (ص) بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله (ص) معهم يقول [1] « اللهم إنه لاخير إلا خير الآخرة ، فانصر الانصار والمهاجرة » وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد . وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة أن المسجد الذى كان مربداً ـ وهو بيدر التمر ـ ليتيمين كانا فى حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل ، فساوم بهما فيه رسول الله (ص) فقالا : بل نهبه لك يارسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا . قال وجعل رسول الله (ص) يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

لاهم إن الاجر أجر الآخره فارحم الانصار والمهاجره

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له فى بياضة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله (ص) .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فالله أعلم .

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبى ثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال : لما بنى رسول الله (ص) المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش ـ يعنى السقف ـ وهذا مرسل . وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبى سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الانصار جمعوا مالا فأتوا به النبى (ص) فقالوا : يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « مابى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال

---

(١) وفى البخارى ورسول الله (ص) معهم يقولون الخ .

أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفى عن عن ابن عمر أن مسجد النبى (ص) كانت سواريه على عهد رسول الله (ص) من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها تخربت فى خلافة أبى بكر، فبناها بجذوع وبجريد النخل، ثم انها تخربت فى خلافة عثمان فبناها بالآجر، فما زالت ثابتة حتى الآن. وهذا غريب. وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنى أبى عن أبى صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله (ص) مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا. وغيره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة [1] وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج [2] وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى عن يعقوب بن ابراهيم به.

قلت: زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله (ص) «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة» ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال اليه، وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتى بيانه فى وقته، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم.

قال ابن اسحاق: ونزل رسول الله على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين فى العمل فيه. فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبىُّ يعملُ   لَذاك منّا العمل المضلّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لاعيشَ إلا عيشَ الآخره   اللهم ارحمِ الأنصارَ والمُهاجره

فيقول رسول الله (ص) «لاعيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والانصار» قال فدخل

---

(١) القصة هى الجص كما فى النهاية. (٢) فى المصرية: بالسلاح وفى الحلبية بالساح تصحيف والساج الواح من الشجر.

عمار بن ياسر وقد اثقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلونى يحملون على مالا يحملون . قالت أم سلمة فرأيت رسول الله ص ينفض وفرته بيده ـ وكان رجلا جعدا ـ وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن اسحاق و بين أم سلمة وقد وصله مسلم فى صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن ـ يعنى ابنى أبى الحسن البصرى ـ عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله ص : « تقتل عمار الفئة الباغية » و رواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ص قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله ص وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبى ص يحمل كل واحد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى ص فمسح ظهره . وقال « ابن سمية ، للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين . وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبى سعيد الخدرى . قال : كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبى ص فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن . لكن روى هذا الحديث الامام البخارى عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقى : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبى نضرة عن أبى سعيد [قال أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ص قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤس ابن سمية نئة باغية » وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة عن أبى مسلم عن أبى نضرة عن أبى سعيد] (١) قال حدثنى من هو خير منى ـ أبو قتادة ـ أن رسول الله ص قال لعمار بن ياسر « بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا وهيب عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ص لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار ـ ناقه من وجع كان به ـ فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثنى بعض أصحابى أن رسول الله ص كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » . قال البيهقى : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويشبه أن

(١) ما بين المربعين عن الحلبية فقط .

يكون قوله الخندق وهما أو أنه قال له ذلك فى بناء المسجد وفى حفر الخندق والله أعلم .

قلت : حمل اللبن فى حفر الخنـدق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام فى وقعة صفين وعمار مع على وأهل العراق كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه . وقد كان علىّ أحق بالامر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تـكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغـيرهم لانهم و إن كانوا بغاة فى نفس الامر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر ، ومن زاد فى هـذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية ـ لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة ـ فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله (ص) ، فانه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم . وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فان عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الـكلمة . وأهـل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر امام برأسه ، وهذا يؤدى إلى افتراق الـكلمة واختلاف الامة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلـكهم ، و إن كانوا لا يقصدونه والله أعلم . وسيأتى تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هـذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى عـلى بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل حدثنا أبو عبـد الله الحافظ املاء ثنـا أبو بكر بن أسحاق أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد ابن جمهان عن سفينة مولى رسول الله (ص) . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله (ص) : « هؤلاء ولاة الامر بعدى » . ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن حشرج عن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله (ص) المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجرى ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله (ص) « هؤلاء الخلفاء من بعدى » وهـذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الامام احمد عن أبى النضر عن حشرج بن نباتة العبسى [1] وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة أمسك ؛ خلافة أبى بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة

(١) كذا بالاصل ، وهو حشرج بن نباتة الاشجعى.

عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة على ست سنين، هذا لفظ احمد . و رواه أبو دواود والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن فى مسجد النبى (ص) أول ما بنى منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبى (ص) يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتى بيانه فى موضعه وعدل اليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع اليه النبى (ص) فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يسكت كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدى وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضى الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسن البصرى بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يامعشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله (ص) شوقا اليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا اليه ؟ ! .

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبى يحيى حدثنى أبى قال سمعت أبا سعيد الخدرى قال : اختلف رجلان رجل من بنى خدرة و رجل من بنى عمرو بن عوف فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال الخدرى هو مسجد رسول الله (ص) وقال العمرى هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله (ص) وقال « فى ذلك خير كثير » يعنى مسجد قباء . و رواه الترمذى عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن أنيس بن أبى يحيى الاسلمى به وقال حسن صحيح . و روى الامام احمد عن اسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه . قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى ، وذكر نحو ما تقدم . وفى صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبى سعيد كيف سمعت أباك فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال أبى أتيت رسول الله (ص) فسألته عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض . ثم قال : « هو مسجدكم هذا » وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد . قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله (ص) فى المسجد فى الذى أسس على التقوى . فقال أحدهما هو مسجد رسول الله (ص) وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه فقال

« هو مسجدى هذا » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب أن النبى (ص) قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول (ص) وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الاحاديث . لان هذا المسجد أولى بهذه الصفة . من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد عن النبى (ص) قال « لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها . وثبت فى الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفى مسند احمد بأسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فان ذلك أفضل » وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » والاحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه ابراهيم ، وهذا بناه محمد (ص) ، ومعلوم أن محمداً (ص) أفضل من ابراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه فى بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض ، وحرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصل

وبنى رسول الله (ص) حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبى الحسن البصرى — وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة — لقد كنت أنال أطول سقف فى حجر النبى (ص) بيدى . قلت : الا أنه قد كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا رحمه الله .

وقال السهيلى فى الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من

حجارة مرضومة [١] وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم . قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافير ، فدل على أنه لم يكن لابوابه حلق . قال وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله (ص) إلى المسجد . قال الواقدى وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدئلى إلى مكة بعث معه رسول الله (ص) وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله (ص) ليأتوا بأهاليهم من مكة و بعثا معهم بجملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاؤا ببنتى النبي (ص) فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان وأهل النبى (ص) وآل أبى بكر صحبة عبد الله بن أبى بكر وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل فى أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول أرسلى خطامه . فأرسلت خطامه فوقف بأذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فنزلوا بالسنح . ثم دخل رسول الله (ص) بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى ، وقدمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيما اصاب المهاجرين من حمىّ المدينة

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله (ص) المدينة وعك أبو بكر و بلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا ابه كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئٍ مصبحٌ فى أهله والموتُ أدنى من شِراكِ نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته و يقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ وحولي اذخر وجَليل [٢]

وهل أرِدنْ يوماً مياهَ مجنّةٍ وهل يبدوَنْ لى شامةٌ وطَفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله (ص) فاخبرته فقال « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها و بارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة » ورواه مسلم عن أبى بكر

---

(١) مرضومة : أى مصفوفة بعضها فوق بعض ، والرضام من الجبل دون الهضاب .

(٢) الجليل : الثمام إذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

ابن أبي شيبة عن هشام مختصراً . و فى رواية البخارى له عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره و زاد بعد شعر بلال ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . فقال رسول الله (ص) : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » قالت وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ، وكان بطحان يجرى نجلا [(١)] ـ يعنى ماء آجنا ـ وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله (ص) المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة و بلال موليا أبى بكر فى بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت كيف تجدك يا أبه ؟ فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول ، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك ياعامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقِهِ   إن الجبانَ حتفُه من فوقه

كل امرئ مجاهدٌ بطوقه   كالثورِ يحمي جِلدَه بِرَوْقه

قال فقلت والله ما يدرى ما يقول ، قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنّ ليلةً   بفخٍّ وحوْلي إذخر وجليل

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنّةٍ   وهل يبدُوَن لي شامةٌ وطَفيل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله (ص) ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبب الينا المدينة ، كما حببت الينا مكة أو أشد ، وبارك لنا فى مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » ومهيعة هى الجحفة . وقال الامام احمد : حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله (ص) المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر و بلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله (ص) فى عيادتهم فاذن لها ، فقالت لابى بكر كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

---

(١) نجلا ، أى نزاً وهو الماء القليل . كذا فى النهاية .

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالا فقال :

ياليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي إذخر وجليل

فأتت رسول الله (ص) — فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وانقل وباءها إلى مهيعة . وهى الجحفة فيما زعموا وكذا رواه النسائى عن قتيبة عن الليث به ورواه الامام احمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) المدينة وهى أوبأ أرض الله ، وواديها بطحان نجل . قال هشام : وكان وباؤها معروفا فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبيئا فأشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار ، فاذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرتَ من خيفة الردى نهيق الحمار انني لجزوع

وروى البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبى (ص) قال : « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة — وهى الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة — وهى الجحفة — » هذا لفظ البخارى ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) المدينة وهى وبيئة ، فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماها الى الجحفة . قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقى فى دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله (ص) المدينة وهى وبيئة . فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه (ص) وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه صبيحة رابعة — يعنى مكة — عام عمرة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قدوهنهم حمى يثرب ، فأمرهم رسول الله (ص) أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقى آثار منه قليل . أو أنهم بقوا فى خمار وما كان أصابهم من ذلك الى تلك المدة والله أعلم . وقال زياد عن ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصل

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذى أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وتقريرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبرى . ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام احمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام احمد أيضا والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين قريش والانصار فى دارى . وقال الامام احمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أرطاة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبى ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال احمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام احمد ، وفى صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبى الامى بين المؤمنين والمسلمين من قريش و يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل

كل دار بنى ساعدة ، و بنى جشم ، و بنى النجار ، ، و بنى عمرو بن عوف ، و بنى النبيت ، إلى أن قال و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا [١] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، و إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، و إن المؤمنين يبئ [٢] بعضهم بعضا بما نال دماءهم فى سبيل الله ، و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وانه من اغتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الى أن يرضى ولى المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه ، و إنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وانه من نصره أوآواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شئ فان مرده إلى الله عز وجل و إلى محمد ﷺ ، وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ [٣] إلا نفسه وأهل بيته ، وان ليهود بنى النجار و بنى الحارث و بنى ساعدة و بنى جشم و بنى الاوس و بنى ثعلبة وجفنة و بنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وان بطانة يهود كانفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد ، ولا ينحجر [٤] على ثار جرح ، وانه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وان الله على أثر هذا ، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الاثم ، و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، و إن النصر للمظلوم ، و إن يثرب حرام حرفها [٥] لاهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله و إلى محمد رسول الله ، وان الله على من اتقى ما فى هذ الصحيفة وأبره ، وانه لا تجار قريش ولا من

---

(١) المفرح المثقل بالدين الكثير العيال قاله ابن هشام . (٢) يبئ من البواء أى المساواة .
(٣) لا يوتغ ، أى لا يوبق و يهلك . (٤) فى النهاية : لما تحجر جرحه للبرء انفجر . أى اجتمع والتأم . وفى ابن هشام : ينحجز بالزاى ولعلها تصحيف (٥) كذا بالمصرية ، وفى الحلبية : خوفها : وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجرف موضع قريب من المدينة ، ولعله الاصح .

نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب و إذا دعوا إلى صلح يصالحونه و يلبسونه فانهم يصالحونه وانهم إذا دعوا إلى مثـل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وانه لا يحول هذا الـكتاب دون ظالم أو آثم ، و إنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم ، وان الله جار لمن بر واتقى » كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقـد تـكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصل

في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار

كما قال تعالى [والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجـدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهـم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] وقال تعالى [والذين عاقدت ايمانـكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ شهيدا]

قال البخارى : حدثنا الصلت بن محمـد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولـكل جعلنا موالى) قال : ورثة (والذين عاقدت ايمانـكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرى الانصارى دون ذوى رحمـه للأخوة التى آخى النبى (ص) بينهم ، فلما نزلت (ولـكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عاقدت أيمانـكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له . وقال الأمام احمـد قرئ على سفيان سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبى (ص) بين المهاجرين والانصار فى دارنا قال سفيان : كانه يقول آخى .

وقال محمـد بن اسحاق : وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال « هـذا أخى » فـكان رسول الله (ص) سـيد المرسلين ، و إمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله (ص) وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسـعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش

أخوين ، ويقال بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجارى أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبى ابن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسى حليف عبد الاشهل أخوين : ويقال بل كان عمار وثابت ابن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند [1] من وجهين . قال : وأبو ذر برير بن جنادة [2] والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين ، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد الفزع [3] أخوين . قال فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله (ص) آخى بينهم من أصحابه رضى الله عنهم .

قلت : وفى بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبى (ص) وعلى فان من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده فى ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لاجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبى (ص) لاحد منهم ، ولا مهاجرى لمهاجرى آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبى (ص) لم يجعل مصلحة على إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله (ص) من صغره فى حياة أبيه أبى طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم .

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار اليه عبدالملك بن هشام ، فان جعفر ابن أبى طالب إنما قدم فى فتح خيبر فى أول سنة سبع كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أرصد لاخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الأمام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) آخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبى طلحة . وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبى عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخارى باب كيف آخى النبى (ص) بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبى (ص) بينى وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وقال أبو جحيفة : آخى النبى (ص) بين

---

(١) فى الحلبية : وهذا النسب وهو خطأ . (٢) وقال ابن هشام : يقال أبو ذر جندب بن جنادة ، وفى الاصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل برير بالتصغير . (٣) قال السهيلى : الفزع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، و بالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

سلمان الفارسى وأبى الدرداء رضى الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى (ص) بينه و بين سعد بن الربيع الانصارى ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق . فربح شيئا من أقط وسمن ، فرآه النبى (ص) بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبى (ص) : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار . قال « فما سقت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبى (ص) : « أولم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا فى مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الأمام احمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه و بين سعد بن الربيع الانصارى ، فقال له سعد : أى أخى أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالى فخذه وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق . فدلوه فذهب فاشترى و باع فربح فجاء بشئ من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران [1] فقال رسول الله (ص) « مهيم ؟ » فقال : يارسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقتها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال « أولم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهبا وفضة . وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مسنداً [2] إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » هذا حديث ثلاثى الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت فى الصحيح من [3] وقال البخارى أخبرنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة . قال قالت الانصار : اقسم بيننا و بين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله (ص) للانصار « إن إخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله (ص) « أو غير ذلك ؟ »

---

(١) كذا فى الاصل ولعله ودك زعفران . (٢) فى هامش الحلبية ما يأتى : قوله مسنداً هذا غريب ، بل رواه البخارى موصولا فى أول كتاب البيوع فراجعه تجده عن عبد الرحمن .

(٣) هنا بياض فى الاصلين . وهو فى البخارى فى كتاب الوكالة .

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا نعم ! وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والآثار فى فضائل الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) الآية .

فصل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية فى قول وكان شابا وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخضمات فى هزم النبيت كما تقدم .

قال محمد بن اسحاق : وهلك فى تلك الاشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة ـ أو الشهقة ـ . وقال ابن جرير فى التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة فى الشوكة . رجاله ثقات .

قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيي بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله ﷺ : « بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقى العرب ، يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا » وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدم النبى ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير فى الغابة أنه مات فى شوال بعد مقدم النبى ﷺ بسبعة أشهر فالله أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيبا بعد أبى أمامة أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجار الذى يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا يرد قول أبى نعيم وابن منده فى قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بنى ساعدة ، إنما كان على بنى النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير فى التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين ـ فيما ذكر ـ صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفى بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته فى سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصارى الاوسى وهو من بنى عمرو بن عوف وكان

شيخا كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله (ص) المدينة ، ولما قدم رسول الله (ص) المدينة ونزل بقباء نزل فى منزل هذا فى الليل، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم . قال ابن الاثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله (ص) ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصل

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد فى الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضى الله عنهما . وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الاسود . ورواه الواقدى عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حثمة عن أبيه عن جده ، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم فاتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله (ص) فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله (ص) ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه. فكان أول مولود ولد فى الاسلام . تابعه خالد بن مخلد عن على بن مسهر عن هشام عن أبيه عن اسماء أنها هاجرت إلى النبى (ص) وهى حبلى . حدثنا قتيبة عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد فى الاسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبى (ص) فاخذ النبى (ص) تمرة فلاكها ثم أدخلها فى فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبى (ص) فهذا حجة على الواقدى وغيره لانه ذكر أن النبى (ص) بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبى (ص) واسماء حامل متم أى مقرب قد دنا وضعها لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا

فصل

وبنى رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الامام احمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه

عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) في شوال، وبنى بي في شوال ، فأى نساء رسول الله (ص) كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال . و رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به . وقال الترمذى حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثورى فعلى هـذا يكون دخوله بها عليه السلام بعـد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدم فى تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وان دخوله بها كان بالسنح نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفى دخوله عليه السلام بها فى شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهـذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس فى ذلك الوقت : تزوجني فى شوال ، و بنى بي فى شوال - أى دخل بي - فى شوال ، فاى نسائه كان أحظى عنده مني ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه اليه ، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو ابن العاص : قلت يارسول الله أى الناس أحب اليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال قال « أبوها » .

فصل

قال ابن جرير : وفى هذه السنة - يعنى السنة الاولى من الهجرة - زيد فى صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبى (ص) المدينة بشهر فى ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت ، وقال : وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر و زيد فى صلاة الحضر . وروى من طريق الشعبى عن مسروق عنها . وقـد حكى البيهقى عن الحسن البصرى أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعا والله أعلم . وقـد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية .

فصل

في الأذان ومشروعيته

قال ابن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله (ص) بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع اليه أمر الانصار استحكم أمر الاسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان

وقد كان رسول الله (ص) حين قدمها إنما يجتمع الناس اليـه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله (ص) أن يجعل بوقا كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينا هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ر به أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت ياعبدالله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال وما تصنع به ؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو؟ قال تقول ، الله أ كبر الله أ كبر الله أ كبر الله أ كبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمـداً رسول الله ، حى على الصلاة حى على الصلاة ، حى على الفلاح حى على الفلاح ، الله أ كبر الله أ كبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله (ص) قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى رسول الله (ص) وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله (ص) فلله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثنى بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحارث عن محمـد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ر به عن أبيه . وقـد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجـه وابن خزيمة من طرق عن محمـد بن اسحاق به . وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما . وعنـد أبى داود أنه علمه الاقامة قال ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أ كبر الله أ كبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أ كبر الله أ كبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبى عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحرانى عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الانصارى قال فى ذلك :

الحمدُ لله ذي الجلالِ وذي الإ كرام حمداً على الأذان كبيرا

إذْ أتاني به البشيرُ من اللـــه فأكرِمْ به لدي بشيرا

فى ليالٍ والى بهنّ ثلاثٍ كلما جاءَ زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله (ص) فالله أعلم . ورواه الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمـد بن ابراهيم التيمى ولم يذكر الشعر [وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى ثنا أبى عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن

سالم عن أبيه أن رسول الله (ص) استشار الناس لما يهمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأرى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الانصارى رسول الله (ص) ليلا فامر رسول الله (ص) بلالا فاذن به . قال الزهرى وزاد بلال فى نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم مرتين ، فاقرها رسول الله (ص) فقال عمر : يارسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى ، وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى و به الثقة . فاما الحديث الذى أورده السهيلى بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب فذكر حديث الاسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فاذن بهذا الاذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد (ص) فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلى واخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده و يشاكله من حديث الاسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله (ص) ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله اعلم [1]] .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج . قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبى (ص) وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبى (ص) ليخبره بما رأى وقد جاء النبى (ص) الوحى بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله (ص) حين اخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحى » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فاذا رآه تمطى ثم قال : اللهم احمدك واستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت ثم يؤذن ، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة ـ يعنى هذه الكلمات. ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به.

---

(١) هذا الحديث مقدم فى النسخة المصرية ومؤخر فى الحلبية .

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدى أن رسول الله (ص) عقد فى هذه السنة فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبدالمطلب لواء أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش وأن حمزة لقى أبا جهل فى ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدى بن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال وكان الذى يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوى.

فصل

﴿فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب﴾

قال ابن جرير: وزعم الواقدى أيضا أن النبى (ص) عقد فى هذه السنة على رأس ثمانية أشهر فى شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ. وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهى بناحية الجحفة فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى، وأنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمى دون المسابقة. قال الواقدى: وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص.

فصل

قال الواقدى: وفيها - يعنى فى السنة الاولى فى ذى القعدة - عقد رسول الله (ص) لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الاسود، فحدثنى أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه]. قال: خرجت فى عشرين رجلا على أقدامنا، أو قال أحد وعشرين رجلا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله (ص) قد عهد إلى أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم. قال الواقدى: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أنهذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.

قلت: كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الاولى، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا اليها إن شاء الله تعالى. والواقدى (رح) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار

وهو صدوق فى نفسه مكثار كما بسطنا القول فى عدالته وجرحه فى كتابنا الموسوم بالتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ولله الحمد والمنة .

فصل

وممن ولد فى هذه السنة المباركة ـ وهى الاولى من الهجرة ـ عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد فى الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخارى عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى الصديق رضى الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة ، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبى عبيد و زياد بن سمية ولدا فى هذه السنة الاولى [1] فالله أعلم . وممن توفى فى هذه السنة الاولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهدم الاوسى الذى نزل رسول الله (ص) فى مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بنى النجار كما تقدم ، و بعده — فيها — أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار توفى و رسول الله (ص) يبنى المسجد كما تقدم رضى الله عنهما وارضاهما .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة — يعنى الاولى من الهجرة — مات أبو أحيحة بما له بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

---

(١) وفى الاصلين : فى هذه السنة الثانية وهو خطأ وصححتها من تاريخ ابن جرير .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التى كانت فى رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغى . وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازى

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار فى كتاب السيرة بعد ذكر أحبار اليهود ونصبهم العداوة للاسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدى ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وسلام بن أبى الحقيق وهو أبو رافع الاعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذى قتله الصحابة بارض خيبر كما سيأتى ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وعمرو ابن جحاش ، وكعب بن الاشرف وهو من طىء ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير ؛ وقد قتله الصحابة قبل أبى رافع كما سيأتى ، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بنى النضير ، ومن بنى ثعلبة بن الفطيون عبدالله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز ـ بعد ـ أعلم بالتوراة منه .

قلت : وقد قيل إنه أسلم ، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتى وكان حبر قومه ، ومن بنى قينقاع زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيخان [١] وعزيز بن أبى عزيز [٢] وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشاش بن عدى ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمير [٣] وسكين بن أبى سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف [٤] وكعب بن راشد ، وعازر ورافع بن أبى رافع ، وخالد وازار بن أبى ازار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبى آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

(١) كذا فى الاصلين شيخان : وفى ابن هشام : محمود بن سبحان . (٢) كذا فى النسخة الحلبية وابن هشام والسهيلى . وفى المصرية : عزير بن أبى عزير بالراء (٣) كذا فى المصرية وفى الحلبية : عمر ، وفى ابن هشام عمرو . (٤) وقال ابن هشام : يقال ابن الضيف بالمعجمة .

قلت : وقد تقدم اسلامه رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بنى قريظة الزبير بن باطا ابن وهب ، وعزال بن شمويل[1] وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذى نقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب[2] ووهب بن زيد ونافع بن أبى نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا . قال ومن بنى زريق ، لبيد بن أعصم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بنى حارثة ، كنانة بن صوريا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف قردم بن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتى وأنه قال لقومه ـ وكان يوم السبت ـ يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله ـ وكان كثير الاموال ـ ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى « مخيريق خير يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الاوس زوى[3] بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الانصارى وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر ، فنماها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى وقيس

---

(١) فى الحلبية : شمويل ، وفى ابن هشام سموال بالسين المهملة . (٢) وفى ابن هشام : قردم بالقاف
(٣) وفى ابن هشام : زرى بالراء بدل الواو .

ابن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحـد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قـد قتل أباه سويد بن الصامت فى بعض حروب الجاهلية فاخذ بثأر أبيه منـه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقـد ذكر ابن اسحاق أن الذى قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله فى غير حرب قبل يوم بعاث رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (ص) . أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فانزل الله ـ فيما بلغنى عن ابن عباس ـ (كيف يهدى الله قوما كفروا بعـد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين) إلى آخر القصة . قال : وبجاد بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث وهو الذى قال فيه رسول الله (ص) : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هـذا » وكان جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله (ص) ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذى قال . إنما محمـد أذن ، من حدثه بشئ صدقه . فانزل الله فيه (ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن) الآية . قال : وأبو حبيبة بن الازعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذى قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه[واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاغرورا] .

قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى اسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق : وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف و بخرج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام [1] وعبـد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطاف ، وابناه يزيد [2] ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قـد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتى بيانه بعـد غزوة تبوك وكان فى أيام عمر سأل أهل قباء

(١) كذا فى الحلبية ، والمصرية : عمر بن حزام ، وابن هشام عمرو بن خذام .

(٢) وفى ابن هشام . زيد .

عمر أن يصلى بهم مجمع فقال : لا والله ، أو ليس امام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فحلف بالله ما علمت بشئ من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم . قال و وديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك قال وخذام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق فى منافقى بنى النبيت من الاوس و بشر و رافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق : ومربع بن قيظى ـ وكان أعمى ـ وهو الذى قال لرسول الله (ص) حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (ص) : « دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد ابن زيد الاشهلى بالقوس فشجه . قال وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة . قال الله (وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً) قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيما قد عسا [1] فى جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر . فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . قال و بشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات . قال وقزمان حليف لبنى ظفر الذى قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومى ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الاوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل ، والجد بن قيس وهو الذى قال : ائذن لى ولا تفتنى ، وعبد الله بن أبى بن سلول ، وكان رأس المنافقين و رئيس الخزرج والاوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم فى الجاهلية ، فلما هداهم الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذى قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعة — رجل من بنى عوف — ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير .

---

(١) عسا أى كبر وأسن من عسا القضيب اذا يبس.

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا فى الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم ، سعد بن حنيف ، و زيد بن اللصيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ «والله لا أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، و رافع بن حريملة ، وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ــ فيما بلغنا ــ : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » و رفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : « إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار » فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقى اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد و يسمعون أحاديث المسلمين و يسخرون و يستهزئون بدينهم ، فاجتمع فى المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو ابن قيس أحد بنى النجار ــ وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ــ فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ــ لعنه الله ــ أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلببه بردائه ، ثم نتره نتراً شديداً [١] ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ــ وكان طويل اللحية ــ فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما لدمة [٢] فى صدره خر منها قال يقول : خدشتنى ياعمارة ، فقال عمارة . أبعدك الله يامنافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ــ وكان بدريا ــ إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا ــ وليس فى المنافقين شاب سواه ــ فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه . وقام رجل من بنى خدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ــ وكان ذا جمة ــ فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لذلك أى عدو الله

(١) النتر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية . (٢) أى ضربه ودفعه ، واللدم الضرب ببطن الكف .

لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله (ص.) فانك نجس ، وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فاخرجه اخراجا عنيفا وأفف[1] منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأفاد رحمه الله .

أول المغازي وهي غزوة الابواء او غزوة ودان

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتى فى المغازى . قال البخارى كتاب المغازى . قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله (ص.) الابواء . ثم بواط ، ثم العشيرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله (ص.) ؟ قال : تسع عشره شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة ـ أو العشيرة ـ . وسيأتى الحديث باسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله و به الثقة . وفى صحيح البخارى عن بريدة قال : غزا رسول الله (ص.) ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله (ص.) ست عشرة غزوة ، وفى رواية له عنه أن رسول الله (ص.) غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل فى ثمانى منهن . وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ص.) غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . و بعث أربعا وعشرين سرية وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التنوخى ثنا الهيثم بن حميد أخبرنى النعمان عن مكحول أن رسول الله (ص.) غزا ثمانية عشر غزوة ، قاتل فى ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الاحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف[2] قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله (ص.) ثمانى عشرة غزوة ، وسمعته مرة أخرى يقول أربعاوعشرين . فلا أدرى أكان ذلك وهما أو شيئا سمعه بعد ذلك .وقد روى الطبرانى عن الدبرى[3] عن عبد الرزاق عن معمرعن الزهرى . قال : غزا رسول الله (ص.) أربعا وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد فى مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا ابن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله (ص.) إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن مغازى رسول الله (ص.) وسراياه كانت ثلاثا وأربعين .

---

(١) أى ألقى طرف ثوبه على أنفه وقال أف أف استقذاراً . (٢) الغزوات المذكورة تسع لا ثمانية فليحرر . (٣) فى الاصلين الدرى والدبرى وانما هو اسحاق بن ابراهيم الدبرى بالباء .

ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت فى الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله (ص) وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر ؛ السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام احمد عن أزهر بن القاسم الراسبى عن هشام الدستوائى عن قتادة أن مغازى رسول الله (ص) وسراياه ثلاث وأربعون : أربع وعشرون بعثا ، وتسع عشرة غزوة . خرج فى ثمان منها بنفسه ؛ بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين . وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : هذه مغازى رسول (ص) التى قاتل فيها ، يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق — وهو يوم الاحزاب و بنى قريظة — فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق و بنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الابواء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبدالله بن جعفر الرقى عن مطرف بن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى قال : أول آية نزلت فى القتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله (ص) يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً فى شوال — يعنى من سنة ثلاث — ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله (ص) إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله (ص) الابواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة الابواء[1] ثم غزوة بدر الاولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتبا . وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤله كما رواه محمد بن عمر الواقدى عن عبد الله بن عمر بن على عن أبيه سمعت على بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازى النبى (ص) كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدى : وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمى الزهرى يقول : فى علم المغازى علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) فى

(١) كذا بالاصلين مكررا غزوة الابواء والذى فى ابن هشام : الابواء ، بواط ، العشيرة الخ .

المغازى بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين . ثم إن رسول الله (ص) تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله (ص) المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول ، ورسول الله (ص) يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون . والمحرم ، ثم خرج رسول الله (ص) غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة . قال ابن اسحاق : حتى بلغ ودان وهى غزوة الابواء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمرى ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك . ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول . قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها عليه السلام . قال الواقدى وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين - أو ثمانين - راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله فى الاسلام . ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . قال ابن اسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبى جهل وروى ابن هشام عن أبى عمرو بن العلاء [1] عن أبى عمرو المدنى أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثانى أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبى [بكر] الصديق فى هذه السرية التى أولها :

أمن طيفِ سلمى بالبطاحِ الدمائثِ ... أرقتُ وأمرٌ فى العشيرة حادث

ترى من لؤيٍّ فرقةً لا يصدّها ... عن الكفر تذكيرٌ ولا بعثُ باعث

---

(١) فى ابن هشام : حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء .

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا لستَ فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدبروا ... وهرّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهث

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى فى مناقضتها التى أولها :

أمن رسمِ دارٍ أقفرتْ بالعثاعث ... بكيتُ بعينٍ دمعُها غير لابث
ومن عَجَبِ الأيام ـ والدهرُ كله ... له عَجَبٌ ـ من سابقاتٍ وحادث
لجيشٌ أتانا ذي عَرام يقودُه ... عُبيدة يُدعى فى الهياج ابنَ حارث
لنتركَ أصناماً بمكّة عُكّفا ... مواريثُ موروثٍ كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من ايرادها بتمامها إلا أن الامام عبدالملك بن هشام (رح) وكان إماما فى اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين . قال ابن اسحاق وقال سعد ابن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هلْ أتى رسولَ الله أني ... حميْتُ صحابتى بصدورِ نَبلى
أذودُ بها أوائلَهم ذِياداً ... بكل حَزُونةٍ وبكل سهل
فما يعتدُّ رامٍ فى عدوٍّ ... بسهمٍ يارسول الله قبلى
وذلك أن دِينكَ دينُ صدقٍ ... وذو حقٍّ أتيتَ به وفضل (١)
ينجّى المؤمنون به ويُجزى ... به الكُفّار عندَ مقام مُهل (٢)
فمهلاً قد غويتُ فلا تعبني ... غويّ الحيّ ويحك يا ابنَ جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد . قال ابن اسحاق : فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله (ص) فى الاسلام لاحد من المسلمين . وقد خالفه الزهرى وموسى بن عقبة والواقدى فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدى

قال ابن اسحاق : و بعض العلماء يزعم أن رسول الله (ص) ، بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى .

فصل

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا

(١) الذى فى ابن اسحاق : وعدل . (٢) وفى ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : إمهال وتثبت .

جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن اسحاق : و بعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله (ص) لاحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه و بعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهرى أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابواء . فلما قفل عليه السلام من الابواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين من المهاجرين ، وذكر نحوما تقدم . وقد تقدم عن الواقدى أنه قال : كانت سرية حمزة فى رمضان من السنة الاولى ، و بعدها سرية عبيدة فى شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان . فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول . والقصيدة هى قوله :

ألا يالقومي للتحلُّم والجهل	وللنقْص من رأي الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ	لهم حرماتٍ من سَوامٍ ولا أهل
كأنا بَتَلْناهم ولا بَتْل [1] عندنا	لهم غير أمرٍ بالعفاف و بالعدل
وأمرٍ باسلامٍ فلا يقبلونه	ويُنزَل منهم مثلَ مَنزِلة الهزْل
فما برحوا حتى انتُدبتُ لغارةٍ	لهم حيثُ حلّوا أبتغي راحةَ الفضل
بأمر رسول الله أولِ خافقٍ	عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قبل
لواءٌ لديه النصرُ من ذي كرامة	إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفعل
عشيةَ ساروا حاشدين .وكلُّنا	مَراجلُه من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءين أناخوا فعقّلوا	مطايا وعقّلْنا مدى غَرَضِ النَّبل
وقلنا لهم حَبْلُ الاله نصيرُنا	ومالكمُ إلا الضلالةَ من حبل
فثار أبو جهلٍ هنالك باغياً	فخابَ وردَّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحنُ إلا فى ثلاثينَ راكباً	وهم مائتانِ بعد واحدةٍ فضل
فيالَ لؤيٍّ لا تُطيعوا غُواتَكم	وَفيئوا إلى الاسلامِ والمنهجِ السهل
فانى أخافُ أن يصُبَّ عليكمُ	عذابٌ فتَدعوا بالندامةِ والثُّكل

(١) كذا فى المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفى الحلبية وابن هشام : نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

قال فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لاسبابِ الحفيظةِ والجهل ‏ ‏ ‏ وللشاغبينَ بالخلافِ وبالبُطْل

وللتاركين ما وجدنا جدودنا ‏ ‏ ‏ عليه ذوى الاحساب والسؤدد الجزل

ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ولابى جهل لعنه الله .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (ص) فى شهر ربيع الاول ـ يعنى من السنة الثانية ـ يريد قريشا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدى : استخلف عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله (ص) فى مائتى راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير .

قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الاولى] .

غزوة العشيرة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد . قال الواقدى : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده ، فصنع له عندها طعام فاكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق [1] بيسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد [2] حتى هبط ملل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من

---

(١) الخلائق بالخاء المعجمة : البئر التى لاماء فيها . وقال السهيلى : بالحاء المهملة آبار معلومة ورجح الرواية الاولى . (٢) صب للشاد كذا فى المصرية وابن هشام . وقال الخشنى صب للساد (بالسين المهملة) ثم قال وصوابه لليسار وصحفه فى الحلبية فقال : صب المسار .

بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبى اسحاق . قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له كم غزا رسول الله (ص) من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فأيهن كان أول ؟ قال العشير — أو العسير — فذكرت لقتادة فقال : العشير . وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبى (ص) زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن اسحاق و بين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله (ص) لعلى ما قال فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظى حدثنى أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر . قال كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله (ص) أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم ، فقال لى على بن أبى طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء النفر ـ من بنى مدلج يعملون فى عين لهم ـ ننظر كيف يعملون ؟ فأتيناهم فنظرنا اليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل فى دقعاء من الارض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله (ص) يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله (ص) لعلى : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ، فاخبرناه بما كان من أمرنا فقال : « ألا أخبركم باشقى الناس رجلين ؟ » قلنا بلى يارسول الله فقال « أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه ـ ووضع رسول الله (ص) يده على رأسه ـ حتى تبل منها هذه ـ ووضع يده على لحيته ـ » وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية على أبا تراب كما فى صحيح البخارى أن علياً خرج مغاضبا فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله (ص) فسألها عنه فقالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فايقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

غزوة بدر ـ الأولى

قال ابن اسحاق : ثم لم يقم رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة ، فخرج رسول الله (ص) فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الاولى ، وفاته كرز فلم يدركه . وقال الواقدى : وكان لواؤه مع على بن أبى طالب . قال ابن هشام والواقدى : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله (ص) فأقام جمادى و رجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدى ذلك سعداً فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعث حمزة فى رمضان ، و بعث عبيدة فى شوال ، و بعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الاولى .

وقد قال الامام احمد : حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثنى يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن الامام احمد وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى حدثنا أبى ثنا المجالد عن زياد ابن علاقة عن سعد بن أبى وقاص . قال لما قدم رسول الله (ص) المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فاوثق حتى نأتيك وقومنا ، فاوثق لهم فاسلموا قال فبعثنا رسول الله (ص) فى رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة فاغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا نأتى نبى الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا فى أناس معى لا بل نأتى عير قريش فنقتطعها . وكان الفئ إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبى (ص) فاخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندى جميعا و رجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدى فكان أول أمير فى الاسلام . وقد رواه البيهقى فى الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لاصحابه : لم تقاتلون فى الشهر الحرام فقالوا انقاتل فى الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبى أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبى وقاص فذكر نحوه فادخل بين سعد و زياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الاسدى وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدى حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش

التى كان سببها لغزوة بدر العظمى [1] وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدى فى رجب

(١) كذا بالاصلين ، ولعلها : التى كانت سببا لغزوة بدر العظمى .

مقفله من بدر الاولى و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، وهم أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بنى أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان حليف بنى نوفل ، وسعد بن أبى وقاص الزهرى ، وعامر بن ربيعة الوائلى حليف بنى عدى ، و واقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمى حليف بنى عدى أيضا ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضا ، وسهل بن بيضاء الفهرى فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله ابن جحش رضى الله عنه . وقال يونس عن ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فالله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً . فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فاذا فيه إذا نظرت فى كتابى فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما فى الكتاب . وقال : قد نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فماض لأمر رسول الله ص . فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش و بقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، قال ابن هشام : واسم الحضرمى عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه . فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد ابن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله ص . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لاصحابه : ان لرسول الله ص مما غنمنا الخمس فعزله وقسم الباقى بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس . قال لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق ، فلما قدموا على رسول الله ص قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا لما قال ذلك رسول الله ص أسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم أخوانهم من

المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان ، وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله (ص) عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمى حضرت الحرب و واقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله (ص) [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا] أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية .

قال ابن اسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله (ص) العير والاسيرين ، و بعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله (ص) « لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا » ـ يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ـ فانا نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله (ص) . فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله (ص) حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً قال ابن اسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل الله فيهم [إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم] فوصفهم [1] الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق : والحديث فى ذلك عن الزهرى و يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى وكذا روى شعيب عن الزهرى عن عروة نحواً من هذا وفيه ؛ وكان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

---

(١) كذا بالاصلين ، وفى ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير فى الاسلام . وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبدالله أن رسول الله (ص) بعث رهطا و بعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله (ص) فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال « لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله ، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان و بقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام ، فانزل الله [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير] الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله (ص) بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة و واقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فاذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لاصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص فانني موص وماض لأمر رسول الله (ص) فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فاقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا فى رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه فى جمادى . قال السدى وكان قتلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فالله أعلم . وهكذا روى العوفى عن ابن عباس أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبي حاتم . وقد تقدم فى سياق ابن اسحاق أن ذلك كان فى آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة و ينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرم فيتعذر عليهم ذلك فاقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهرى

عن عروة رواه البيهقى فالله أعلم أى ذلك كان . قال الزهرى عن عروة فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقى .

قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من احلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هى لعبد الله بن جحش :

تَعدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرُّشْدَ راشد
صُدودكم عمّا يقولُ محمد ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله فى البيتِ ساجد
فانّا وإن عيّرتمونا بقتله ... وأرجفَ بالاسلام باغٍ وحاسد
سقَينا من ابنِ الحضرمي رماحَنا ... بنخلةَ لما أوقدَ الحربَ واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعُه غلٌّ من القيدِ عانـد

فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين و به قال قتادة و زيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتى والله أعلم . وقيل فى شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . قال الجمهور الاعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدى أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفى هـذا التحديد نظر والله أعلم . وقـد تـكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير عند قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأن الذين أوتوا الـكتاب يعلمون أنه الحق من ربهـم وما الله بغافل عما تعملون) . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لانه أول نسخ وقع فى الاسلام هـذا وقد أحال الله قبـل ذلك فى سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله (ما ننسخ من آية ، أو ننسأها[1] نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) وقد قال البخارى حدثنا أبو نعيم

(١) كذا فى الاصلين : ننسأها وهى قراءة أبى عمرو . وقراءة حفص نُنْسِها .

سمع زهيراً عن أبى اسحاق عن البراء أن النبى (ص) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى (ص) قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندرما نقول فيهم فانزل الله (وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) رواه مسلم من وجه آخر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء . قال : كان رسول الله (ص) قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فانزل الله [قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] . قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس — وهم اليهود — ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . فانزل الله [قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم] وحاصل الامر أن رسول الله (ص) كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الامام احمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً — أو سبعة عشر شهراً — وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم . وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبلة ابراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك فانزل الله عز وجل [قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] الآية . فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله (ص) المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائى عن أبى سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر . وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره و يؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر . قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله (ص) قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك . والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والاغبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد (ص) فى كتبهم من أن المدينة مهاجره وأنه سيؤمر

بالاستقبال إلى الكعبة كما قال (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أى هو المالك المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه وهو الذي يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خياراً (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهدينا كم إلى قبلة أبيكم ابراهيم والد الانبياء بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلنا كم خيار الامم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجماعهم عليكم واشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى سعيد مرفوعا من استشهاد نوح بهذه الامة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاحرى . ثم قال تعالى مبينا حكمته فى حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة . وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة . فقال : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) . قال ابن عباس : إلا لترى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة أى وان كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر إلا على الذى هدى الله أى فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة اليه (إن الله بالناس لرؤف رحيم) والاحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط فى التفسير وسنزيد ذلك بيانا فى كتابنا الاحكام الكبير . وقد روى الامام احمد حدثنا على بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) - يعنى فى أهل الكتاب - : « إنهم لم يحسدونا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

فصل

في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض فى شعبان منها ، ثم

حكى أن رسول الله (ص) حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] الآية وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية من ايراد الاحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية فى ذلك والاحكام المستفادة منه ولله الحمد .

وقد قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودى حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن معاذ بن جبل . قال : احيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله (ص) قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فاجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فاثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام فهذان حولان . قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما ، فرآه رسول الله (ص) قد جهد جهداً شديداً فقال : « مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً » فاخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له فانزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) . ورواه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث المسعودى نحوه وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل إن رسول الله (ص) خطب

الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك. قال وفيها صلى النبي (ص) صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدى رسول الله (ص) فى الأعياد .

• قلت : وفى هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتى تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى و به الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر العظمى * يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال الله تعالى [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و إن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون و إذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا فى كل موضع ما يناسبه .

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله (ص) سمع بابى سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا ـ أو أربعون ـ منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص . قال موسى بن عقبة عن الزهرى كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمى بشهرين ، قال وكان فى العير الف بعير تحمل أموال قريش باسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر و يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا : لما سمع رسول الله (ص) بابى سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين اليهم وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (ص) يلقى حربا ، وكان أبو

سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس [١] من لقى من الركبان تخوفا على أموال [٢] الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها . ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى إذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميها لا تذكيرها لاحد ، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ـ وكان له صديقا ـ فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لابنه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التى رأت عاتكة قال قلت وما رأت ؟ قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون . وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب ، قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير شئ إلا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبدالمطلب إلا أتتنى فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت ؟ قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له فاذا عاد

---

(١) فى الاصلين : يتجسس بالجيم ، وفى ابن هشام يتحسس بالحاء المهملة وشرحهما السهيلى فقال : يتبسمع . (٢) كذا فى الحلبية وفى المصرية على أمر الناس ، وفى ابن هشام عن أمر الناس .

لا كفيكنه ، قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله إنى لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله أ كل هـذا فرق منى أن أشاتمه ؟ ! و إذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ والله ليعلمن غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن اسحاق . قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج و إما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها أحد الا ان أبا لهب بن عبدالمطلب بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء . قال قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق فى هذه القصة . وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال حدثنى احمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق حدثنى عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لامية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لامية أنظر لى ساعة خلوه لعلى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال يا أبا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ أما والله لئن منعتنى هـذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية لا ترفع صوتك ياسعد على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى ، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنهم قاتلوك » قال بمكة ؟ قال لا أدرى ؟ ففزع لذلك أمية فزعا شديداً

فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لى سعد ؟ قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى ، فقلت له بمكة . قال : لا أدرى . فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر . استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتنى فوالله لاشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية يا أم صفوان جهزينى فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر . وقد رواه البخارى فى موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق به نحوه ، تفرد به البخارى . وقد رواه الامام احمد عن خلف بن الوليد وعن أبى سعيد كلاهما عن اسرائيل وفى رواية اسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن اسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بنى بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب . فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الاخيف من بنى عامر بن لؤى قتله رجل من بنى بكر باشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه ثم جاء من الليل فعلقه باستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة . فقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا . قلت : وهذا معنى قوله تعالى [ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله . وهذا كقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين) وقد قال الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من

هزب يومئذ بعـد أن كان هو المشجع لهـم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . وقال يونس عن ابن اسـحاق : خرجت قريش على الصعب والذلول فى تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين . وذكر المطعمين لقريش يوما يوما ، وذكر الاموى أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهـم على ماء بدر أبو البختري عشرا ، ثم أكلوا من ازوادهم . قال الأموى حـدثنا أبى حدثنا أبو بكر الهذلى قال كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع وكان مع رسول الله (ص) فرسان وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء فى نفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر . وأما رسول الله (ص) فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير وكان أبيض ، وبين يدى رسول الله (ص) رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها العقاب ، والاخرى مع بعض الانصار . قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموى كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن اسحاق : وجعـل رسول الله (ص) على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن بن النجار . وقال الاموى : وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الاخرى الزبير بن العوام (1) ومن سـعد بن خيثمة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامام احمد من حديث أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقى من طريق ابن وهب عن أبى صخر عن أبى معاوية البلخى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود ـ يعنى يوم بدر ـ وقال الاموى حدثنا أبى حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن التيمى قال : كان مع رسول الله (ص) يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الاسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، فكان رسول الله (ص) وعلى ومرثد بن

---

(1) قوله ومن سعد الى الأسود . كذا فى الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانهما مرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الاسود .

أبى مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة و زيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود . قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زميلى رسول الله (ص) . قال فكانت عقبة رسول الله (ص) فقالا نحن نمشى عنك . فقال : «ما أنتما باقوى منى ولا أنا باغنى عن الاجر منكما » وقد رواه النسائى عن الفلاس عن ابن مهدى عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يرد أبالبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبى لبابة والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله (ص) أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . و إنما رواه النسائى عن أبى الاشعث عن خالد ابن الحارث عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزى فى الاطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبى هريرة فالله أعلم . وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله (ص) فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك غير أنى تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (ص) يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد تفرد به .

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (ص) طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذى الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهى الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقى رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس سلم على رسول الله (ص) قال أوفيكم رسول الله (ص) قالوا نعم ! فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فاخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه ؛ قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله (ص) وأقبل علىّ فانا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة . فقال رسول الله (ص) مه أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله (ص) سجسج وهى بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ؟ فسلك فى ناحية منها حتى إذا جزع [1] واديا يقال له رحقان بين النازية و بين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم

(١) جزعة أى قطعه ولا يكون الا عرضا ، وجزع الوادى منقطعه .

انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى ابن أبى الزغباء حليف بنى النجار إلى بدر يتجسسان الاخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس اليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله (ص) وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماؤهما ؟ فقالوا يقال لاحدهما مسلح وللآخر مخرى ، وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار ، و بنو حراق ، بطنان من غفار فكرههما رسول الله (ص) والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعا له . ثم قال رسول الله (ص) : « أشيروا علىّ أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله (ص) يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله (ص) قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ثم قال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به ، أتى النبى (ص) وهو يدعو

على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى إذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك، وعن شمالك و بين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره انفرد به البخارى دون مسلم فرواه فى مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائى من حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الاسود يوم بدر على فرس فذكره . وقال الامام احمد حدثنا عبيدة ـ هو ابن حميد ـ عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدر فاشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فاشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الانصار : إياكم يريد رسول الله يامعشر الانصار. فقال بعض الانصار : يارسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك . وهذا اسناد ثلاثى صحيح على شرط الصحيح . وقال احمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان قال فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب رسول الله ﷺ الناس . قال فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج ، فاخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول مالى علم بأبى سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فاذا قال ذلك ضربوه فاذا ضربوه . قال نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فاذا تركوه فسألوه قال مالى بأبى سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ، فاذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذى نفسى بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم . قال وقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا ، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به نحوه . وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مردويه — واللفظ له — من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم عن أبى عمران أنه سمع أبا أيوب الانصارى يقول قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ » فقلنا نعم ! نخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ما ترون فى القوم فانهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ولكننا أردنا العير ، ثم قال « ما ترون فى قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك . فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذا لا نقول لك يارسول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا

قلنا مثل ما قال المقداد أحب الينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل على رسوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث . وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله (ص) إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله ايانا تريد ؟ فوالذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لى بها علم ، ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذى أحدث الله اليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعد [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون] الآيات . وذكره الاموى فى مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت . وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله (ص) من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبة [(1)] وترك الحنّان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق ـ كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان ـ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله (ص) إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم ! قال الشيخ فانه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله (ص) وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله (ص) نحن من ماء » ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمرى .

---

(١) كذا فى الاصلين وابن هشام . وفى معجم البلدان وفى تاريخ ابن جرير فى هذا الخبر : الدبة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله (ص) إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فاتوا بهما فسألوهما و رسول الله (ص) قائم يصلى فقالوا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابى سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا نحن لابى سفيان فتركوهما وركع رسول الله (ص) وسجد سجدتيه وسلم . وقال : « إذا صدقا كم ضربتموهما ، و إذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ؟ قالا هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، والكثيب العقنقل . فقال لهما رسول الله (ص) كم القوم ؟ قالا كثير . قال ما عدتهم ، قالا لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا يوما تسعاً ويوما عشرا . فقال رسول الله (ص) : « القوم ما بين التسمائه إلى الالف » ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله (ص) على الناس فقال : « هذه مكة قد القت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى و بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك . قال مجدى صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى و بسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله (ص) وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء . فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم وانى لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعيرله ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته

ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا . وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ـ وكان حليفا لبنى زهرة ـ وهم بالجحفة : يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير ضيعة لاما يقول هذا . قال فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقى بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بنى عدى لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال فى ذلك :

لاهُمَّ إما يغزوَنَّ طالبْ فى عُصبةٍ مُحالِفٍ محاربْ
فى مِقْنَبٍ من هذه المقانبِ فليكنِ المسلوبَ غيرَ السالبْ
وليكن المغلوبَ غيرُ الغالب

قال ابن اسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقليب ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفى هذا قال تعالى (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أى من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا) الآيات . وبعث الله السماء وكان الوادى دهسا فاصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبدلهم الارض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفى هذا قوله تعالى [وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطنا ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن

والظاهر وأنزلَ النصر عليهم من فوقهم فى قوله (اذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) أى على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أى لئلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ، ذلكم فذقوه وأن للكافرين عذاب النار) .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن حارثة عن على بن أبى طالب . قال : أصابنا من الليل طش من المطر ـ يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله (ص) ـ يعنى قائما يصلى ـ وحرض على القتال . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على . قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله (ص) تحت شجرة يصلى و يبكى حتى أصبح ، وسيأتى هذا الحديث مطولا . ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة به ، وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فاطفأ به الغبار وتلبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله (ص) تلك الليلة يصلى إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول « يا حى ياقيوم » يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام .

قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله (ص) يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح . قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه . أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله (ص) « لقد أشرت بالرأى » . قال الاموى حدثنا أبى قال وزعم الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . قال بينا رسول الله (ص) يجمع الاقماص [1] وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله (ص) : « هو السلام ومنه السلام واليه السلام » فقال الملك إن الله يقول لك ان الأمر [هو] الذى أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله (ص) ياجبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وانه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس

(١) الاقماص : كذا فى الاصلين ولم نعثر على هذا النص فى غيرها .

فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليـه ثم أمر بالقلب فعورت ، و بنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله (ص) نزل ملك من السماء وجبريل عند النبى (ص) فقال الملك يامحمـد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الرأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله (ص) الى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الاموى أنهـم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصف الليل وأنهـم نزلوا فيه واستقوا منـه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث ان سـعد بن معاذ . قال : يا نبى الله ألا نبنى لك عريشا تـكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست عـلى ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن باشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ينصاحونك و يجاهدون معك . فاثنى عليه رسول الله (ص) خـيراً ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله (ص) عريش كان فيه .

قال ابن اسحاق : وقـد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت ، فلمـا رآها رسول الله (ص) تصوب من العقنقل وهو الـكثيب الذى جاؤا منه إلى الوادى . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتـكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم أحنهم [1] الغداة » . وقد قال رسول الله (ص) وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له احمر « إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة أو أبوه ايماء بن رحضة الغفارى ، بعث إلى قريش ابناله بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحببتم أن نمدكم بسلاح و رجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقـد قضيت الذى عليك ، فلعمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، و إن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة . قال فلمـا نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص) فيهـم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله (ص) دعوهم فما شرب منـه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فـكان إذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله (ص) يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كما سيأتى بيان ذلك

---

(١) أحنهم : أى أهلـكهم من الحين وهو الهلاك ذكره الخشنى فى غريب السيرة .

فى فصل نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففى صحيح البخارى عن البراء . قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة و بضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزه معه إلا مؤمن . وللبخارى أيضا عنه . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين ، والانصار نيفا وأربعون ومائتان . وروى الامام احمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى [إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم] الآية . وكان ذلك فى منامه تلك الليلة وقيل إنه نام فى العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه و يقول يارسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا . ذكره الاموى وهو غريب جداً . وقال تعالى [و إذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا و يقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا] . فعند ما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما فى أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له فى ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى فى سورة آل عمران (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فان المعنى فى ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلى عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بان أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم فى أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال (والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) . قال اسرائيل عن أبى اسحاق عن أبى عبيد وعبد الله . لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى أنى لأقول لرجل الى جنبى أتراهم سبعين ؟ فقال أراهم مائة

قال ابن اسحاق : وحدثنى أبى اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا : لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا ، أو ينقصون ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد . قال فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل

رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرُوا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى قال قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من ماله . فأت ابن الحنظلية — يعنى أبا جهل — فانى لا أخشى أن يسجر[1] أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه — أو ابن خاله — أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد و بين سائر العرب ، فان أصابوه فذلك الذى أردتم ، و إن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا فهو يهنئها[2] فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه . قال فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم اليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبى جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعى عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال ائذن له فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد أدن ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه و بين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش باسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التى قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال أفعل ماذا ؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمى وهو حليفك ، فتحمل بديته و يرجع

(١) فى ابن هشام بالشين المعجمة . (٢) فى الحلبية مهملة من النقط ، وفى سيرة ابن هشام يهيئها ومعنى يهنئها يتفقدها و يصلحها . عن محمود الامام .

الناس . فقال أنت على بذلك وأذهب الى ابن الحنظلية ـ يعنى أبا جهل ـ فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فاذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت لا ! ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شئ وعتبة متكئ على ايماء بن رحضة الغفارى ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر . فطلع أبو جهل الشر فى وجهه فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال ايماء بن رحضة بئس الفأل هذا ، فعند ذلك قامت الحرب . وقد صف رسول الله (ص) أصحابه وعباهم أحسن تعبية فروى الترمذى عن عبدالرحمن بن عوف . قال صفنا رسول الله (ص) يوم بدر ليلا . وروى الامام احمد من حديث ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله (ص) يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر اليهم النبى (ص) فقال : « معى معى » تفرد به احمد وهذا اسناد حسن .

وقال ابن اسحاق : وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله (ص) عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية حليف بنى عدى ابن النجار وهو مستنتل من الصف ، فطعن فى بطنه بالقدح وقال « استو ياسواد » فقال يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى فكشف رسول الله (ص) عن بطنه فقال استقد ، قال فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال ما حملك على هذا ياسواد ؟ قال يارسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله بخير (ص) وقاله . قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده فى العدو حاسرا » فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله (ص) الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره . وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفا على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون رسول الله (ص) خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله (ص) ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل عن على أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين . فقال أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله (ص) عريشا فقلنا

من يكون مع رسول الله (ص) لئلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله (ص) لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس . قال ولقد رأيت رسول الله (ص) وأخذته قريش فهذا يحاده ، وهذا يتلتله و يقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب و يجاهد هذا و يتلتل هذا وهو يقول : و يلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع علىّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه . ثم قال البزار لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه . فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول فى العريش كما كان معه فى الغار رضى الله عنه وأرضاه . ورسول الله (ص) يكثر الابتهال والتضرع والدعاء و يقول فيما يدعو به « اللهم إنك ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل و يقول « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرك » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من ورائه و يسوى عليه رداءه و يقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يارسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك .

[هكذا حكى السهيلى عن قاسم بن ثابت أن الصديق انما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشفاق لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يارسول الله أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ، وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله (ص) . وحكى السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى بانه قال : كان رسول الله (ص) فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء وكان مقام الخوف فى هذا الوقت — يعنى أكمل — قال لأن لله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم] (١) .

هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن واستغاث بربه سيد الانبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الارض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء . فكان أول من قتل من المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومى . قال ابن اسحاق : وكان رجلا شرساً سيء الخلق فقال : أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع

---

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض . قال الاموى : فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ـ فيما قيل ـ فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار . فقالوا مالنا بكم من حاجة . وفى رواية فقالوا أكفاء كرام ولكن أخرجوا الينا من بنى عمنا ، ونادى مناديهم : يامحمد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبى (ص) : « قم ياعبيدة بن الحارث ، وقم ياحمزة ، وقم ياعلى » وعند الاموى أن النفر من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله (ص) لانه أول موقف واجه فيه رسول الله (ص) أعداءه فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فامرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم ؟ — وفى هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح — فقال : عبيدة عبيدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال على على . قالوا نعم ! أكفاء كرام . فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة . فاما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما على فلم يمهل الوليد ان قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلىّ باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضى الله عنه .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عُباد عن أبى ذر : أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) نزلت فى حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه يوم برزوا فى بدر . هذا لفظ البخارى فى تفسيرها . وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن على بن أبى طالب . أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن عز وجل فى الخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخارى . وقد أوسعنا الكلام عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله البهى . قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز اليهم حمزة وعبيدة وعلى . فقالوا تكلموا نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال كفؤ كريم . وقال على : أنا عبدالله وأخو رسول الله ، وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم

فقتلهم الله . فقالت هند فى ذلك :

أعينيَّ جُودي بدمعٍ سَرِبْ — على خيرِ خندف لم ينقلبْ
تداعى له رهطُه غُدوةً — بنو هاشمٍ وبنو المطَّلب
يُذيقونه حدَّ أسيافهم — يعلُّونه بعدَ ما قد عَطِب

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤا به إلى رسول الله (ص) أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله (ص) فاشرفه[1] رسول الله (ص) قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يارسول الله لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله :

ونُسْلِمُه حتى نصرَّع دونه — ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضى الله عنه فقال رسول الله (ص) « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعى رحمه الله وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق فكان أول من قتل ، ثم رمى بعده حارثة بن سراقه أحد بنى عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فاصاب نحره فمات . وثبت فى الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان فى النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت يارسول الله أخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت و إلا فليرين الله ما أصنع ـ يعنى من النياح ـ وكانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله (ص) « ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمان وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى » .

قال ابن اسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وقال : أمر رسول الله (ص) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل . وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد . قال قال لنا رسول الله (ص) يوم بدر إذا أكثبوكم ـ يعنى المشركين ـ فارموهم واستبقوا نبلكم . وقال البيهقى أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن أبى اسحاق حدثنى عبد الله بن الزبير . قال : جعل رسول الله (ص) شعار المهاجرين يوم بدر يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله ، وسمى خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قال ابن اسحاق : ورسول الله (ص) فى العريش معه أبو بكر رضى الله عنه ـ يعنى وهو يستغيث الله عز وجل ـ كما قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

(١) فى السيرة الحلبية فأفرشه .

قال الامام احمد حدثنا أبو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله (ص) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبى (ص) القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال: « اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد فى الأرض أبداً » فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فاتاه أبو بكر فاخذ رداءه فرده ثم التزمه من من ورائه ثم قال: يا رسول الله كفاك [1] مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله [إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بالف من الملائكة مردفين] وذكر تمام الحديث كما سيأتى وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليمانى وصححه على ابن المدينى والترمذى، وهكذا قال غير واحد من ابن عباس والسدى وابن جرير وغيرهم إن هذه الآية نزلت فى دعاء النبى (ص) يوم بدر، وقد ذكر الاموى وغيره أن المسلمين عجوا الى الله عز وجل فى الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى (بالف من الملائكة مردفين) أى ردفا لكم ومدداً لفئتكم رواه العوفى عن ابن عباس. وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم. وقال أبو كُدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك. وفى رواية عنه بهذا الاسناد (مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة. وقد روى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة، وكان جبريل فى خمسمائة مجنبة، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة، وهذا هو المشهور. ولكن قال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا إسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنى عبد العزيز بن عمران عن الربعى عن أبى الحويرث عن محمد بن جبير عن على. قال: نزل جبريل فى الف من الملائكة على ميمنة النبى (ص) وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل فى الف من الملائكة على ميسرة النبى (ص) وأنا فى الميسرة. ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث محمد بن جبير عن على فزاد: ونزل اسرافيل فى الف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة، وهذا غريب وفى اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الاقوال ويؤيدها قراءة من قرأ (بألف من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم. وقال البيهقى أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب أخبرنى اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبى رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده. قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت

(١) . فى الحلبية : كذلك، وفى المصرية : كذاك . والتصحيح من انسان العيون .

مسرعا لا نظر إلى رسول الله (ص) ما فعـل ، قال فجئت فاذا هو ساجد يقول « ياحى يا قيوم يا حى يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده . وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن بندار عن عبيدالله بن عبد المجيد أبى على الحنفى . وقال الاعمش عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود . قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمـد (ص) يوم بدر ، جعل يقول « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هـذه العصابة لا تعبد » ثم التفت وكأن شق وجهه القمر . وقال « كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائى من حـديث الأعمش به .
وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله (ص) فما رأيت مناشداً ينشد حقا له أشـد مناشدة من رسول الله (ص) وذكره . وقـد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب . ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة وهو مناسب ، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخـبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة والله أعلم . وقد روى البخارى من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى (ص) قال وهو فى قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعـد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكية وقـد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا أبو الربيع الزهرانى ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر : أى جمع يهزم وأى جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (ص) يثب فى الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخارى من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمـد بمكة — وإنى لجارية ألعب — (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يانبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك ، وقد خفق النبى (ص) [خفقة] وهو فى العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هـذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع » يعنى الغبار . قال ثم خرج رسول الله (ص) إلى الناس فحرضهم . وقال « والذى نفس محمـد بيده لا يقاتلهم اليوم رجـل فيقتل

صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأ كلهن : بخ بخ أفما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله (ص) بسبسا عينا ينظر ما صنعت عير أبى سفيان ، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير النبى (ص) قال لا أدرى ما استثنى من بعض نسائه ، قال فحدثه الحديث . قال فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونه فى ظهورهم فى علو المدينة قال « لا إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله (ص) وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله (ص) « لا يتقدمن أحد منكم إلى شئ حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله (ص) « قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض » قال يقول عمير بن الحمام الانصارى يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ؟ قال نعم ! قال بخ بخ ؟ فقال رسول الله « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من أهلها » قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكلَ تمراتى هذه إنها حياة طويلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضاً إلى الله بغيرِ زادِ   إلا التُّقَى وعمل المعادِ
والصبرُ فى الله على الجهادِ   وكلُّ زادٍ عُرضَةَ النفاد
غيرُ التُّقى والبِرِّ والرشادِ

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على . قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله (ص) يتحبر عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله (ص) إلى بدر – و بدر بئر – فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط فاما القرشى فانفلت ، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم ؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله (ص) ، فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عددهم شديد باسهم . فجهد النبى (ص) أن يخبره كم هم فابى ثم ان النبى (ص) سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً كل يوم . فقال النبى (ص) « القوم الف ، كل جزور لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من

الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، و بات رسول الله (ص) يدعو ر به و يقول « اللهم إنك إن تهلك هـذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله (ص) وحرض على القتال ثم قال « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له احمر يسير فى القوم ، فقال رسول الله (ص) « ياعلى ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الاحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال و يقول لهم ياقوم أعصبوها برأسى وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنى لست باجبنكم . فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته قد ملأت رئتك جوفك رعباً . فقال : إياى تعير يا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينا الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز فخرج فتية من الانصار مشببة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عمنا من بنى عبد المطلب فقال رسول الله (ص) « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم ياعبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يارسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه فى القوم . فقال الانصارى : أنا اسرته يارسول الله . فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فاسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلا ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى . وقد تفرد بطوله الامام احمد . و روى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله (ص) من العريش وحرض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً] الآية .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق قال قال الاوزاعى : كان يقال قلما ثبت قوم قياما ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه و يذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه : ألا ترونهم ـ يعنى أصحاب النبى (ص) ـ جثيا على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات ـ أو قال الافاعى ـ . قال الاموى فى مغازيه : وقد كان النبى (ص) حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب . وقال « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقاتلا بالابدان جمعا

بين المقامين الشريفين . قال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن حارثة ابن مضرب عن على قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (ص) وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . و رواه النسائى من حديث أبى اسحاق عن حارثة عن على قال : كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله (ص) . وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبى عون عن أبى صالح الحنفى عن على . قال : قيل لعلى ولابى بكر رضى الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ـ أو قال يشهد الصف ـ وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان فى الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد المجنبتين فى خمسمائة من الملائكة ، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الاخرى فى خمسمائة من الملائكة فوقفوا فى الميسرة وكان على بن أبى طالب فيها [وفى حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن على . قال كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل فى الف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله (ص) وهناك أبو بكر ، واسرافيل فى الف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل فى الف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطى] [1] وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

و ببئرِ بدرٍ إذ يكفّ مَطِيَّهم ... جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد

وقد قال البخارى حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة ابن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريل إلى رسول الله (ص) فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخارى . وقد قال الله تعالى [إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق ـ يعنى الرؤس ـ واضربوا منهم كل بنان] وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبى زميل حدثنى ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا ، فنظر اليه فاذا هو خطم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذاك رسول الله (ص) . فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم عمن حدثه عن ابن عباس عن رجل من

(١) ما بين المربعين لم يرد فى المصرية .

بني غفار . قال : حضرت أنا وابن عم لى بدراً ونحن على شركنا ، و إنا لفى جبل ننتظر الوقعة على من تـكون الدائرة ، فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيـل ، وسمعنا قائلا يقول : أقدم حيزوم فاما صاحبى فانـكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فـكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسـيد مالك بن ربيعة ـ وكان شهد بدراً ـ قال ـ بعد أن ذهب بصره ـ لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائـكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نزلت الملائـكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم (أنى معكم فثبتوا الذى آمنوا) . وتثبتهم أن الملائـكة كانت تأتى الرجل فى صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فانهم ليسوا بشئ والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدى حدثنى ابن أبى حبيبة عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون فيقول إنى قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشئ إلى غير ذلك من القول فذلك قوله (إذ يوحى ربك إلى الملائـكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية . ولما رأى ابليس الملائـكة نـكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى مالا ترون وهو فى صورة سراقة وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه فى الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخـذا وروى البيهقى من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو اسيد — بعد ما ذهب بصره — يا ابن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ثم أطلق الله بصرى لأريتك الشعب الذى خرجت علينا منه الملائـكة من غير شك ولا تمار وروى البخارى عن ابراهيم بن موسى عن عبدالوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال يوم بدر « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه اداة الحرب » .

وقال الواقدى حدثنا ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرنى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه . وحدثنى عابد بن يحيي عن أبى الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثى عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله (ص) رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك ، فانزل الله الفا من الملائـكة مردفين عنـد اكتناف العدو . قال رسول الله (ص) « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والارض ، فلما نزل إلى الارض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول أتاك نصر الله إذ دعوته » . وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه . قال : يا بنى لقد رأيتنا يوم

بدر وأن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف

وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال إني لأتبع رجلا من المشركين لاضربه فوقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله . وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس . قال : كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد احرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس . قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون . وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمترى . قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ لجبريل : « من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل يامحمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الاثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيي عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدرى كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر . وحدثني محمد بن يحيي عن أبي عقيل عن أبي بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فاني رأيت رجلا طويلا [قتله] فاخذت رأسه . فقال رسول الله ﷺ « ذاك فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال : كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال فمن ؟ يقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس أبيض فاوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا فنادى في العسكر من أسر هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ . فقال من أسرك قلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله ﷺ « أسرك ملك من الملائكة » اذهب يا ابن عوف بأسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيي حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن اكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا فوقع في نفسي أن هذا شئ من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة

[وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنى أبى عن محمد بن اسحاق حدثنى أبى عن جبير بن مطعم . قال : رأيت قبل هزيمة القوم — والناس يقتتلون — مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] [١] ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله (ص) حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع » يعنى من المعركة ثم خرج رسول الله (ص) من العريش فى الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة والثبات والايمان ، كما قال (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس فى المصاف «القتال» من الايمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق . وقال الله تعالى [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين] . قال الامام احمد : حدثنا يزيد ابن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال — حين التقى القوم — اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق فى السيرة ورواه النسائى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضا ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموى حدثنا أسباط بن محمد القرشى عن عطية عن مطرف فى قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) قال أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله (ص) يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها لكيلا يغلب عليها النبى (ص) وأصحابه فسبقت العير رسول الله (ص) وكان الله قد وعدهم احدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله (ص) بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبى (ص) والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فامطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من

(١) ما بين المربعين سقط من المصرية .

الملائكة . فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء ابليس فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، و إنى جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره و رفع رسول الله (ص.) يديه فقال « يارب إن تهلك هذه العصابة فلنْ تعبد فى الارض أبداً » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ــ وكانت يده فى يد رجل من المشركين ــ انتزع ابليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل يا سراقة أما زعمت أنك لنا جار ؟ قال إنى أرى مالا ترون ، إنى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقى فى الدلائل .

[وقال الطبرانى حدثنا مسعدة بن سعد العطار ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصارى عن رفاعة بن رافع . قال : لما رأى أبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص اليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى التى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى وخاف أن يخلص القتل اليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فانه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا الفين رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم اياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلا :

ما تنقمُ الحربُ الشموسُ مني   بازلُ عامينِ حديثٌ سنّي

لمثل هذا ولدتنى أمي] (١)

و روى الواقدى عن موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى بكر بن أبى سليمان عن أبى حتمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الارض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبى (ص.) القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدى وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلى يقول : انهزمنا يوم بدر

(١) ما بين المربعين لم يرد بالمصرية

ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى فى الطاس فى افئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .

وقال الاموى حدثنا أبى ثنا ابن أبى اسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بمالا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله (ص) خفقة فى العريش ثم انتبه فقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله (ص) فاخذ كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها ثم قال لاصحابه « احملوا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم . وقال زياد عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . وقال السدى الكبير قال رسول الله (ص) لعلى يوم بدر « أعطنى حصباء من الارض » فناوله حصباء عليها تراب فرمى به فى وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه من ذلك التراب شئ ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فى ذلك (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم أن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر . وقد فعل عليه السلام مثل ذلك فى غزوة حنين كما سيأتى فى موضعه إذا انتهينا اليه إن شاء الله وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكر راجعة من المشركين إلى النبى (ص) . قال ابن اسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله (ص) - فيما ذكر لى - فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأنى بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله باهل الشرك . فكان الاثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبى (ص) قال لاصحابه يومئذ « إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) فلا يقتله ، فانه إنما خرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل

آباءنا وأبناءنا واخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لالحمنه بالسيف . فبلغت رسول الله (ص) فقال لعمر: «يا أبا حفص» قال عمر: والله إنه لاول يوم كناني فيه رسول الله (ص) بابي حفص، «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟» فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه .

مقتل ابي البختري بن هشام

قال ابن اسحاق : و إنما نهى رسول الله (ص) عن قتل أبي البختري لانه كان أكف القوم عن رسول الله (ص) وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الانصار فقال له : إن رسول الله (ص) نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث . قال وزميلي ؟ فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة . وقال أبو البختري وهو ينازل المجذر :

لن يترك[1] ابنُ حرةٍ زميلَه حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

قال فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال في ذلك :

إما جهلتَ أو نسيتَ نَسَبي فأثبتِ النسبةَ إني من بلي
الطاعنينَ برماحِ اليَزَني والطاعنينَ[2] الكبشَ حتى ينحني
بشّر بيتم من أبوه البختري أو بشّرنْ بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي أطعنُ بالصعدةِ حتى تنثني
وأعبطُ القِرنَ بعضبٍ مشرفي أرزمُ للموتِ كإرزام المري
فلا يرى مجذّراً يَفري فري

ثم أتى المجذر رسول الله (ص) فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى ألا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

فصل في مقتل امية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحدثنيه أيضا عبدالله

(١) وفى ابن هشام : لن يسلم ابن حرة زميله . (٢) وفى ابن هشام : والضاربين .

ابن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف . قال : كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ؟ قال فاقول نعم ! قال فاني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني و بينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت . قال فانت عبد الاله قال قلت نعم ! قال فكنت اذا مررت به قال ياعبد الاله فأجيبه فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال ومعي أدراع لي قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآني . قال ياعبد عمرو فلم أجبه ، فقال ياعبد الاله فقلت نعم ! قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قال قلت نعم ها الله ، قال فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده و بيد ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال قال لي أمية ابن خلف وأنا بينه و بين ابنه آخذاً بايديهما : يا عبد الاله من الرجل منكم المُعْلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال قلت حمزة قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل . قال عبد الرحمن فوالله إني لاقودهما إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على الاسلام — فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال قلت أي بلال أسيري ، قال لا نجوت إن نجا ، قال ثم صرخ باعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة [1] فانا أذب عنه ، قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط ، قال قلت انج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغني عنك شيئا . قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما . قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا فجعني بادراعي و باسيري . وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريبا من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز ـ هو ابن عبد الله ـ حدثنا يوسف — هو ابن الماجشون — عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبدالرحمن بن عوف قال : كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظني في صاغيتي [2] بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لاحرزه حين نام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الانصار فقال : أمية بن خلف ؟! لانجوت إن نجا أمية بن خلف فخرج

(١) المسكة بالتحريك السوار : أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا.

(٢) الصاغية : خاصة الانسان والمائلون اليه.

معه فريق من الانصار فى آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فالقيت عليه نفسى لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك فى ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا وابراهيم أباه . تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني　　بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتنى أمي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله (ص.) من عدوه أمر بابى جهل أن يلتمس فى القتلى ، وكان أول من لقى أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضا قد حدثنى ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة [1] وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بابى جهل ـ وهو عقير ـ معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بابى جهل حين أمر رسول الله (ص.) أن يلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله (ص.) ـ فيما بلغنى ـ أنظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش فى أحدهما جحشا لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته . فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى [2] مرة بمكة فآذانى ولكننى

(١) الحرجة الشجر الملتف ، وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه سأل اعرابيا عن الحرجة فقال : هى شجرة من الاشجار لا يوصل اليها .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال وبماذا أخزانى ؟ قال اعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ولرسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لى : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويعى الغنم ، قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله (ص) فقلت : يارسول الله هذا رأس عدو الله . فقال « آلله الذى لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله (ص) فقلت نعم ! والله الذى لا إله غيره ثم القيت رأسه بين يدى رسول الله (ص) فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبدالرحمن بن عوف . قال : إنى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وشمالى فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزنى أحدهما فقال : ياعم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك اليه ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله (ص) والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك فغمزنى الآخر فقال لى أيضا مثلها ، فلم أنشب ان نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى (ص) فاخبراه فقال « أيكما قتله » . قال كل منهما أنا قتلته . قال « هل مسحتما سيفيكما؟ » قالا : لا . قال فنظر النبى (ص) فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ـ والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده . قال قال عبد الرحمن : إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل ، فقلت يا ابن أخى ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال فما سرنى انى بين رجلين مكانهما فأشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء . وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أنا يارسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه ـ أو قال قتله قومه ـ وعند البخارى عن أبى أسامة عن اسماعيل ابن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الاعمش عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعى سيف ردئ فجعلت أنقف رأسه بسيفى وأذكر نقفا كان ينقف

رأسي بمكة حتى ضعفت يده (١) فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألست رويعينا بمكة ؟ قال فقتلته ، ثم أتيت النبي (ص) فقلت قتلت أبا جهل ، فقال آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي اليهم فدعا عليهم .

وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت الحمد لله الذى أخزاك الله ياعدو الله . قال هل هو إلا رجل قتله قومه فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فاصبت يده فندر (٢) سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي (ص) كأنما أقل من الارض (٣) فاخبرته فقال « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا ، قال قلت آلله الذى لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال « الحمد لله الذى قد أخزاك الله ياعدو الله هذا كان فرعون هذه الامة » وفى رواية أخرى قال ابن مسعود فنفلنى سيفه . وقال أبو اسحاق الفزارى عن الثورى عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أتيت رسول الله (ص) يوم بدر فقلت قد قتلت أبا جهل فقال « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت آلله الذى لا إله إلا هو مرتين ـ أو ثلاثا ـ قال فقال النبي (ص) « الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم قال « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأريته فقال « هذا فرعون هذه الامة » . ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبي اسحاق السبيعى به . وقال الواقدى وقف رسول الله (ص) على مصرع ابنى عفراء فقال « رحم الله ابنى عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر » فقيل يارسول الله ومن قتله معهما ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك فى قتله » رواه البيهقى .

[وقال البيهقى أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن أبي اسحاق قال : لما جاء رسول الله (ص) البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله الا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له فخر رسول الله (ص) ساجداً] ثم روى البيهقى من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء ـ امرأة من بنى أسد ـ عن عبدالله ابن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جئ برأس أبي جهل . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثتنى شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا هشام أخبرنا مجالد عن الشعبى أن رجلا قال لرسول الله (ص) : إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى

---

(١) وفى المصرية : صفقت يده . (٢) ندر أى سقط . (٣) أى أحمل من شدة الفرح .

الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله (ص) « ذاك أبوجهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة » . وقال الاموى فى مغازيه سمعت أبى ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله (ص) : فقال إنى رأيت رجلا جالساً فى بدر و رجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب فى الارض ، فقال رسول الله (ص) « ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعنزة فطعنته فى عينه فمات. قال هشام فاخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله (ص) فاعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله (ص) أخذها ثم طلبها أبو بكر فاعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فاعطاه اياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومر به - إنى أراك كأن فى نفسك شيئا أراك تظن أنى قتلت أباك إنى لو قتلته لم أعتذر اليك من قتله ، ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فانى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدى حليف بنى عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله (ص) فاعطاه جذلا من حطب فقال « قاتل بهذا ياعكاشة » فلما أخذه من رسول الله (ص) هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله (ص) حتى قتله طليحة الاسدى أيام الردة ، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله :

عشيَّةَ غادرْتُ ابنَ أقرمَ (١) ثاوياً   وعكّاشةَ الغُنْميّ عندَ مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتى بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذى قال حين [بشر] رسول الله (ص) أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلنى منهم قال « اللهم اجعله منهم » وهذا الحديث مخرج فى الصحاح والحسان وغيرها . قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) - فيما بلغنى - « منا خير فارس فى العرب » قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الازور ذاك رجل منا يارسول الله ، قال ليس منكم ولكنه

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الانصارى كما فى ابن هشام .

منا للحلف . وقد روى البيهقى عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدى حدثنى عمر بن عثمان الخشنى عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله (ص) عوداً فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك . وقال الواقدى وحدثنى أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بنى عبد الاشهل عدة قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله (ص) قضيبا كان فى يده من عراجين ابن طاب [1] فقال : اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيدة .

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالينى أخبرنا أبو احمد بن عدى حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحمانى ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله (ص) فقال « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيب وفى رواية فكانت أحسن عينيه . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عينُهُ فرُدَّت بكفّ المصطفى أيما ردّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدا قول أمية بن أبى الصلت فى سيف بن ذى يزن فانشده عمر فى موضعه حقا :

تلكَ المكارمُ لاقَعبانِ من لبنٍ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فصل قصة اخرى شبيهة بها

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعرانى حدثنا ابراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثنى رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبى بن خلف ، فاقبلت اليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه ، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورميت بسهم يوم بدر ، ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله (ص) ودعا لى فما أذانى منها شئ وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبرانى من حديث ابراهيم بن المنذر . قال ابن

(١) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب .

هشام ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال : أين مالى ياخبيث فقال عبد الرحمن :

لم يبقَ إلا شكّة ويعبوبٌ وصارم يقتل ضلالَ الشيب

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله فى حال كفره . وقد روينا فى مغازى الاموى أن رسول الله (ص) جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله (ص) يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق :

من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله (ص) بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمه] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » قالت فقال له أصحابه يارسول الله أتكلم قوما موتى فقال « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله (ص) لقد علموا قال ابن اسحاق : وحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبى (ص) رسول الله من جوف الليل وهو يقول « يا أهل القليب ، ياعتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ـ فعدد من كان منهم فى القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال المسلمون : يارسول الله (ص) أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال « ما أنتم باسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » وقد رواه الامام احمد عن ابن أبى عدى عن حميد عن أنس فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين قال ابن اسحاق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) قال « يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم

للاحاديث الدالة نصا على خلاف ما ذهبت اليه رضى الله عنها وأرضاها . وقال البخارى حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي (ص.) أن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله (ص.) إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، و إن أهله ليبكون عليه الآن » قالت وذاك مثل قوله إن رسول الله (ص.) قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال ، قال انهم ليسمعون ما أقول و إنما قال إنهم الآن ليعلمون انما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت [إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور] تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار . وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة به ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ما حديث كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الاحكام الكبير إن شاء الله . ثم قال البخارى حدثنى عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال : وقف النبى (ص.) على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال « انهم الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبى (ص.) إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة . وعن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أن رسول الله (ص.) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » فقال عمر : يارسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبى (ص.) « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما . وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبى عروبة . ورواه الامام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا اسناد صحيح ، ولكن الاول أصح وأظهر والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ص.) ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فانى قد وجدت

ما وعدنى ربى حقا » قال فسمع عمر صوته فقال يارسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى (إنك لا تسمع الموتى) فقال « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » . ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكثيبِ ... كخطّ الوحيِ فى الورقِ القشيب

تَداولُها الرياحُ وكل جَوْنٍ ... من الوسميّ منهمرٌ سَكوب

فامسى رسمُها خَلِقا وأمست ... يباباً بعد ساكنها الحبيب

فدعْ عنك التذكّر كل يوم ... وردّ حرارةَ القلب [1] الكئيب

وخبّر بالذي لا عيبَ فيه ... بصدقٍ غير اخبارِ الكذوب

بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ ... لنا فى المشركين من النصيب

غداةَ كأن جمعَهمُ حِراءٌ ... بدتْ أركانُهُ جُنحَ الغروب

فلاقيناهمُ منا بجمعٍ ... كأُسْد الغاب مُردانٍ وشيب

أمامَ محمدٍ قد وازروه ... على الاعداء فى لفحِ الحروب

بأيديهم صوارمُ مرهفاتٌ ... وكل مجرّبٍ خاظي الكعوب

بنو الأوسِ الغطارفُ وآزرتْها ... بنو النجّار فى الدّين الصليب

فغادرْنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قد تركْنا بالجبوب [2]

وشيبةَ قد تركْنا فى رجالٍ ... ذوي حسبٍ إذا نُسبوا حسيب

يناديهم رسولُ الله لمّا ... قذفناهم كباكبَ فى القليب

ألم تجدوا كلامي كان حقاً ... وأمرَ اللهِ يأخذُ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مصيب

قال ابن اسحاق : ولما أمر رسول الله (ص) أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب فى القليب فنظر رسول الله (ص) - فيما بلغنى - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه فقال : « ياحذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ - أو كما قال رسول الله (ص) - فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلماً وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزننى ذلك فدعا له رسول الله (ص) بخير وقال له خيراً وقال البخارى حدثنا

---

(١) فى ابن هشام : الصدر الكئيب . (٢) الجبوب اسم للارض لانها تجب أى تحفر .

الحميدى حدثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قومي الذين هُمُ آوَوا نبيَّهم	وصدَّقوه وأهلُ الارض كفار
إلا خصائصَ أقوامٍ هم سلفٌ	للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولُهُمُ	لما أتاهم كريمُ الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففى أمنٍ وفى سعةٍ	نِعم النبيُّ ونعم القسمُ والجار
[فأنزلوه بدارٍ لا يَخافُ بها	من كان جارَهمُ داراً هي الدار[1]]
وقاسموهم بها الاموالَ إذ قدِموا	مهاجرين وقسمُ الجاحدِ النار
سِرنا وساروا إلى بدرٍ لحينِهمُ	لو يعلمونَ يَقينَ العلم ما ساروا
دلّاهمُ بغرورٍ ثم أسلمَهم	إن الخبيثَ لِمَنْ والاهُ غرّار
وقال إني لكم جارٌ فأوردَهم	شرَّ الموارد فيه الخزيُ والعار
ثم التقينا فولّوا عن سَراتِهمُ	من مُنجدين ومنهم فِرقةٌ غاروا

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق . قالا : حدثنا اسرائيل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شئ ، فناداه لعباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لان الله وعدك احدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك . وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكا واحداً فاهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعا فيهن من الامم والدواب والاراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التى سومت لهم كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين و بين تعالى حكمه فى ذلك فقال [فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد و إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض] الآية . وقال تعالى [قاتلوهم

(١) البيت عن ابن هشام . وقوله فى الذى يليه (الجاحد) فى الاصل الجاهل . وكذا قوله (دلاهمُ) فى الاصل والا هموا والتصحيح عن ابن هشام .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء] الآية . فكان قتل أبي جهل على يدى شاب من الانصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم ، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم ؛ الحارث بن زمعة بن الاسود ، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة (1)] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى [الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيراً كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول (ص) عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب ، وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة فى ذلك فالله أعلم . وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى (ص) .

فصل

وقد اختلف الصحابة فى الاسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الامام احمد حدثنا على بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجل - عن الحسن . قال استشار رسول الله (ص) الناس فى الاسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبى (ص) ، ثم عاد النبى فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال يارسول نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله (ص) ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم) الآية : انفرد به احمد . وقد روى الامام احمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه وكذا على بن المدينى وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى

---

(1) لم يرد فى الاصول وزدناه من ابن هشام عن محمود الامام .

ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله (ص.) الى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم الى قوله فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله (ص.) أبا بكر وعليا وعمر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وانى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله (ص.) « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله (ص.) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت الى النبى (ص.) وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يارسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله (ص.) « للذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة — وأنزل الله تعالى [ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص.) « ما تقولون فى هؤلاء الاسرى ؟ قال فقال أبو بكر : يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال وقال عمر : يارسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله أنظر واديا كثير الحطب فادخلهم به ثم أضرمه عليهم ناراً . قال فدخل رسول الله (ص.) ولم يرد عليهم شيئا . فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال ؛ إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، و إن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى يكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم قال (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق

قال عبد الله : فقلت يارسول الله إلا سهيل بن بيضاء فانى قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت ، قال فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال « إلا سهيل بن بيضاء » قال فانزل الله [ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم] إلى آخر الآيتين وهكذا رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبى هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبى أيوب الانصارى بنحوه . وقد روى ابن مردويه والحاكم فى المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار قال وقد أوعدته الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبى (ص) فقال « إنى لم أنم الليلة من أجل عمى العباس ، وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه » قال عمر أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فان كان لرسول الله رضى ؟ قالوا فان كان له رضى فخذه ، فاخذه عمر فلما صار فى يده قال له عمر : ياعباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه اسلامك . قال واستشار رسول الله (ص) أبا بكر فقال أبو بكر عشيرتك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، ففاداهم رسول الله (ص) فانزل الله (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض) الآية . ثم قال الحاكم فى صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على قال : جاء جبريل إلى النبى (ص) فقال خير أصحابك فى الاسارى إن شاؤا الفداء وإن شاؤا القتل على أن يقتل عاما قابلا منهم مثلهم ، قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس فى قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى اتقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضا واختاره ابن اسحاق وغيره وقال الاعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدراً . وهكذا روى عن سعد ابن أبى وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح ، وقال مجاهد والثورى (لولا كتاب من الله سبق) أى لهم بالمغفرة . وقال الوالبى عن ابن عباس سبق فى أم الكتاب الاول أن المغانم وفداء الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وهكذا روى عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والاعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا

القول بما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً ، وحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه و بعثت الى الناس عامة » وروى الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى (ص) « لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فاذن الله تعالى فى أكل الغنائم وفداء الاسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيسى ثنا سفيان بن حبيب ثنا شعبة عن أبى العنبس عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقل ما فودى به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه فى الدنيا والآخرة فقال تعالى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبهم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم و يغفر لكم) الآية . وقال الوالبى عن ابن عباس نزلت فى العباس ففادى نفسه بالاربعين أوقية من ذهب قال العباس ، فآتانى الله أربعين عبداً - يعنى كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مغفل [1] عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله (ص) يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبى (ص) ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال « سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه » فاطلقوه فسكت فنام رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : وكان رجلا موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله (ص) حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله (ص) « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم باسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده قال « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها إن أصبت فى سفرى فهذا لبنى الفضل وعبدالله وقثم ؟ » فقال والله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا شئ ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس . وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة قال الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال إن رجالا من الانصار استأذنوا رسول الله (ص) ، قالوا إيذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه . فقال « لا والله لا تذرون منه درهما » قال البخارى وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبى (ص) أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه فى المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله (ص) ، إذ جاءه العباس

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية معقل وفى الخلاصة العباس بن عبد الله بن معبد .

فقال : يارسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال « خذ » فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي . قال « لا » قال فارفعه أنت علي ، قال « لا » فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال « لا » قال فارفعه أنت علي قال « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله (ص) وثم منها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي . قال : كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم) .

فصل

والمشهور أن الاسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتي ان شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين . وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الانصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسر منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قال وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قال أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق . قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا : أربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله (ص) أربعون أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك ، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال قال البيهقي — وهو الاصح — فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضا من طريق أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فاصابوا منا سبعين . وكان النبي (ص) وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله

أعلم . وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الالف ، والصحيح الاول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الالف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم فى حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضا عروة بن الزبير وقتادة واسماعيل والسدى الكبير وأبو جعفر الباقر . وروى البيهقى من طريق قتيبة عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله بن مسعود فى ليلة القدر قال : « تحروها لاحدى عشرة بقين فان صبيحتها يوم بدر » . قال البيهقى وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك ، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . قال البيهقى والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان . ثم قال البيهقى أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سئل أبو أيوب الانصارى عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لاحدى عشرة بقيت . و إما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قباث بن أشيم الليثى من طريق الواقدى وغيره باسنادهم اليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله (ص) قال : وجعلت أقول فى نفسى ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء والله لوخرجت نساء قريش بالتها[1] ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع فى نفسى الاسلام ، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه ، فاتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فان هذا الامر ما خرج منى إلى أحد قط ولا ترمرمت به إلا شيئا حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك عليه ، هلم أبايعك على الاسلام فاسلمت[2]] .

فصل

وقد إختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر فى المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون . ففرقة أحدقت برسول الله (ص) تحرسه خوفا من أن يرجع أحد من المشركين اليه . وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المغانم

(١) فى الاصلين هكذا (بالها) ولعلها بالتها أى بسلاحها (٢) ما بين المربعين من الحلبية فقط .

من متفرقات الاماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (ص) فقسمه بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها و بين الذين اتبعوا العدو و بين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقا منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار من مغانم بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لابي جهل كان في أنفه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا . وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي (ص) فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون و يقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله (ص) لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم باحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله (ص) خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فانزل الله [يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله و رسوله إن كنتم مؤمنين] فقسمها رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله (ص) إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فاذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه . وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع في ذلك شبان الرجال و بقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فانا كنا ردءا لكم لو انكشفتم لفئتم الينا ، فتنازعوا فانزل الله تعالى [يسألونك

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] . وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الانفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله [واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الانفال الذى جعل مرده اليه وإلى رسوله ﷺ فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها . ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخا لما تقدم ، وهكذا روى الوالبى عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدى وفى هذا نظر والله أعلم . فان فى سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر فيقتضى أن ذلك نزل جملة فى وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نسخ بعضه بعضا ، ثم فى الصحيحين عن على رضى الله عنه أنه قال فى قصة شار فيه اللذين اجتب أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحا على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل خمست كما هو قول البخارى وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم .

فصل

فى رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الامور فى مسيره اليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا اليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ، أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالى المدينة ، والثانى زيد بن حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا [التراب] على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بامر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره فى بدر . قال أسامة : فلما قدم أبى زيد بن حارثة جئته وهو

واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وأبو جهل بن هشام ، و زمعة بن الاسود ، وأبو البخترى العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبة أحق هذا ؟ قال إى والله يا بنى . و روى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبى (ص) خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله (ص) ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله (ص) بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة فخرجت فاذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الاسارى . وضرب رسول الله (ص) لعثمان بسهمه . وقال الواقدى صلى رسول الله (ص) مرجعه من بدر العصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « مر بى ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلى وقال إنى كنت فى طلب القوم ، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنييه الغبار فقال يا محمد إن ربى بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم . قال الواقدى قالوا وقدم رسول الله (ص) زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاءا يوم الاحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله (ص) وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الاسود ، وأمية بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدى : فقمت اليه فنحوته فقلت أحقا يا ابن رواحة ؟ فقال إى والله وغداً يقدم رسول الله (ص) بالاسرى مقرنين . ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان ينشدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله (ص) القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البخترى وزمعة بن الاسود ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الانياب فى أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاً حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله (ص) بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لابى لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدرى ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاً فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد الا فلاً . قال أسامة فجئت حتى خلوت بابى فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إى والله حق ما أقول يابنى فقويت نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله و بالمسلمين ، لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال إنما هو شئ سمعته

من الناس يقولونه . قال فجيء بالاسرى وعليهم شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسع وأربعون رجلا الذين أحصوا . قال الواقدى : وهم سبعون فى الاصل مجتمع عليه لا شك فيه قال ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يارسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يارسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال له رسول الله « صدقت » . قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الاسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدى بن أبي الزغباء - :

أقم لها صدورَها يا بسبس ليس بذي الطَّلْحِ لها معرَّسُ
ولا بصحراءِ عميرٍ محبِسُ إن مطايا القوم لا تحبَّس
فحملُها على الطريقِ أكيَس قد نصرَ اللهُ وفرَّ الأخنَس

قال ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثنى عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذى تهنئوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أى ابن أخى أولئك الملأ » قال ابن هشام : يعنى الاشراف والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة ابن أبى معيط . قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمن للصبية يامحمد ؟ قال « النار » وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة فى مغازيه وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الاسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل اليه عاصم بن ثابت . قال : يامعشر قريش علام أقتل من بين مَنْ ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن

الشعبي قال : لما أمر النبي ص بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ . قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة على بن أبي طالب فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغيا وحسداً وهجاء للاسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : فقالت قتيلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها :

يا راكباً انّ الاثيلَ مظنّةٌ ... من صُبح خامسةٍ وأنتَ موفّق

أبلغْ بها ميْتا بانّ تحيةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفق

منّي اليكَ وعبرةً مسفوحةً ... جادتْ بوابلها وأخرى تخنق

هل يسمعنّ النضرُ إن ناديتُه ... أم كيفَ يسمع ميّتٌ لا ينطق

أمحمد ياخيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... من قومها والفحلُ فحلٌ معرق

ما كان ضرَّكَ لو مننتَ وربما ... منّ الفتى وهو المَغيظُ المحنق

أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلينفقن ... باعزّ ما يغلو به ما ينفق

والنضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً ... وأحقُّهم ان كان عِتقٌ يعتق

ظلّتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هنالك تُشْقَق

صبراً يُقادُ الى المنيّةِ متعَبا ... رسفَ المقيَّدِ وهو عانٍ موثق

قال ابن هشام : ويقال والله أعلم أن رسول الله ص لما بلغه هذا الشعر قال « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن اسحاق : وقد تلقى رسول الله ص بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر (١) مملوء حيسا — وهو التمر والسويق بالسمن — هدية لرسول الله ص فقبله منه ووصى به الانصار . قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ص حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم . قال ابن اسحاق : وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ص حين أقبل بالاسارى فرقهم بين أصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز : مربي أخي مصعب بن عمير

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : ولقى رسول الله الخ بحميت مملوء حيسا . والحميت الزق .

ورجل من الانصار يأسرني فقال شديديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال أبو عزيز فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله (ص) إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فاردها فيردها علىّ ما يمسها . قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لابي اليسر ــ وهو الذى أسره ــ ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت باربعة آلاف درهم ففدته بها . قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الاثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لابيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم . قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي (ص) عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، قال تقول سودة والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتي بهم ، قالت فرجعت إلى بيتي ورسول الله (ص) فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد أعطيتم بايديكم ، ألا متم كراما ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله (ص) من البيت « ياسودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين » قال قلت يارسول الله والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت . ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد حدثنا احمد بن سلمان النجاد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبدان بن عثمان ثنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن ــ رجل من أهل صنعاء ــ قال أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب . قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم . إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني أن الله قد نصر نبيه

وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان . التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأنى أنظر اليه كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضمرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاط ؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لى نصر نبيه (ص) أحدثت له هذا التواضع .

وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهاليهم بمكة

قال ابن اسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ، وأبو البخترى بن هشام . فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان ابن أمية والله ان[1] يعقل هذا ، فسلوه عنى فقالوا ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال هو ذاك جالسا فى الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلى عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارَ الحنيفيون بدراً وقيعةً ... سينقضُ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتْ رجالاً من لؤيّ وابرزتْ ... خرائدَ يضربنَ الترائبَ حُسَّرا
فياويحَ من أمسى عدوَّ محمد ... لقد جارَ عن قصدِ الهدى وتحيّرا

قال ابن اسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله (ص) كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس واسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الاقداح أنحتها فى حجرة زمزم . فوالله إنى لجالس فيها أنحت اقداحى وعندى ام الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل ابو لهب يجر رجليه بشرّ ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية وابن هشام : والله ان يعقل هذا .

سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال فقال أبو لهب : هلم إلىّ فعندك لعمرى الخبر ، قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، ويأسروننا كيف شاؤا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شئ . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال وثاورته (١) فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك علىّ يضربنى — وكنت رجلا ضعيفا — فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن اسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن . وكانت قريش تتقى هذه العدسة كما تتقى الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فاسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة . [قال يونس عن ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبى لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوز (٢)] .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب (٣) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم ، فان البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ـ وكان قد ذهب بصره ـ أنظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة ـ يعنى ولده زمعة ـ فان جوفى قد احترق ، قال فلما رجع اليه الغلام قال إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :

أتبكي أن أضلَّ لها بعيرٌ ويمنعُها من النومِ السُّهود

---

(١) كذا فى الحلبية وابن هشام ، وفى المصرية : وبادرته . (٢) ما بين المربعين من الحلبية فقط ولم يرد فى المصرية ولا فى ابن هشام .

(٣) يأرب قال فى النهاية فى تفسير هذا الخبر : أى يتشددون عليكم .

فلا تبكي على بكرٍ ولـكنْ   على بدرٍ تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سَراة بني هصيصٍ   ومخزومٍ ورهطِ أبي الوليد
وبكّى إن بكيتِ أبا عقيلٍ   وبكى حارثاً أسَد الاسود
وبكيهم ولا تُسْمي جميعا   وما لأبي حكيمةَ من نديد
ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ   ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا

بعث قريشٍ الى رسول الله (ص) فداءَ اسراهم

قال ابن اسحاق : وكان فى الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى . فقال رسول الله (ص) : « إن له بمكة ابنا كيسا تاجراً ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب بن أبى وداعة وهو الذى كان رسول الله (ص) عنى صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فاخذ أباه باربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هـذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف فقال فى ذلك :

أسرتُ سُهيلاً فلا ابتغي   أسيراً به من جميع الأمم
وخندفُ تعلم أنّ الفتى   فتاها سهيلٌ إذا يُظَّلم
ضربتُ بذي الشّفرِ حتى انثنى   وأكرهتُ نفسى على ذى العَلَمْ

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله (ص) : دعنى أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً ؟ فقال رسول الله (ص) « لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق : وقـد بلغنى أن رسول الله (ص) قال لعمر فى هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » قلت : وهـذا هو المقام الذى قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله (ص) وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغـيرها . فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتى فى موضعه .

قال ابن اسحاق . فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا هات الذى لنا قال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن اسحاق فى ذلك شعراً أنـكره ابن هشام فالله أعلم . قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى

بكر قال : وكان فى الاسارى عمرو بن أبى سفيان صخر بن حرب . قال ابن اسحاق وكانت أمه بنت عقبة بن أبى معيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبى معيط . قال ابن هشام : وكان الذى أسره على بن أبى طالب . قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال فقيل لابى سفيان أفد عمراً ابنك ، قال أيجتمع على دمى ومالى ، قتلوا حنظلة وافدى عمراً ؟ دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمراً ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال فى ذلك :

أرهطَ ابنِ أكّالٍ أَجيبوا دعاءه ... تعاقدتمُ لا تُسلِموا السيّدَ الكهلا

فإن بني عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئن لم يكفّوا عن أسيرِهم الكَبْلا

قال فاجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعدٌ يومَ مكة مطلَقاً ... لأكثرَ فيكم قبلَ أن يؤسَر القتلا

بعضْبٍ حسامٍ أو بصفراءَ نبعةٍ ... تحنّ إذا ما أنبضتْ تحفزُ النّبلا

قال ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فاخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم فاعطاهم النبى فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذى أسره خراش بن الصمة أحد بنى حرام . قال ابن اسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هى التى سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحى ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ـ أو أم كلثوم من عتبة بن أبى لهب ، فلما جاء الوحى قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه ومشوا إلى أبى العاص فقالوا فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال لا والله إذا لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى . قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح كما سيأتى . قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول

الله (ص) و بين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال ، و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله (ص) رق لها رقة شديدة وقال « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا » . قالوا نعم ! يارسول الله ، فاطلقوه وردوا عليها الذي لها . [قال ابن اسحاق : فكان ممن سمي لنا ممن منّ عليه رسول الله (ص) من الاسارى بغير فداء من بني أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه [(1)] [قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (ص) قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب - يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق مهنا فاخرناه لانه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) نفسه وعقيلا ونوفلا ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذي أسر أبي العاص أبو أيوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه ، فاخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم : قال حسان بن ثابت في ذلك :

ما كانَ صيفيٌّ ليوفي أمانةً   قفا ثعلبٍ أَعيا ببعضِ الموارد

قال ابن اسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال و إني لذو حاجة وذو عيال فامنن على ، فمنّ عليه رسول الله (ص) ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله (ص) على ذلك :

مَن مبلغٌ عني الرسولَ محمداً   بأنك حقٌّ والمليكُ حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى   عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّئتَ فينا مباءةً   لها درجاتٌ سهلة وصعود
فإنك مَن حاربتَه لمحارَبٌ   شقيٌّ ومَن سالمتَه لسعيد
ولكن إذا ذكِّرتُ بدراً وأهله   تأوَّبُ ما بي، حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم

---

(1) ما بين المربعين مقدم في الحلبية ومؤخر في المصرية .

فلما كان يوم أحد أسر أيضا ، فسأل من النبي (ص) أن يمن عليه أيضا فقال النبي (ص) « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد . ويقال إن فيه قال رسول الله (ص) « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الامثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله (ص) وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال ابن هشام : والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما أن في العيش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين على ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم . قال فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم على شأني وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله (ص) فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوحشا سيفه . قال فادخله على ، قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لمن كان معه من الانصار : أدخلوا على رسول الله (ص) فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله (ص) فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال « أرسله ياعمر ، أدن ياعمير » فدنا ثم قال أنعم صباحا ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال « فما جاء بك ياعمير ؟ » قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف في عنقك » قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن

تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا . ثم قال : يارسول الله إني كنت جاهداً على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فاقدم مكة فادعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم فاذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . قال ابن اسحاق فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فاسلم على يديه ناس كثير . قال ابن اسحاق : وعمير بن وهب ـ أو الحارث بن هشام ـ هو الذي رأى عدو الله ابليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون ، وكان ابليس يومئذ في صورة سراقة بن مالك بن جعشم أمير مدلج .

فصل

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فاجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثمّ ولله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال لجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون رجلا . ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بابي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أبى بن كعب النجارى سيد القراء ، الارقم بن أبى الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومى ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان . أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الاموى : سواد بن رزام ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق : سواد بن زريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الانصارى أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجى ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة ابن خالد بن الحارث الاوسى ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الاموى فى السيرة أنيس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم لما روى عمر بن شبة النميرى حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدراً ؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ ! وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الانصارى ثنا أبى عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدراً ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال محمد بن عبد الله الانصارى خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه : هكذا قال الانصارى ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى][1] . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى ابن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبى بجير حليف بنى النجار ، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوى حليف الانصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

ابن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدى بن أبى الزغباء كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد ابن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الاوسى رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تميم مولى خراش بن الصمة ، تميم مولى بنى غنم بن السلم . وقال ابن هشام :هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، ثابت بن ثعلبة و يقال لثعلبة هـذا الجذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجارى ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن هزّال الخزرجى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجارى [1] ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجى ، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن نابئ السلمى ، ثقف بن عمرو من بنى حجر آل بنى سليم وهو من حلفاء بنى كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى ، جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أيضا فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر وقال كنت أمتح لاصحابى الماء يوم بدر . وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر - يعنى الواقدى - هذا الحديث فقال هـذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً

---

(١) كذا فى الاصل ونحسبه مكرراً كما فى الاصابة ونظم أسماء أهل بدر .

وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ص تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحدا منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ص عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح [1]] . جبار بن صخر السلمى ، جبر بن عتيك الانصارى ، جبير بن إياس الخزرجى .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجى ، الحارث بن أوس بن معاذ بن اخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزمة بن عدى بن أبى غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبنى زعور ابن عبد الاشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجى رده عليه السلام لانه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفجة الاوسى ، الحارث ابن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجى ، الحارث بن النعمان بن أمية الانصارى . حارثة بن سراقة النجارى أصابه سهم غرب وهو فى النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الانصارى حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حليف بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعى من بنى دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدى حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ فى مغازيه . وقال ابن أبى حاتم حاطب بن عمرو ابن عبد شمس سمعته من أبى وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجى و يقال كان لواء الخزرج معه يومئذ ، حبيب بن أسود مولى بنى حرام من بنى سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبى حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصارى بدرى حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى أخو عبد الله بن زيد الذى أرى النداء ، الحصين ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ص .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجارى ، خالد بن قيس بن مالك ابن العجلان الانصارى ، خارجة بن الحمير حليف بنى خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجة فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجى صهر الصديق ، خباب بن الارت حليف بنى زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بنى تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط .

عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين ، خراش بن الصمة السلمى ، خبيب بن اساف بن عتبة الخزرجى ، خريم بن فاتك ذكره البخارى فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجى ، خليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمى ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الانصارى ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدها بنفسه ، خولى بن أبى خولى العجلى حليف بنى عدى من المهاجرين الاولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو ابن الجموح الخزرجيون .

حرف الذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجى ، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم ابن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بنى خزاعة حليف لبنى زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسراً .

حرف الراء

رافع بن الحارث الاوسى ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هى أمه ، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجى قتل يومئذ . ربعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربعى بن أبى رافع ، ربيع بن إياس الخزرجى ، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبنى عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين ، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجى ، رفاعة ابن رافع الزرقى أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسى أخو أبى لبابة ، رفاعة ابن عمرو بن زيد الخزرجى

حرف الزاى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه ، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهنى . وقال الواقدى زياد بن كعب ابن عمرو بن عدى بن رفاعة بن كليب بن برذعة بن عدى بن عمرو بن الزبعرى بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله ﷺ رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام النجارى أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الاوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجحمى شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائد [1] الخزرجى ، سبرة ابن فاتك ذكره البخارى ، سراقة بن عمرو النجارى ، سراقة بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الاولين ، سعد بن خيثمة الاوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً ، سعد بن زيد بن مالك الأوسى وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الاشهل النجارى ، سعد بن عبيد الانصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة ، سعد بن معاذ الاوسى وكان لواء الأوس معه ، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يارسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلى عن ابن قتيبة فالله أعلم سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدى تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، سفيان ابن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى ، سماك بن أوس ابن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن سعد المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسى ، سهل بن عتيك النجارى . سهل بن قيس السلمى ، سهيل ابن رافع النجارى الذى كان له ولاخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهرى وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الانصارى وقال الاموى سواد ابن رزام ، سواد بن غزية بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدرى ، سويد بن

(١) كذا فى الاصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالمهملة .

مخشى أبو مخشى الطائى حليف بنى عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدى أسد بن خزيمة حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الاولين شماس بن عثمان المخزومى قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان و إنما سمى شماسا لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية ، شقران مولى رسول الله ص . قال الواقدى لم يسهم له وكان على الأسرى فاعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومى من المهاجرين الاولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى أخو سهيل بن بيضاء قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمى .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحاك بن عبد عمرو النجارى ، ضمرة بن عمرو الجهنى وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمى أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ص بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى . طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذى قبله . طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد بن قصى ذكره الواقدى .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسى ذكره البخارى

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح الانصارى الذى حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدى ابن الجد بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجارى ، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد

عن ابن اسحاق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزى حليف بنى عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوى القضاعى حليف بنى سالم بن مالك بن سالم بن غنم . قال ابن هشام ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، عامر بن مخلد النجارى ، عائذ بن ماعض بن قيس الخزرجى ، عباد بن بشر بن وقش الأوسى ، عباد بن قيس بن عامر الخزرجى ، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجى أخو سبيع المتقدم ، عباد ابن الخشخاش القضاعى ، عبادة بن الصامت الخزرجى ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أمية بن عرفطة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بحاث المتقدم ، عبد الله بن جحش ابن رئاب الاسدى ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى ، عبد الله بن الجد بن قيس السلمى ، عبد الله بن حق بن أوس الساعدى . وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحمير حليف لبنى حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجى ، عبد الله بن رواحة الخزرجى ، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى الذى أرى النداء [1] ، عبد الله بن سراقة العدوى لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدى ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الانصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بنى زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى حليف الاوس [2] ، عبدالله بن عامر من بلى ذكره ابن اسحاق . عبدالله بن عبد الله ابن أبى بن سلول الخزرجى وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عبس ، عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عبد الله بن عرفطة بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن عمر بن حرام السلمى أبو جابر ، عبدالله بن عمير بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى ، عبد الله ابن قيس بن صخر بن حرام السلمى . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبى (ص) مع عدى بن أبى الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلى حليف بنى زهرة من

---

(١) فى الاصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله . (٢) وفى الاصابة : عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوى حليف بنى ظفر .

المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مظعون الجمحى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمى ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعى البلوى . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من بنى غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ، عتبة ابن ربيعة بن خالد بن معاوية البهرانى حليف بنى أمية بن لوذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ص يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدى بن أبى الزغباء الجهنى وهو الذى أرسله رسول الله ص وبسبس بن عمرو بين يديه عيناً ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، عصيمة حليف لبنى الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجى أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ولهذا لم يذكروه ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى أسد خزيمة حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بنى غطفان ، عكاشة بن محصن الغنمى من المهاجرين الأولين وممن لا حساب عليه ، على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه ، عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجارى ، عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الاربعة وأحد الشيخين المقتدى بهم رضى الله عنهما ، عمر ابن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لوذان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سراقة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سرح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائذ معمر

بدل عمرو ، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سعنان بن كعب بن غنم وهو فى بنى حرام ، عمرو بن الجموح بن حرام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدى والاموى ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبة [1] ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهرى ذكره موسى بن عقبة ، عمرو ابن معبد بن الازعر الأوسى ، عمرو بن معاذ الأوسى أخو سعد بن معاذ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمى ، عمير بن حرام بن الجموح السلمى ذكره ابن عائذ والواقدى ، عمير بن الحمام بن الجموح بن عم الذى قبله قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازنى ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأموى وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بعث أبى عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنترة مولى بنى سليم وقيل إنه منهم فالله أعلم ، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجارى وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الانصارى من بنى أمية ابن زيد ، عياض بن غنم الفهرى من المهاجرين الأولين رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجى ذكره الواقدى وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجى ، فروة بن عمرو بن ودفة [2] الخزرجى .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسى . قدامة بن مظعون الجمحى من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة ابن عامر بن حديدة السلمى . قيس بن السكن النجارى ، قيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد المازنى كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجى ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجارى .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جماز وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك

---

(١) والذى فى الاصابة : عمرو بن قيس بن حزن بن عدى بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك الانصارى الخزرجى . (٢) وقال السهيلى ويقال وذفة بالذال المعجمة .

ابن ثعلبة بن جماز وقال الاموى كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنم الغسانى من حلفاء بنى الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجارى ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمى ، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة ، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوى من المهاجرين الأولين

حرف الميم

مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجى ، مالك بن أبى خولى الجعفى حليف بنى عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدى ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجرى وهما من حلفاء بنى تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجى ، مالك بن ثابت بن نميلة المزنى حليف لبنى عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زنبر الأوسى أخو أبى لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجذر بن زياد البلوى مهاجرى ، محرز ابن عامر النجارى ، محرز بن نضلة الاسدى حليف بنى عبد شمس مهاجرى ، محمد بن مسلمة حليف بنى عبد الأشهل ، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجرى ، مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الانصارى النجارى ، مسعود بن خلدة الخزرجى ، مسعود بن ربيعة القارى حليف بنى زهرة مهاجرى ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى ، مصعب بن عمير العبدرى مهاجرى كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجارى وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى ، معاذ بن ماعض الخزرجى أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن الفدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدى قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو خميصة ، معبد بن قيس بن صخر السلمى أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى ، معتب بن عوف الخزاعى حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسى ، معقل بن المنذر السلمى ، معمر بن الحارث الجمحى من المهاجرين ، معن بن عدى الأوسى ، معوذ بن الحارث الجمحى وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمى لعله أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهرانى وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجى ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدى ، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجى ، المنذر ابن محمد بن عقبة الانصارى من بنى جحجبى ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجارى وهو أخو الضحاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجارى ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبنى الأوس ، نعمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجى ويقال له قوقل ، نعمان بن يسار مولى لبنى عبيد ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجى .

حرف الهاء

هانئ بن نيار أبو بردة البلوى خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفى وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى ، هلال بن المعلى الخزرجى أخو رافع بن المعلى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمى حليف بنى عدى من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجهنى ذكره الواقدى وابن عائذ ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجى أخو ربيع بن إياس ، وهب بن سعد ابن أبى سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن اسحاق

حرف الياء

يزيد بن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمى قال السهيلى شهد هو وأبوه وابنه يعنى بدراً ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجى وهو الذى يقال له ابن قسحم وهى أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمى وهو أخو معقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى وقال ابن هشام ابو الاعور الحارث بن ظالم وقال الواقدى أبو الاعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصارى . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم ، أبو الحمراء مولى الحارث

ابن رفاعة بن عفراء، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجارى، أبو سبرة مولى أبى رهم بن عبد العزى من المهاجرين، أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين، أبو الصياح ابن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه، أبو عرفجة من حلفاء بنى جحجبى، أبو كبشة مولى رسول الله ص، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم، أبو مرثد الغنوى كناز بن حصين تقدم، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسى.

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا منهم رسول الله ص، كما قال البخارى حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول حدثنى أصحاب محمد ص، ورضى عنهم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن. ثم رواه البخارى من طريق اسرائيل وسفيان الثورى عن أبى اسحاق عن البراء نحوه. قال ابن جرير: وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا وقال أيضا حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبى اسحاق عن البراء. قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيفاً وأربعين ومائتين. هكذا وقع فى هذه الرواية وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ثنا أبو مالك الجنبى عن الحجاج — وهو ابن أرطاة — عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا. وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا. وكان حامل راية النبى ص، على بن أبى طالب. وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة. وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال. قال ابن جرير: وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال.

قلت: وقد يكون هذا عد معهم النبى ص، والأول عدهم بدونه فالله أعلم. وقد تقدم عن ابن اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا. وأن الأوس أحد وستون رجلا. والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم. وهذا مخالف لما ذكره البخارى ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم. وفى الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدراً. فقال وأين أغيب؟ وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أميح[1] الاصحابى الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء فالله أعلم.

(١) الميح النزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم:

أيها المائح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يقصدونكا

قلت : وفى الذين عدهم ابن اسحاق فى أهل بدر من ضرب له بسهم فى مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله (ص) بمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضا فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله (ص) من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله (ص) أيضا من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدى : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله (ص) فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدى وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة و يقال إنه كان قد أمره رسول الله (ص) بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعى ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثى حليف بنى عدى ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث - و يقال ابن قسحم - وعمير بن الحمام ، و رافع بن المعلى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبدالمنذر رضى الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بعزجة - و يقال سنحة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب . وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل احداهما للمهاجرين على بن أبى طالب ، والتى للانصار يحملها سعد بن عبادة . وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا . وقال الواقدى كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم فى بعض الاحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر

سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك فى قصيدة له :

فأقامَ بالعطْن المعطَّن منهم ... سبعونَ عَتبةُ منهمُ والأَسود

وقد حكى الواقدى الاجماع على ذلك وفيما قاله نظر ، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك وهما من أئمة هـذا الشان فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما و إن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم . وقد سرد أسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء فى أحكامه جيداً وقـد تقدم فى غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد المخزومى ، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعى — أو العقيلى — حليف بنى مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القائل فى شعره :

ولسنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا ... ولـكنْ على أقدامنا يقطرُ الدم

فما صـدق فى ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدى رسول الله ﷺ من بين الاسارى ، وقد اختلف فى أيهما قتل أولا على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموى ، والمطلب بن حنطب ابن الحارث المخزومى ، وصيفى بن أبى رفاعة كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجمحى كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منـه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحابيه لـكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الانصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقـد كان فداؤهم متفاوتا فأقل ما أخذ أربعمائة ، ومنهـم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب . قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهـم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام احمد حدثنا على بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الـكتابة ، قال فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربنى معلمى فقالت الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتيه أبداً . انفرد به احمـد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمـد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك فى الجنة أصبر وأحتسب ، و إن تـكن الاخرى فترى ما أصنع فقال « ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هى ؟ إنهـا جنان كثيرة و إنه فى جنـة الفردوس » تفرد به

البخارى من هـذا الوجه . وقد روى من غير هـذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان فى النظارة وفيـه « أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفى هـذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فان هـذا الذى لم يكن فى بحبحة القتال ولا فى حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيـد وانما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنـه تفجر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فاذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً فى نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبـد الله بن ادريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب قصة حاطب بن أبى بلتعة و بعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ فى ضرب عنقه فانه قد خان الله و رسوله والمؤمنين . فقال رسول الله ﷺ « قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « اليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قد غفرت لكم ـ » فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم . و روى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبى الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبا قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدراً والحديبية » وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حـدثنى الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية » تفرد به احمـد وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمـد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . و رواه أبو داود عن احمـد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . و روى البزار فى مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إنى لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم . وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً حـدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة انفرد به البخارى .

قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة الى المدينه

قال ابن اسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعنى كما تقدم - بعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتياني بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه [1] - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بينا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك قالت فقلت ما أردت ذلك ، فقالت أى ابنة عم لا تفعلى إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فان عندى حاجتك فلا تضطنى منى فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت ولكنى خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدّم اليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى وكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهرى فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا و إن ذلك ضعف منا ووهن ولعمرى مالنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والحقها بأبيها ، قال ففعل . وقد ذكر ابن اسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك :

أفى السّلم أعياراً جفاءً وغِلظةً ... وفى الحرب اشباهُ النساءِ العوارِكِ

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فاقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلا على رسول الله (ص) . وقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة

---

(١) قوله أو شيعه أى أو نحوا من شهر حكاه فى النهاية تفسيراً لهذا الخبر .

ابن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما فى بطنها وإن رسول الله (ص) بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجئ معه فتلطف زيد فأعطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت من دفع اليك هذا ؟ قال رجل فى ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال فكان رسول الله (ص) يقول « هى أفضل بناتى أصيبت فىّ » قال فبلغ ذلك على بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال ما حديث بلغنى أنك تحدثه ؟ فقال عروة والله ما أحب أن لى ما بين المشرق والمغرب وانى انتقص فاطمة حقا هولها وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً . قال ابن اسحاق فقال فى ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بنى سالم ابن عوف . قال ابن هشام هى لابى خيثمة :

أتاني الذي لا يقدرُ الناسُ قدْره ... لزينبَ فيهم من عُقوق ومأثم
واخراجِها لم يَخزَ فيها محمد ... على مأقطٍ وبيننا عِطرُ مَنْشِم
وأمسى أبو سفيانَ من حِلفِ ضُمضُم ... ومن حربنا فى رغم أنفٍ ومَندَم
قرنَّا ابنَه عمراً ومولى يمينه ... بذي حلَقٍ جَلْدِ الصلاصل محكم
فاقسمتُ لا تنفكّ منا كتائبٌ ... سراةُ خميسٍ من لُهَام مسوَّم
نزوع قريشَ الكفرِ حتى نعلّها ... بخاطمةٍ فوقَ الأنوف بِمِيْسِم
ننزلهم أكنافَ نجدٍ ونخلةٍ ... وإن يُتهِموا بالخيلِ والرَّجْل نتهم
يدى الدهر حتى لا يعوّج سربُنا ... ونلحقُهم آثارَ عادٍ وجُرهم
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأىَّ حينٍ تندُّم
فأبلغ أبا سفيانَ إما لقيتَه ... لئن أنتَ لم تُخلِصْ سجوداً وتسلم
فأبشر بخزيٍ فى الحياة معجَّل ... وسِربِ بالٍ قارٍ خالداً فى جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبى سفيان الذى عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمى . وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى فأما عامر بن الحضرمى فانه قتل يوم بدر . قال ابن اسحاق وقد حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن بكير بن عبدالله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن أبى اسحاق الدوسى عن أبى هريرة . قال : بعث النبى (ص) سرية أنا فيها فقال « إن ظفرتم بهبار بن الاسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » فلما كان الغد بعث الينا فقال « إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لاحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل ، فان ظفرتم بهما فاقتلوهما » تفرد به ابن اسحاق وهو على شرط السنن [1] ولم يخرجوه

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية على شرط الشيخين .

وقال البخارى حدثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة أنه قال بعثنا رسول الله (ص) فى بعث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار ثم قال حين أردنا الخروج « إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله ، فان وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته ، فلما خرج رسول الله (ص) لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله (ص) أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت » قالوا نعم ! قال « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم » ثم انصرف رسول الله (ص) فدخل على ابنته زينب فقال « أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله (ص) فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا فاخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال : يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيا كريما ، قال فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعنى عن الاسلام عنده ألا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله (ص). قال ابن اسحاق : فحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله (ص) زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا ، وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن اسحاق ، وقال الترمذى ليس باسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلى لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفى لفظ ردها عليه رسول الله (ص) بعد ست سنين ، وفى رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفى رواية لم يحدث نكاحا وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فان القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فان كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فان أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله (ص) وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أى من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أى من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى

هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟ فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة بمين يتطرق اليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الاول الذى رواه احمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد . قال الامام احمد هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمى والعرزمى لا يساوى حديثه شيئا والحديث الصحيح الذى روى أن النبى (ص) أقرها على النكاح الاول . وهكذا قال الدارقطنى لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله (ص) ردها بالنكاح الاول وقال الترمذى هذا حديث فى اسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة وهو قول مالك والاوزاعى والشافعى واحمد واسحاق . وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحا فضعيف ففى قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر اسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أى وقت كان وهى امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم . ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين ، كانوا مشركى أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركى أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فاذا طهرت حل لها النكاح ، فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه . فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضى أنها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت اليه يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الاول ما لم تنكح زوجا غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى (ص) وكما ذهب اليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

ما قيل من الاشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :

أَلم تَرَ أمراً كان من عَجَبِ الدهر ... وللحين أسبابٌ مبيِّنَةُ الأمر

وما ذاك الا أن قوماً أقادهم ... فخافوا تواصٍ بالعقوقِ وبالكفر
عشيةَ راحوا نحو بدرٍ بجمعهم ... وكانوا رُهوناً للركيَّةِ من بدر
وكنّا طلبنا العيرَ لم نبغ غيرها ... فساروا الينا فالتقينا على قدْر
فلما التقينا لم تكنْ مَثنويةٌ ... لنا غيرَ طعنٍ بالمثقَّفة السُّمر
وضربٍ ببيض يختلي الهامَ حدُّها ... مشهَّرةِ الالوانِ بيِّنة الأثْر
ونحن تركنا عُتبةَ الغيِّ ثاوياً ... وشَيبةَ في قتلى تُجرْجَمُ فى الجفْر
وعمرٌو ثوى فيمن ثوى من حُماتهم ... فشُقَّت جيوبُ النائحات على عمرو
جيوبُ نساءٍ من لؤيّ بن غالب ... كرامٍ تفرَّعن الذوائبَ من فهر
أولئك قومٌ قُتلوا فى ضلالهم ... وخلَّوا لواءً غير محتضرِ النصر
لواءُ ضلالٍ قاد ابليسُ أهلَه ... فخاسَ بهم إن الخبيثَ إلى غدر
وقال لهم إذ عاينَ الأمرَ واضحاً ... برئتُ اليكم ما بيَ اليومَ من صبر
فاني أرى مالا ترونَ وإنني ... أخافُ عقابَ الله واللهُ ذو قَسر
فقدمَّهم للحَيْنِ حتى تورّطوا ... وكان بما لم يُخبِرِ القومُ ذا خُبر
فكانوا غداةَ البئر ألفاً وجمعُنا ... ثلاثَ مئينٍ كالمسدَّمة الزُّهر
وفينا جنودُ الله حينَ يمدُّنا ... بهم فى مقامٍ ثمَّ مستوضَحِ الذكر
فشدَّ بهم جبريلُ تحت لوائنا ... لدى مأزقٍ فيه مناياهمُ تجري

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا . وقال على بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أن الله أبلى رسولَه ... بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدارٍ وذى فضل
بما أنزلَ الكفّارَ دارَ مذلّة ... فلاقَوا هواناً من أسارٍ ومن قتل
فامسى رسولُ الله قد عزَّ نصرُه ... وكان رسولُ الله أُرسِلَ بالعدل
فجاء بفرقانٍ من الله مُنزَلٍ ... مبيَّنةٌ آياتُه لذوي العقل
فآمنَ أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فامسَوا بحمد الله مجتمعي الشَّمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبُهم ... فزادهمُ ذو العرشِ خَبلاً على خَبل
وامكنَ منهمْ يومَ بدرٍ رسولَه ... وقوماً غِضاباً فعلُهم أحسنُ الفعل
بايديهمُ بيضٌ خفافٌ عصوا بها ... وقد حادثوها بالجِلاءِ وبالصَّقل
فكم تركوا من ناشئٍ ذي حميةٍ ... صريعاً ومن ذي نجدةٍ منهمُ كهل

تبيتُ عيونُ النائحات عليهمُ ... تجودُ بإسبالِ الرَّشاشِ وبالوبل

نوائحُ تنعي عُتبةَ الغيِّ وابنَه ... وشيبةَ تنعاه وتنعي أبا جهل

وذا الرِّجل تنعى وابنَ جدعان فيهم ... مسلَّبةً حرَّى مبينةَ الثُّكل

ثوى منهمُ فى بئرِ بدرٍ عِصابة ... ذوو نجدات فى الحروبِ وفى المحل

دعا الغيُّ منهم من دعا فأجابه ... وللغيِّ أسبابٌ مرمَّقةُ الوصل

فأضحَوا لدى دار الجحيم بمعزلٍ ... عن الشَّغْبِ والعُدوان فى أسفلِ السفل (١)

وقد ذكر ابن اسحاق نقيضها من الحارث أيضا تركناها قصداً وقال كعب بن مالك

عجبتُ لأمرِ الله والله قادر ... على ما أرادَ ليس لله قاهر

قضى يومَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً ... بغَوا وسبيلُ البغي بالناس جائر

وقد حشَدوا واستَنفَروا من يليهمُ ... من الناس حتى جمعُهم متكاثر

وسارت الينا لا تحاول غيرَنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر

وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه ... له معقِلٌ منهم عزيزٌ وناصر

وجمعُ بني النجّار تحت لوائه ... يمشّون فى الماذيِّ والنقعُ ثائر

فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ ... لأصحابه مستبسلُ النفس صابر

شهدنا بأنّ اللهَ لا ربَّ غيره ... وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر

وقد عُرِيَتْ بيضٌ خِفافٌ كأنها ... مقاييسُ يُزهيها لعينيكَ شاهر

بهنّ أبدْنا جمعَهم فتبدّدوا ... وكان يلاقي الحينَ من هو فاجر

فكبَّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه ... وعتبةُ قد غادرنَه وهو عاثر

وشيبةُ والتَّيميّ غادرتُ فى الوغى ... وما منهمُ إلا بذي العرش كافر

فأمسوا وقودَ النارِ فى مستَقرِّها ... وكلٌّ كفورٍ فى جهنم صائر

تلظّى عليهمْ وهي قد شبَّ حميُها ... بزُبَرِ الحديدِ والحجارةِ ساجر

وكان رسول الله قد قال أقبِلوا ... فولَّوا وقالوا إنما أنتَ ساحر

لأمرٍ أراد الله أن يهلِكوا به ... وليس لأمرٍ حمَّهُ اللهُ زاجر

وقال كعب فى يوم بدر :

ألاهل أتى غسّانَ فى نأيِ دارها ... وأخبرُ شيءٍ بالأمور عليمُها

بأنْ قد رمتنا عن قِسِيٍّ عداوةٍ ... معدٌّ معاً جُهّالُها وحليمُها

---

(١). كذا فى المصرية وفى ابن هشام والحلبية : فى أشغل الشغل .

لأنّا عبدنا اللهَ لم نرجُ غيره رجاءَ الجنانِ إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له فى قومه إرثُ عزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسودُ لقاءٍ لا يرجّى كليمها
ضربناهمُ حتى هوى فى مكرّنا لمنخرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودُسْناهم ببيضٍ صوارم سواءٌ علينا حلفُها وصميمُها

وقال كعب أيضا :

لعمرُ أبيكما يا ابنَيْ لؤيّ على زهوٍ لديكم وانتخاءِ
لِما حامتْ فوارسُكم ببدرٍ ولا صَبَروا به عند اللقاء
ورَدْناهُ ونورُ الله يجلو دُجى الظلماءِ عَنّا والغطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمرٍ من أمر الله أُحكم بالقضاء
فما ظفرتْ فوارسُكم ببدرٍ وما رجعوا اليكم بالسواء
فلا تَعجلْ أبا سفيان وارقُبْ جِيادَ الخيلِ تطلعُ من كِداء
بنصرِ الله روحِ القُدْس فيها وميكالٌ فيا طِيبَ الملاء

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام و يقال هى لعبد الله بن الحارث السهمى :

مستشعري حَلَق الماذيّ يقْدُمُهم جَلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رِعديد
أعني رسولَ إله الخلقِ فضّله على البريّةِ بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تَحْمُوا ذمارَكمُ وماءُ بدرٍ زعمتم غيرَ مورود [(١)]
مستعصمين بحبلٍ غيرِ مُنْجَذِمٍ مستحكمٍ من حبالِ الله ممدود
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نَتْبعه حتى المماتِ ونصرٍ غيرِ محدود
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستضاء به بدرٌ أنارَ على كل الأماجيد

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليتَ شعري هل أتى أهلَ مكةٍ إبادتُنا الكفّارَ فى ساعة العُسر
قتلنا سَراةَ القومِ عند مجالنا فلم يرجعوا إلا بقاصِمةِ الظهر
قتلنا أبا جهلٍ وعتبةَ قَبْلَه وشيبةَ يكبو لليدين وللنَّحْر
قتلنا سويداً ثم عتبةَ بعده وطعمةَ أيضاً عندَ ثائرة القَتْر

---

(١) وبعده فى ابن هشام :

ثم وردناه لم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريد

فكم قد قتلنا من كريم مُسَوَّدٍ له حَسَبٌ فى قومه نابهُ الذّكر

تركناهموا للعاويات يَنُبْنَهم [1] ويَصْلون ناراً بعدُ حامية القعر

لعمرُك ما حامتْ فوارسُ مالكٍ وأشياعُهم يومَ التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى يوم بدر فى قطع رجله فى مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام :

سَتَبلغُ عنا أهلَ مكةَ وقعةٌ يهبّ لها مَن كانَ عن ذاك نائيا

بعتبةَ إذ ولى وشيبة بعده وما كانَ فيها بِكرُ عُتبةَ راضيا

فإن تقطعوا رجلي فإنّيَ مسلمٌ أرجّي بها عَيْشاً من الله دانيا

مع الحور أمثالِ التماثيل أُخلِصَت من الجنةِ العُليا لِمن كان عاليا

وبعت بها عيشاً تعرَّفتُ صفوه وعاجلتُه حتى فقدتُ الأدانيا

فأكرمنى الرحمن من فضلِ مَنّه بثوبٍ من الاسلام غطَّى المساويا

وما كان مكروها إليَّ قتالُهم غداةَ دعا الأكفاءُ من كان داعيا

ولم يبغ إذ سألوا النبيَّ سواءنا ثلاثتَنا حتى حضرنا المناديا

لقيناهمُ كالأُسْد تخطُر بالقنا نقاتلُ فى الرحمنِ من كان عاصيا

فما برحتْ أقدامُنا من مُقامِنا ثلاثتُنا حتى أُزيروا المنائيا [2]

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم :

تبلَّتْ فؤادَك فى المنام خَريدةٌ تَشْفي الضجيعَ ببارِدٍ بسّام

كالمسكِ تخلطُه بماءِ سحابةٍ أو عاتقٍ كدَمِ الذّبيح مدام

نفجُ الحقيبةِ بوصُها متنضّد بلهاءُ غيرُ وشيكة الاقسام

بُنِيت على قطَنٍ أجمَّ كأنه فضلاً إذا قَعدتْ مداكُ رخام

وتكاد تكسَل أن تجيءَ فراشَها فى جسم خُرعُبةٍ وحُسْنِ قوام

أما النهارَ فلا أفترُ أذكرها والليلَ توزِعني بها أحلامي

أقسمتُ أنساها وأتركُ ذِكرها حتى تغيَّب في الضريح عظامي

بل مَنْ لِعاذلةٍ تلوم سفاهةً ولقد عصيتُ على الهوى لُوّامي

---

(١) ينبنهم معناه يأتونهم مرة بعد مرة . وفى رواية ينشنهم أى يتناولنهم . (٢) قال الخشنى فى غريب السيرة : المنائيا ، أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة من الياء الزائدة فى منية .

بكرتْ إليّ بسَحْرةٍ بعد الكرى ... وتقاربٍ من حادثِ الأيام
زعمتْ بأن المرءَ يكرب عمره ... عَدَمٌ لمعتكرٍ من الإصرام
إن كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتِني ... فنجوتُ منجى الحارث بن هشام
تركَ الأحبةَ أن يقاتِلَ دونهم ... ونجا برأسِ طِمرّة ولجام
يذر العناجيجَ الجيادَ بقفرةٍ ... مرّ الدمولِ بمحصدٍ ورجام
ملأتْ به الفرجَيْن فارمدَّت به ... وثوى أحبتُه بشرِّ مقام
وبنو أبيهِ ورهطُه فى معركٍ ... نَصَرَ الالَهُ به ذوي الاسلام
طحنتهمُ والله ينفُذُ أمره ... حربٌ يَشبّ سعيرُها بضرام
لولا الالَه وجريُها لتركنَهُ ... جَزْرَ السِّباع ودُسنه بحوام
من بينْ مأسورٍ يُشدّ وثاقُه ... صقرٌ إذا لاقى الأسنةَ حام
ومجدَّلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ ... حتى تزولَ شوامخُ الأعلام
بالعار والذلّ المبين إذا رأى ... بِيضَ السيوف تسوقُ كلَّ همام
بيديْ أغرَّ إذا انتمى لم يُخزه ... نسبُ القِصار سُمَيْدعٍ مقدام
بِيض إذا لاقتْ حديداً صمّمت ... كالبرقِ تحتَ ظِلال كل غمام

قال ابن هشام تركنا فى آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها. قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم[1] أعلم ما تركتُ قتالَهم ... حتى رموا فرسي[2] بأشقرَ مُزْبد
وعرفتُ أني إن أقاتل واحداً ... أقتَل ولا ينكِ عدوّي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ ... طَمعاً لهم بعقابِ يومٍ مفسد

وقال حسان أيضا :

ياحارِ قد عوّلتَ غيرُ معوّل ... عند الهياجِ وساعةَ الإحساب
إذ تمتطي سَرْحَ اليدين نجيبةً ... مرطى الجِراء طويلةَ الاقراب
والقومُ خلفك قد تركتَ قتالَهم ... ترجو النَّجاه وليسَ حينَ ذهاب
ألاّ عطفتَ على ابن أمك إذ ثوى ... قَعْصَ الأسنّة ضائعَ الاسلاب
عَجِلَ المليكُ له فاهلكَ جمعَهُ ... بشنارِ مُخْزيةٍ وسوءِ عذاب

---

(١) فى ابن هشام : الله أعلم. (٢) كذا فى الحلبية، وفى ابن هشام : حتى حبوا مهرى، وفى السهيلي، علوا مهرى. وقوله فى البيت الثالث « يوم مفسد » الذى فى الشواهد يوم مرصد.

وقال حسان أيضا :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديد
بأنا حينَ تشتجرُ العوالي حماةُ الحربِ يومَ أبيَ الوليد
قتلنا ابنَيْ ربيعةَ يومَ سارا إلينا في مضاعَفةِ الحديد
وفرَّ بها حكيمٌ يومَ جالتْ بنو النجّار تخطرُ كالأُسود
وولّتْ عندَ ذاك جموعُ فِهرٍ وأسلمَها الحويرثُ من بعيد
لقد لاقيتُموا ذلّاً وقتلاً جَهيزاً نافذاً تحت الوريد
وكلُّ القوم قد ولّوا جميعاً ولم يَلْوُوا على الحسَبِ التليد

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمّن الصفراءُ مجداً وسؤدَداً وحِلماً أصيلاً وافرَ اللبّ والعقل
عُبيدةُ فابكيهِ لأضيافِ غُربةٍ وأرملةٍ تهوي لأشعثَ كالجذل
وبكّيه للأقوام في كل شَتْوةٍ إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ من المحل
وبكّيه للأيتام والريحُ زفزفٌ وتشبيبُ قِدْرٍ طالما أزبدتْ تغلي
فإن تصبحِ النيرانُ قد ماتَ ضَوؤها فقد كان يذكيهنَّ بالحطَب الجزل
لطارقِ ليلٍ أو لملتمسِ القِرى ومستنبحٍ أضحى لديه على رَسْل

وقال الاموى فى مغازيه حدثنى سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذكر بدراً :

ألمّا تكنْ رؤيايَ حقاً ويأتِكُمْ بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينيه ما تفري السيوفُ القواضب
فقلتم ولم أكذبْ عليكم وإنما يكذّبني بالصدق من هو كاذب
وما جاء إلا رهبةَ الموتِ هاربا حكيمٌ وقد أعيتْ عليه المذاهب
أقامت سيوفُ الهند دون رءوسكم وخطّيةٌ فيها الشَّبا والتغالب
كأنّ حريقَ النار لمعُ ظُباتها إذا ما تعاطتها الليوثُ المشاغب
ألا بأبي يومَ اللقاء محمداً إذا عضّ من عُون الحروبِ الغوارب
مَرى بالسيوف المرهَفاتِ نفوسَكم كفاحاً كما تمري السحابَ الجنائب
فكم بردتْ أسيافُه من مليكةٍ وزعزعَ وردٌ بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليبِ ومثلُهم لدى ابن أخي أسرى له مايضارب

فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم ... من الله حَيْنٌ ساق والحَيْنُ حالب

فكيف رأى عند اللقاءِ محمداً ... بنو عمّه والحربُ فيها التجارب

ألم يَغْشَكم ضرباً يحارُ لوقعه الـ ... ـجبانُ وتبدو بالنهار الكواكب

حلفتُ لئن عادوا لَنَصْطلينَّهم ... بحاراً تردى مجربتها المقانب

كأنّ ضياءَ الشمس لَمْعُ ظُباتها ... لها من شعاع النور قَرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضا فيما نقله الاموى :

هلاّ صبرتم للنبي محمدٍ ... ببدرٍ ومن يغشَى الوغى حقُّ صابرِ

ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها ... حريقٌ بايدي المؤمنين بواتر

ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا ... قليلاً بايدي المؤمنين المشاعر

ووليّتموا نفراً وما البطلُ الذي ... يقاتلُ من وقْع السلاح بنافر

أتاكم بما جاء النبيُّون قبلَه ... وما ابنُ أخي البرِّ الصدوقُ بشاعر

سيكفي الذى ضيّعتموا من نبيِّكم ... وينصرُهُ الحيّان: عمرو وعامر

وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفدتْ دمعَها سَكْبا ... تبكّي على كعب وما إن ترى كعبا

ألا إن كعباً فى الحروب تخاذلوا ... وأرداهمو اذا الدهرُ واجترحوا ذنبا

وعامرُ تبكي للملمّات غدوةً ... فياليتَ شعري هل أرى لهمُ قربا(١)

فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلٍ ... فِداً لكما لا تبعثوا بيننا حربا

ولا تُصبحوا من بعد وُدٍّ وإلفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يشتكي النَّكبا

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ ... وحرب أبي يكسومَ إذ ملئوا الشِّعبا(٢)

فلولا دفاعُ الله لا شيْءَ غيره ... لاصبحتُموا لا تمنعون لكم سِرْبا

فما إن جَنينا فى قريشٍ عظيمةً ... سوى أن حَمَيْنا خيرَ من وَطِئ التربا

أخا ثقةٍ فى النائباتِ مُرَزَّءا ... كريماً ثَناهُ لا بخيلاً ولا ذَرِبا

يُطيفُ به العافُون يَغشَونَ بابه ... يؤمّون نهراً لا نَزُوراً ولا صربا

---

(١) واورد ابن هشام بعد هذا البيت :

هما أخواى لم يعدا لغيّة ... تعد ولن يستام جارهما غصبا

(٢) كذا فى الاصلين ، وفى ابن هشام : وجيش أبى يكسوم إذ ملأ الشعبا .

فوالله لا تنفك نفسي حزينة تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

فصل

وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشر أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر
فان تك قتلى غودرت من رجالنا فانا رجالاً بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرها لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الاماني ناصر
وتبكيهم من أرض يثرب نسوة لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا بهن دم ممن يحاربن مائر
فان تظفروا فى يوم بدر فانما باحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لامن نتجت من ديارها بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب إذا عدت الانساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك غداة الهياج الأطيبون الاكابر

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفناها وهى قوله :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الاسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تحيي بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشِّيزَى تـكلَّلُ بالسنام
وكم لك بالطويِّ طويِّ بدر من الحومات والنَّعَم المُسام
وكم لك بالطوى طوى بدر من الغايات والدسع العظام
وأصحابِ الـكريم أبي علي أخيّ الـكأس الـكريمة والندام
وانكَ لو رأيتَ أبا عقيل وأصحابَ الثنيَّةِ من نعام
إذاً لظللتَ من وجدٍ عليهم كأمِّ السَّقبِ جائلة المرام
يخبّرُنا الرسول لَسوف نحيا وكيف حياةُ أصداءٍ وهام

قلت وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن اسحاق وقال أمية بن أبى الصلت يرثى من قتل من قريش يوم بدر :

ألاّ بكيتِ على الـكرا م بني الـكرام أولي الممادح
كبُكا الحمام على فرو عِ الأيك فى الغُصُن الجوانح
يبكين حراً مستكيـ ناتٍ يَرُحْن مع الروائح
أمثالهنّ الباكيا تُ المعولاتُ من النوائح
مَن يبكهم يبكي على حُزنٍ ويصدُقُ كل مادح
ماذا ببدر والعقنـ قَل من مَرازبةٍ جحاجح
فمدافع البرقين فالـ ـحنّان من طرَفِ الأواشح
شُمْطٌ وشبانٌ بها ليلٌ مغاويرٌ وحاوح
ألاّ ترون لِما أَرى ولقد أبان لـكل لامح
أنْ قد تغيّر بطنُ مكـ ـة فهي موحشةُ الأباطح
من كل بِطْريقٍ لبطـ ـريقٍ نقي الودّ واضح
دُعموصِ أبوابِ الملو كِ وجائبٍ للخرق فاتح
ومن السَّراطمة الخلا جة الملاوثة المناجح
القائلينَ الفاعلـ ـينَ الآمرينَ بكل صالح
المطعمينَ الشحمَ فو قَ الخبز شحماً كالأنافح
نُقُلَ الجفانِ مع الجفا نِ إلى جفانٍ كالمناضح
ليست بأصفارٍ لمن يعفو ولا رحٍّ رحارح
للضيف ثم الضيف بعـ ـد الضيف والبُسُطَ السلاطح

وُهَبَ المئينَ من المئـ ـين إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبّل للمؤبـ ـل صادرات عن بلادح
لِكرامهم فوق الكرا م مزيّةٌ وَزْنُ الرواجح
كتاقل الارطال بالـ ـقسطاس بالايدي الموائح
خذلتْهموا فئة وهم يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميّـ ـة بالمهنّدة الصفائح
ولقد عناني صوتُهم من بين مستسقٍ وصائح
لله درّ بنيَ عـلى أيّمٍ منهم وناكح
إن لم يُغيروا غارة شعواءَ تُحجِر كل نابح
بالمقرِبات المبعِدا تِ الطامحات مع الطوامح
مُرداً على جُردٍ إلى أُسْدٍ مكالبةٍ كوالح
ويلاقِ قِرنٌ قِرنَه مَشْيَ المُصافح للمصافح
بزهاء ألفٍ ثم ألـ ـفٍ بين ذي بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.[1]

قلت : هـذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذى حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذى العلم الاكمل والعقل الاشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات وبذل الالوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات ، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والايام . وقـد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة . وقـد قال الأموى فى مغازيه سمعت أبى حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهرى فقال : عفا عنـه إلا قصيدتين : كلمة أميـة التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الاعشى التى يذكر فيها الاخوص . وهـذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم .

(١) يوجد فى بعض هذه القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا فى تصحيحه على ابن هشام والخشنى .

قال ابن اسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان ـ أو فى شوال ـ ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ـ أو ابن أم مكتوم الأعمى ـ قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا العقدة وأفدى فى اقامته تلك جل الاسارى من قريش .

فصل

غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة

قال السهيلى : والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير فى ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير و يزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الانصار ـ حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبر بمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فاتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه و بطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار من نخل بها ووجدوا رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد القاها المشركون يتخففون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودى :

وإنى تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقانى فروانى كميتا مدامة ... على عجل منى سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لافرجه أبشر بعز ومغنم

تأمل فإن القوم سر وإنهم صريح لؤى لا شماطيط جرهم
وما كان إلا بعض ليلة راكب أتى ساعيا من غير خلة معدم

فصل

فى دخول على بن أبى طالب رضى الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله (ص) وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن على بن أبى طالب قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ، وكان النبى (ص) أعطانى شارفا مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت ابتنى فاطمة بنت النبى (ص) واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى باذخر فاردت أن أبيعه من الصواغين فاستعين به فى وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشار فى قد أجبت أسنمتهما و بقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينى حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت وهو فى شرب من الانصار وعنده قينه وأصحابه ، فقالت فى غنائها :

* ألا ياحمز للشُّرُف النواء

فوثب حمزة إلى السيف فاجب أسنمتهما و بقرخوا صرها وأخذ من أكبادها ، قال على فانطلقت حتى أدخل على النبى (ص) وعنده زيد بن حارثة فعرف النبى (ص) الذى لقيت فقال مالك ؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجب أسنمتهما و بقرخوا صرها وها هو ذا فى البيت معه شرب فدعا النبى (ص) بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتبعته أنا و زيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له فطفق النبى (ص) يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبى (ص) ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم الا عبيداً لابى فعرف النبى (ص) أنه ثمل فنكص رسول الله (ص) على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الاموال من أن الخمس انما نزل بعد قسمتها وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير وبينا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى وذلك

قبل تحريم الخمر والله أعلم . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر فى كتاب الاحكام
وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن أخطب الى رسول الله (ص) ابنته فقلت ما لى من شئ ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها اليه فقال « هل لك من شئ ؟ » قلت لا قال « فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال هى عندى قال فأعطنيها قال فأعطيتها اياه هكذا رواه احمد فى مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقانى ثنا عبدة ثنا سعيد عن ايوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما تزوج على فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله (ص) أعطها شيئا قال ما عندى شئ . قال أين درعك الحطمية ؟ ورواه النسائى عن هارون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبى عروبة عن أيوب السختيانى به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصى ثنا أبو حيوة عن شعيب بن أبى حمزة حدثنى غيلان بن أنس من أهل حمص حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبى (ص) أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله (ص) أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله (ص) حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لى شئ فقال له النبى (ص) « اعطها درعك » فاعطاها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن على قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله (ص) فقالت مولاة لى هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله (ص) قلت لا ، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله (ص) فيزوجك ، فقلت وعندى شئ أتزوج به ؟ فقالت انك إن جئت رسول الله (ص) زوجك . قال فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله (ص) فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة فقال رسول (ص) « ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت فقال لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شئ تستحلها به » فقلت لا والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكها » فوالذى نفس على بيده أنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندى . فقال قد زوجتكها فابعث اليها بها فاستحلها بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فولدت فاطمة لعلى حسنا وحسينا ومحسنا — مات صغيراً — وأم كلثوم و زينب ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن على قال جهز رسول الله (ص) فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها اذخر . ونقل البيهقى عن كتاب المعرفة لابى عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة اخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل

جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين ، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى ابن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله (ص) قد توفيت وساووا عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبى (ص) له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه بأختها الاخرى أم كلثوم بنت رسول الله (ص) ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يغلق أحد على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه . وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد فى صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعوا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله (ص) المعاقل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن على ولد فيها ، قال وأما الواقدى فانه زعم أن ابن أبى سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحه فالقول الاول باطل .

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية

ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

فهرست
الجزء الثالث
من كتاب البداية والنهاية

صفحة

صفحة



